

الجزء الأوّل

من تفسير القرآن الكريم

مقاصد الأسرار

والخفى وجواهر المرضية والكاملة

في نهاية الأخفى

لعلاّمة الزمان قطب مركز دائرة العرفان

أبي علي مولانا الحاج الأحسن

بن محمّد بن أبي جماعة البعقيلي

السوسي أصلاً البيضاوي وطنًا

متّع الله بعلومه الإسلام والمسلمين آمين

طبعة تونس جمادى الآخرة 1442 هـ

الموافق لـ فيفري 2021م

الجزء الأوّل

من تفسير القرآن الكريم

مقاصد الأسرار والخفى

وجواهر المرضية والكاملة في نهاية الأخفى

لعلاّمة الزمان قطب مركز دائرة العرفان

أبي علي مولانا الحاج الأحسن بن محمّد بن أبي جماعة البعقيلي

السوسي أصلاً البيضاوي وطنًا

متّع الله بعلومه الإسلام والمسلمين آمين

طبعة تونس جمادى الآخرة 1442 هـ

الموافق لـ فيفري 2021م

إهــداء

إلى روح سندنا وقدوتنا أعجوبة دهره حبر الأمة مجدد الدين ماحي الظلمات من الجهل إلى حق اليقين ومحيي القلوب الموتى والغافلين هو من كتبه تغني عن كل تراجم المؤلفين سيدنا الحاج الأحسن بن أبي جماعة البعقيلي السوسي رضي الله عنه وأرضاه.

ثم إلى روح خليفته الأول الذي انكب قرابة نصف قرن وسخر حياته لخدمة المسلمين عامة والمنتسبين التجانيين خاصة بإفشاء العلم النافع وبالإرشاد وبالتربية الرشيقة والذي اعتمد كتب والده ومورّثه تمام الاعتماد، قطب أكبر من أولياء الدنيا، عارف مربي لا يدل إلا على الله تعالى سيدنا محمد الحبيب البعقيلي رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به آمين.

ثم إلى روح تلميذه الأبر الناصح القدوة الهمام المعمّر الظاهر في الظواهر والمنام من كان سببا في نشر علوم وأسرار شيخه البعقيلي في ربوع تونس الخضراء أعني شيخنا ومربينا وسندنا القطب الرباني والعارف الصمداني سيدي الحاج محمد بن إبراهيم القماري البعقيلي.

ثم إلى روح شيخنا بعد شيخنا قرّة أعيننا المجاهد في سبيل الله تعالى بالحال الصادق والمقال الواضح من اكتملت فيه صفات العالم الذي أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتبعه بقوله " لا تَجْلِسُوا مَعَ كُلِّ عَالِمٍ ، إلا مَعَ عَالِمٍ يَدْعُوكُمْ مِنْ خَمْسٍ إِلَى خَمْسٍ : مِنَ الشَّكِّ إِلَى الْيَقِينِ، وَمِنَ الْعَدَاوَةِ إِلَى النَّصِيحَةِ، وَمِنَ الْكِبْرِ إِلَى التَّوَاضُعِ، وَمِنَ الرِّيَاءِ إِلَى الإِخْلاصِ، وَمِنَ الرَّغْبَةِ إِلَى

الرَّهْبَةِ" أعني به سيدنا الحاج محمد الكبير البعقيلي فالله هو الذي يجازيه بما هو أهله رضي الله عنه وأرضاه نزلنا بين أهله وعشيرته منزلة الأولاد ولاحظتنا عيون محبته بالتبجيل والإكرام فضلا منه وتكرما.

اللهم بارك لنا في علومهم وأسرارهم حتى نلقاك لا مبدلين ولا مغيرين بل مقبلين ثابتين مقتدين بأحسن وأصدق الاقتداء والحمد لله رب العالمين.

الحاج الحبيب بن حامد

مقدّم الزاوية التجانية باب الخضراء تونس

لطف الله به في الدارين آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمّد الفاتح الخاتم وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا بدوام ملك الله

الحمد لله الذي أسعد بإنزال كتبه عباده، واصطفى بإرسال الرسل من أراد إسعاده، وهدى لحضرة قدسه أحبابه، واجتبى بتيسير الخطاب أهل قربه منّته ولبابه؛ والصلاة والسلام على الرسول المصطفى المختار، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأمته الأخيار؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ونشهد أن سيدنا محمّدا عبده ورسوله؛

أما بعد فإن الأحسن بن محمّد بن أبي جماعة السوسي البعقيلي البيضاوي وقته امتنّ الله عليه بداعية تبيين الأحكام الشرعية عند شرح متن القرآن الكريم نفعًا لمن عسى أن يرزق فيه حسن ظن بمؤلفه الضعيف وبتأليف من أسهر فيه سواده وخياله طالبا من ناظره إقالة العثرات وأن يصبّ عند مطالعته العبرات فجدير لمن اعتنى به وأعان عليه أن يرزق من الله الإعانة والقبول وأن يكرم بأسرار مباني الأدلة القاطعة وأن يهمل الأدلة الإقناعية بقواطع نصوص كلام ربنا الكريم إنه الجواد الرحيم. وسميته: **مقاصد الأسرار والخفى، وجواهر المرضية والكاملة في نهاية الأخفى** فالله الكريم أسأل الإعانة والإتمام وأن يهدي به أفراد الأمة الأجلة الأعلام وأن ييسر لي العبارة والبيان وإنما أحوم حوم بره العظيم المنان

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ قرآن إجماعا وهل آية من الفاتحة أم لا نزلت بمكة ببسملة وبها قرأ قراؤها وبها يصلى فيها متصلة بها ثم نزلت بالمدينة مجردة منها حين النزول وقرأها مجردة قراؤها فلها حكم القرآن إجماعا فله لا يكفّر نافيها عند

المثبت ولا مثبتها عند النافي فهي آية منها عند أهل مكة لأنه نزلت بها وليست آية عند المدنيين لأنها نزلت مجردة بها. فيشترط في القرآن التواتر وقوام نظام العربية وموافقة خط وحروف المصحف العثماني الإمام، فحروف العشر متواترة فلا تجوز القراءة بغير العربية.

فالقرآن علم على كلام الله المقروء والمسموع صفة وحروفًا مركبة منزلة فهو قديم المدلول حديث النزول فلا ينبغي إطلاق الحدوث عليه ليلا تتسارع الأفهام إلى الخطاب الأزليّ فلا يخرجه كتبنا ببناننا وقراءته بألسنتنا والنظر بأعيننا عن قدم مدلوله فالقدم سار في الدلالة والعبارة والقراءة على وجه محجوب عن البصائر إلا بفيض لدني فالبسملة واجبة في الابتداء وبعد الوقف، سأل مالك الإمام نافعا شيخه عن البسملة أول الفاتحة فقال له هي من الفاتحة فلا تهملها فتبعه آخر عمره. فمعنى البسملة كل شيءٍ شيءٍ حادث موجودًا ومعدومًا فإن المعدوم شيءٌ لغة ولا اصطلاح في القرآن إنما وجد أو أعدم بباسم الله فاسم نكرة أضيفت للمعرفة فعمّت أي بأسماء الله المشتتة على حقائق المقدور لله تعالى من الاسم الله[1] تعالى النازل أعني الخلاّقة لكل حقيقة حقيقة ومن الاسم العالي أعني الموضوع على مرتبة كل حقيقة وبه قام وجودها ونظام أمرها فاسم مراتب الحق باعتبار دلالته على الذات الفعالة فاسم الذات عين المسمى اعتبارًا وباعتبار دلالته على مقتضياته من أنواع دولته من حقائق الحوادث اسم مرتبة غير المسمى فأسماء التشتيت راجعة إلى أمهات الأسماء التسعة والتسعين فالأمهات راجعة اعتبارًا واندراجًا إلى الاسم **الرحمن** الذي علا ملك الله العرش وهو خالقه وقاهره من حيث هو ملك وهو راجع إلى الاسم **الرب** المصلح ما أوجده الرحمن فهو عليه العالي على العرش و**الرحمن** النازل الخالق بالذات تعالى

[1] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة لله تعالى.

وتقدس وهو راجع إلى الاسم **الله** علمًا على مرتبة الإلهية التي هي الاستغناءُ بذاته عن غيره وافتقار كل ما سواه إليه وجودًا وإمدادًا وبقاءً فباعتبار دلالته على الذات علم على الذات عين المسمى وباعتبار طلب من يتأله عليه ويتعاظم عليه علم على المرتبة.

فالمعبود الذات الموصوفة بالصفات قبل التعلق اعتبارًا وبالأسماء بعده فالرحمة مثلا قبل ظهورها في شئون الرب صفة تعقلاً وبعده اسم دال على الذات باعتبار وعلى المتعلق باعتبار وقس سائر الإضافات الإلهية فالاسم الله راجع إلى الاسم الأعظم الجامع اسم الذات المكنون فهو علم تسمى به أزلاً وأبدًا فلم تكن فيه رائحة صفة الإضافات وهو مقدس عن اقتضاء شيء زائد عن المسمى تعالى وهو عمى كالمسمى بطن كنز لا يظهر أبدًا واختص الله به أهل التقريب والتفريد والتحبيب الذين عشقوا ربهم وعشقهم فهو أنسهم فيفيض عليهم ظاهره وباطنه وباطن باطنه بحسب مراتبهم عنده في العشق والحب وهو اسم المحبوبين لا غير فلكتمه اختلفوا في وجوده وعدمه وفي عينيته وفي لفظه فالله تعالى وفق أيمة الرسالة في كل قول من أقوالهم فلا خلاف في نظرنا البتة فكل من عيّن اسمًا من الحسنى صحّ باعتبار ما تجلى له فيه ربه الكريم وهو أنه أطلعه على حرف منه أو حرفين أو أكثر فشم رائحته منه فأنطقه الله به فمن قال **الله** صح لاشتماله على بعض حروفه كالرحمن والحي والقيوم فلا يهمل قول واحد منهم في جميع المذاهب كالعلوم فمن شرب من نقطة العلم رآ الأقوال صوابًا فلا يبطل ولا يهمل ولا يضعف فإن نقطة سارية في علومهم إلا أن مناط كل مختلف مع اتحاد العلم فمن اطلع واغترف على جمعية الأسماء الحسنى الإلهية اطلع على كل حقيقة أوجدتها الأسماء فلا تخفى عليه المفاعيل الإلهية فإنه يشاهدها من الأسماء التي تجلى بها عليه تعالى فحقائق الممكنات إنما برزت بالأسماءِ وبقي نظامها مثلا ووجدت بالرحمن وثبتت وقامت وتعينت بالرب تعالى واجتمع الإيجاد

والإمداد في الاسم **الله** وهو المعبود فالسلطان في العرف علم على مرتبة جامعة لمرتبتي الإحسان والانتقام فهي المحبوبية للمحبين والمهابة لأهل الجرائم واسم السلطان في محله اسم أهل الأنس به فالعلوم الإلهية من الأسماء تفجّر فمن أفيضت عليه من الله كوثرية الأسماء تخلقًا وتعلقًا حصل على العلوم الإلهية التي طلبها الكون وحصل على المعلومات كآدم عليه الصلاة والسلام فلا تخفى عليه جوهرة من حقائق العلوم من كل ما تعلق بالله وإن كان الله تعالى يعجزه بضرب حجاب على حقائق في مجلسه أو نفسه أو زوجه في بعض الأنفاس إبقاءً للربوبية ولو سيد المرسلين فلا بد من إبقاء الربوبية فإنه تعالى يكتم بعض الأمور في بعض الأنفاس ثم يكشفها له ثم يكتم عليه بعضًا آخر على وجه التلوين والإعجاز والإبقاء للربوبية حقها. فالغيب غيبان الصمّ وهو ما طوي في الإرادة قبل نفوذ القدرة فهذا لا يدرك إلا بفيض قدسي إلهي فمن أدركه حرم عليه إيذاعه وإلا سلب وكفر وغير الصمّ وهو ما تعلقت به القدرة بعد تخصيص الإرادة بمقتضى العلم وغاب عن الأبصار كالملائكة والجن وأحوال السماوات والأرضين وسكانها وعددها وعلومها فهذا يدرك بالأسماء من الأسماء الإلهية على مقتضى العلم المفاض من برزخية كوثرية الأسماء فإنه موجود وكل موجود يصح أن يرى ويسمع بطرق العلم الأربعة طريق السمع الشرع وطريق حاسة وطريق فكر فهذه الثلاثة مكتسبة يدرك بها لمن أتقن طرقها وأحاط برموزها كل موجود فكل موجود ليس سرًا بل علمًا فإن كان مما يجب تعلمه أفشاه وجوبًا أو ندبًا إن ندب كالجنة وأحوال الآخرة والبرزخ وإن كان مما لا يتعلق بالتكليف خيّر في الإفشاء وعدمه

فلا فائدة فيه فالإمساك أولى إلا للمتبحرين المتغلغلين في شرب أذواق الحقائق فالجفر[2] إن استند إلى شرع قبل وإلا رمي به في بحر الإهمال.

فكون سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم ذات العلوم فإنه عين الرحمة والفيوضات ونقطة النبوة والولاية والوجود والعلم والسر فهو منبع كل رحمة فلا عدول لأحد عنه أيًا كان لأنه الأصل والأب والأم والصدف الذي ستر ملك الله من حيث هو برحمته وكرمه وجوده فمنه استمد كل نبي وولي ومؤمن وهو ذات الفضل فنوره ومنه استمد سيدنا آدم الحروف المعجمة واستنبط منها ألف لغة وسبعة عشر ألف حرفة فلا تخرج لغة عن لغاته وهو معنى قولهم لا يجوز إحداث لغة يعنون عن لغاته ولا تخرج الحرف عن حرفه كما لا تخرج صورة عن صورته فهو أنموذج الكون فاندرجت الحقائق علمًا وحكمة وحكما وهديا وناسوتًا وملكا وملكوتا وجبروتا في آدم وهو آخر العوالم الثمانية عشر ألفًا أعني أمهات العوالم وإلا فالله خلاّق على الدوام كما انطوت أسماء التشتيت في التسعة والتسعين اسما أعني أمهات الأسماء وكما اندرجت في آدم الحقائق الملكية اندراج النخلة في النواة فهو عرش الاسم **الله** كما أن العرش عرش اسم **الرحمن** الراجع إلى الاسم **الرب** الراجع إلى الاسم **الله** فافهمه تطّلع على حقائق أصلك وأنت نسخته وكسبه والملحق به في التكريم وطلب الأمر العظيم منك وهو حمل الأمانة العظمى التي أشفقت منها الأجرام والأعراض والجواهر المجردة وهو نسخة من سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فاندرج في اسم المضاف إلى الله الأسماء كلها والمسميات كلها فالاسم يقتضي المسمى ومنه تنظر إن اهتديت العلوم التي يقتضيها الكون والعلوم المتعلقات بمعرفة الله فإن نظرت في الاسم دلالته على

[2] عِلْمُ الجَفْرِ : عِلْمٌ يَبْحَثُ عَنِ الحُرُوفِ مِنْ حَيْثُ دَلاَلَتُهَا عَلَى مَعْرِفَةِ الحَوَادِثِ عَلَى انْتِهَاءِ العَالَمِ. معجم المعاني

الذات تحيرت ودهشت وأنست بين أبحر الجمال والجلال فلا يكمل تحيرك أبد الأبدين ولا علمك فإن الدليل الشرعي يقتضي التشبيه لكن تشبيه شرعي وجب الوقوف عند حده وإياك أن تفهم التشبيه العقلي فإنه كفر والدليل العقلي يقتضي التنزيه لكن التنزيه الشرعي لا العقلي فالتشبيه العقلي تجسيم عقلي والتنزيه العقلي تعطيل وهو تكذيب لما جاء به الشرع فهو وجه التحير بين جماله وجلاله: من ألف الجمال لا يصبر لبدوّ الجلال، ومن ألف الجلال انقلب له جمالا في زعمه وهو اللطف. فالتشبيه الشرعي هو التسبيح. والتنزيه الشرعي هو التقديس وهما الوسط وهما الوقوف عند ما حده الشرع من غير تقييد عقلي ولا إطلاق عقلي فإن الإطلاق العقلي راجع إلى التقييد فاحذره كله فإن العقل ضعيف لا يدرك الحقائق وحده حتى يستمدّ من الشرع وهو ﴿**وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ**﴾[3] فاعلق بها تظهر لك الحقائق كلها من المضاف الأول حيث اعتبرت الأسماء بالمسميات ونظرت من الدلالات المدلول تعالى به حيث غيّبك بتجلي أسمائه فأفناك به وأحياك بأنوار أسمائه فتميزت لك الحقائق على ما هي عليه من كمال استعلاءِ الأسماء على المقتضيات الكونية أرواحًا وأجسادًا فتعلم منه أن كل شيءٍ إنما ظهر بأسماء الله تعالى وحصلت على كنزية المعرفة بالله بأنه غالب على أمره وأن رحمة اسمه سابقة لرحمة المرحوم والمغضوب عليه فتعلم معنى **سبقت رحمتي غضبي**[4]. فرحمة الاسم سابقة للموجود من حيث هو ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾[5] سبق اسمه كل موجود فلو لم يتفضل الحق تعالى بفيض العلو لما وجد من يتعالى عليه وبفيض الكبر الذي هو عين الذات لما وجد من يتكبر عليه فمن فيضهما برزت الأسماء التي تطلب الملك والكنه غني عن العالمين لولا فضله

[3] البقرة 30

[4] البخاري في صحيحه والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[5] الأنعام 54

الذي فاض منه فيض العلو والتكبر فإذا رأيت حقائق الموجودات من المضاف الأول وحصلت على أسرار الأسماء والمسميات وظهر لك أنه لو كتبت تلك العلوم فردًا فردًا ما وسعها الكون فضلا عن المراكب والألسنة فلا يسعها إلا قلب العارف بالله الذي كانت مسافة روحه خمسين ألف سنة مضروبة في نفسها طولا وعرضًا في حد ذاتها وأما ما تنسّل منها من الاتّساع الإلهي فيها فأمر عجز عنه الرسل ومن دونهم وعليه فلو وضعت الأكوان بما فيها ما شغلت قدر شعرة من فراغها لاتّساع أمر الاسم الإلهي فالمضاف إليه الذي هو الله هو أنموذج الأسماء كلها فكل ما سبق في علم الله أنه يكونه إنما هو تفسير للاسم الله فظاهر الكون شرح لظاهره وباطنه شرح لباطنه وسره شرح لباطن باطنه فالحقائق العلمية والمعلومية مندرجة فيه اندراج الخلائق في ملك الله وهو المعبود بالحق ولا يعبد بالحق إلا الكامل من كل وجه ﴿**اللَّهُ الصَّمَدُ**﴾[6] ولم يكمل من كل وجه إلا المتقدّس من كل نقص وأفحشه الحدوث وهو ﴿**لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ**﴾[7]. فسورة الإخلاص تفسير للاسم **الله** والقرآن الحاكم على كل كتاب بالنسخ والبيان وبدوام العمل به تفسير لما اندرج من الاسم **الله** فلم تخرج حقيقة عنه فمن تجلّت له مراتبه أحاط بعلم الحقائق ذوقًا وكشفًا فهذا هو الكشف الذي تشير له الأقوياء وينكره الأغبياء فمن جهل شيئًا عداه وعاداه فالكتب المنزلة إنما تبين ما انطوى عليه **الله** فهو اسم الإنسان الكامل وبه فاق الحقائق بعلم مدلولاته ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾[8] في الله وبه، وبه قامت الأشياء ووجدت وبه كمل تحيّر أكمل الخلق صلى الله عليه وسلم فحصل للعارف فيه ما لو كانت الأشجار أقلاما والملائكة كلهم كتابًا والبحار والسحائب مدادًا ما نفد ما يشربه العارف منه فإله اسم لكل معبود بحق وهو

---

[6] الإخلاص 2

[7] الإخلاص 3

[8] طه 114

نكرة كشمس ورجل فالواضع للغات هو الله ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**﴾[9] اللغات ألف لسان أصلها العربية والباقي منتزع منها فلما نظرنا بعقولنا المكحلة بإثمد اليقين من كلام ربنا ﴿**قُلْ إنّما يُوحَىٰ إِلَيَّ أنّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ**﴾[10]، ﴿**وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ**﴾[11]، ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إلاّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا**﴾[12]. فوجدنا المعبود بحق لا يقبل العقل تعدده ولا الشرع وأصل العقل الشرع فلا نعقل إلا ما جاءَ به الرسول صلى الله عليه وسلم قلنا لا من جنس معبود بحق يقبله الشرع والعقل فنفينا توهّم تعدّد يعطيه اللفظ وجزمنا بما صححه الشرع وأدركه العقل من الرسل إلا الله الفرد الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤًا أحد.

فالعبادة نهاية التذلل والقصد للمهمات لمن يعتقد فيه صفة الألوهية وهي الاستغناء عن غيره وافتقار الغير إليه بالتذلل والقصد للمهمات لمن لا يعتقد فيه صفة الألوهية كالأنبياء والأولياء والأمراء والوالدين والمعلمين ليس عبادة بل طاعة الله ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأمر مِنكُمْ**﴾[13]، ﴿**مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّه**﴾[14] فاندرجت في الله حقائق التوحيد فلا ضلال بعد معرفة مدلوله تعالى باعتبار دلالته على الذات وحقائق المعتقدات الثابتات بالأدلة الشرعية وحقائق ذرّات ملك الله من حيث هو فإنه موجد الموجودات ومعدم المعدومات فما من ذرة إلا وعليها وبها اسم خاص فإذا تجلى الله به لا يتجلى به أبدًا في الدنيا والآخرة فلذا لا

---

[9] البقرة 31

[10] الأنبياء 108

[11] البقرة 163

[12] الأنبياء 221

[13] النساء 59

[14] النساء 80

تتكرر الحقائق أبدًا لاختلاف الأسماء ولاتّساع الأمر الإلهي فلا توجد حقيقة موافقة لحقيقة من كل وجه أبدًا ﴿**وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ**﴾[15] فإنه لا يكون أبدًا فمرتبة زيد مثلاً لا يحوزها أبدًا غيره واجمع الإياس مما في أيدي الناس فذات الله مخالفة لسائر الذوات من كل وجه فلا مماثلة في جل الصفات ولا شبه في أقل الصفات له تعالى بخلاف غيره تعالى فإنه وإن كان مخالفًا لكل الذوات لكن لا في كل الصفات بل يشابهه غيره أو يماثله في أقل أو جل صفاته على سبيل الجواز. فحقيقة المولى مخالفة لكل فرد من أفراد الحقائق فافهمه فإنه دقيق فللحق تعالى أن يتجلى باسمه في كل حقيقة فالتجلي للاسم الظاهر عليها وأما الكنه فهو بطون أبدًا وعليه فلا حقير في ملكه فالكل عظيم باعتبار أسمائه فالبعوضة عظيمة باسمها فلا يشاهد العارف الراسخ إلا الأسماء الإلهية على الحقائق ولإفادة تعظيم أسمائه ومتعلقاتها قال تعالى: ﴿**وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ**﴾[16]، ﴿**وَالْقَلَمِ**﴾[17]، إلى نهاية مثله وهو قسم بأسمائه وبأنواره في أثر أسمائه فالكون من حيث هو كون متساو في الأسماء الإلهية وفي أثر فعله وفي كونه مظهرًا لقدرته ودولة لكماله فالسعيد أظهره ليظهر فيه بأسماء جلاله وهو مظهر كماله والشقي أظهره ليظهر فيه بجلاله وهو مظهر كماله تعالى ﴿**فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ**﴾[18] والكل كماله وإنما التشريف بالشرع فلا فرق بين السفل والعلو باعتبار كونه قبضة يد ربه إلا من حيث الشرع: **الحبّ في الله والبغض في الله من الإيمان**[19]، يعني نؤمن أن الله أمرنا بحب ما أمرنا الشرع بحبه وببغض ما أمرنا الشرع

---

[15] النساء 32

[16] التين 1

[17] القلم 1

[18] الشورى 7

[19] أبو داود 4681 بمعناه.

ببغضه فالمكروه مخالفة ربنا ظاهرًا مع قطع النظر عن البواطن فنحب الجنة لأنها غلّة الإيمان المحبوب ونكره النار لأنها غلة الكفر المبغوض بالله لله

فالإيمان شجرة طوبى والجنة كمّ واحد من أكمامها ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ**﴾[20] الجنة الحسنى وهي كوردة واحدة وبقية الأنوار ﴿**وَزِيَادَةٌ**﴾[21] لكل عارف في الدنيا جنان كثيرة لذيذة لا نهاية لها بحسب معتقداته فكل عقيدة جنة المزيد وإنها لجنان فالعارف في الفردوس مع الناس وجنان المزيد التي لا تدخل تحت الحصر. فالنار كمّ واحد من شجرة الكفر الزقوم تزقمها الطبيعة فللكافر النار مع الكافرين واختص كل فرد منهم بما قسم له من بقية غلات الزقوم وهو عذاب زائد عن الطبقات السبع فإن ملك الله في الآخرة ينضمّ إلى الجنة كمجالس الذكر وإلى النار كالبحار والكنائس والأصنام. فاسم الله جلالي جمالي مدهش مؤنس فالرحمن صفة الموصوف بكونه الرحمن فمنه برز ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ فباعتبار الحق قيامها به وباعتبار غيره إيجاده فكل موجود مرحوم بالاسم الرحمن ولو إبليس فالعدم معدوم بالله الرحيم الموصوف بالرحمة الاختصاصية وهي رحمة الإيمان وغلاته فالنبوة والرسالة والقطبية والولاية إلى آخر مراتب الدين كالجنة والمعرفة بالله وبخلقه رحمة الرحيم فالرحمان من رحم بالكسر والرحيم من رحم بالضم المحول من الفعل إلى فعل للمدح والاستعظام وهو منبع ﴿**فَسَأَكْتُبُهَا**﴾ أي الرحمة الاختصاصية ﴿**لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ**﴾[22] يجتنبون الشرك وعمله وبنياته الفواحش فكل ما تجلى به الحق تعالى وأظهره من عدم إلى وجود فهو سر الرحمان وما أمده الله به من الأرزاق والصحة من

[20] يونس 26

[21] يونس 26

[22] الأعراف 156

الاسم الرب وما تجلى في المتقين الشرك فسر الرحيم فدخل في الرحمن الكافرون والمؤمنون وفي الرحيم المؤمنون فقط فإذا نظرت بعين العقل في الرحمن رأيت كل موجود من الله وعباده في الرحمن فظهر لك أنك لو كتبت ما يملأ الكون دفاتر ما استتممت مدلول الرحمن لبعد قعره وقول سيدنا عليّ: **لأوقرتُ سبعين وقرًا في البسملة**[23]، مقصوده الكثرة لا العدد فإنك رأيته بعيون عقلك لا يسعه الكون لدلالته على ذات الله وصفاته وأسمائه وكل فرد من أفراد مقدوره مما وجد فالعدم ليس بمرحوم بل مقهور بالله وربما يكون الرحمن الرحيم علمًا مركبًا تركيب مزج على مرتبة جامعة لأنواع الرحمة. فتحصل أن باسم الرحمن الرحيم وجدت الأشياءُ وبه قامت وامتد نظامها وهو أول الأشياء وظاهرها وباطنها وآخرها فالنقطة في الباء إشارة إلى وحدة الحق ذاتًا وصفة وفعلا فمعنى وحدة الذات أنك إن اعتبرت الذات فقط مع قطع النظر عن كونها معقولة فهي البحت الساذج ومع معقولية النسب فهي الأحدية ومع اقتضائها النسب الاعتبارية فهي الواحدية محل الصفات والأسماء فالأولى تجليه تعالى بنفسه لنفسه في نفسه مع نفسه والثانية تجليه تعالى لنفسه بنفسه مع نفسه مع معقولية التجلي فهو بحت أيضًا والثالثة تجليه بنفسه لنفسه مع نفسه في غيره وهو الاسم الأعظم والحقيقة المحمّدية منشأ الأسماء والصّفات والكثرات فلا يعرف الله إلا بالله ولا تدركه الأبصار ولا البصائر على وجه الإحاطة في الدنيا وفي الآخرة وإن كان يعلم تمامه لكن في مرتبة تجليه في غيره فلم يخلق الله من أقدره على أن يتجلى فيه بكمال ذاته وبكمال صفاته وبكمال أسمائه إلا سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم ولم يرد الحق غيره فهو مجلاة[24] الله وطلعته من غير وساطة وباقي الخلائق من وراء حجابته

---

[23] روى الشعراني: عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي اللّه تعالى عنه وكرّم وجهه أنّه كان يقول: لو شئت لأوقرت لكم ثمانين بعيراً من معنى الباء في البسملة. لطائف المنن للشعراني 1: 171، طبعة مصر.

[24] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة مجلات.

صلى الله عليه وسلم وهو صدف الكون وصوانه ومظله وقوامه وروحه ونوره وبرزخه ومعلمه وهاديه إلى ربه ومرشده وحرف الباء إشارة إلى شفع الملك فإنه إما جوهر فرد وعرضه وهو الحركة والسكون وإما جرم وعرضه فكل ما سوى الله مركب تركيبًا شرعًا وعقلا فالعرض إما حركة وإما سكون فالجرم والجوهر مفتقران إلى عرض حادث ودليل حدوثه التغيير وكل متغير حادث فالجرم ملازم للعرض الحادث وكل ملازم للحادث حادث كالجوهر الفرد فما سوى الله من حيث هو جرمه وعرضه حادث أحدثه الله على الوجه الذي علمه إجمالا وتفصيلا فلا مزيد على المعلوم القديم فالحقائق لا تتبدل والكل مراد باطنًا فالخير إن انصدر من عامله الحادث بإرادة الله وقدره وقضائه وأمره ورضاه وإن صدر منه منهي فبإرادته وقدره وقضائه دون أمره ورضاه فخلق الله الخلق وأعمالهم فلا تأثير لمخلوق أيًا كان فالقدرة الحادثة غير مؤثرة وإنما تكتسب وتباشر العمل فالقديمة هي الفعالة فما سوى الله مفعول من كل وجه والمفعول من حيث هو لا يكون فاعلا أبدًا فالفاعل الشرعي واحد أحد غير مركب والفرد الواحد الأحد واحد وهو الله لا غير وباقي الموجودات إنما وجدت وجود المفعول ووجوده مفاض من الوجود الواجب تعالى ﴿الْحَمْدُ لِلَّه﴾ وهو علمك بأنك محتاج إلى دولة ذاتك وذاتك كغيرك مفتقرة إلى الروح والروح مفتقرة إلى روحها الأسماء الإلهية فتعتمد[25] على جسدك ويعتمد[26] جسدك على الروح والروح[27] على الأسماء والأسماء باعتبار الدلالة على الذات ذات وهي الفعّالة فتعقل الصفات والأسماء لأنها مستعدة لإبرام الشئون الإلهية فالاستعداد والتهيؤُ للأحكام هو عين الصفة وتعلق الصفة بإمضاء الأحكام هو عين الاسم فعلمك بأن الخلق كلهم في قبضة ملكه تعالى

---

[25] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة فتعمد

[26] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة يعمتد.

[27] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة الرح.

ونسبتك الملك له والكمال هو الحمد الذاتي فنطق اللسان بلفظ يواطئُ العلم شريعة والعلم طريقة والفرح بملكه تعالى حقيقة وهو الثناءُ باللسان على جهة التعظيم والتبجيل سواءُ جعله في مقابلة نعمة أم لا فالألف واللام للحقيقة يا عبادي قولوا الكمال الذاتي وهو الملك لكل ممكن والغنى بنفسه عن غيره والوجود الذاتي إنما هو لله فهو الحق وغيره الباطل فإن وجوده مفتقر لغيره ووجود الله ذاتي واجب قديم أزلي أبدي فاللام للملك باعتبار ما خلقه من الكمال والاستحقاق باعتبار صفات ذاته فالأسماء التي اقتضت الملك راجعة لله ﴿رَبِّ﴾ مربي ومصلح والقائم بشئون ﴿العَالَمِينَ﴾ كل ما عليه علامة الحدوث وهي التغير فكل ما سواه من جرم وعرض وجوهر ينير الحق في كل نفس ﴿**كُلَّ يَوْمٍ هُوَفِي شَأْنٍ**﴾[28] ذاتًا وعرضًا فالمغير في النفس الأول مثلا غيره في الثاني ﴿**بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾[29] وهو تعالى خلاّق على الدوام

فكل ما برز من حركات العبد وسكناته وأنفاسه وخواطره يوجد فيه الحق تعالى صورًا على صورة المتحرك أو الساكن خلقت للخلود تسبح ربها بحمده وتقدسه في مدد الخلود يظهرها الاسم **الرحمن** ويمدها الاسم **الرب** فكل ذرات الإمكان عالم وهي كلها متوجهة ومفتقرة إلى الله تعالى لإمكانها وحدوثها فوصف الإمكان لا يزول عليها أبدًا أجرامًا وأفعالاً وأعراضًا فله لا تأثير لغيره أبدًا وإنما تفضل الحق على العبد بإرادة الفعل ومباشرة أسباب وجوده وهو الكسب فالاختيار إرادة صاحب القدرة الحادثة الفعل بمعاونة القدرة القديمة لا حول ولا قوة إلا بالله فأثبت الحول والقوة بالله ونفى الحول والقوة بغير الله غلط من أثر القدرة الحادثة إلا بالله الموصوف بالرحمة

[28] الرحمن 29

[29] ق 15

العامة لكل فرد في كل زمن ومكان وهي رحمة الإيجاد والوجود الموصوف بالرحمة الخاصة لمن سبق في علمه تعالى أنه مؤمن وكرر الإسمان في سورة واحدة لأن البسملة ككتاب مستقل لاشتمالها وحدها على ما تشمل عليه الكتب الإلهية فالعارف يستنبط منها الأسماء والمسميات وحقائق الأحكام الشرعية فله صارت في أول كل سورة فكل سورة كتاب مستقل كهي فهي للسور كالبرنامج[30] للسلع فكل سورة كسلعة مغنية لكل خلق الله فالبسملة أنموذجها ينظر فيها العارف وبها جميع ما فيها فافهمه ولاشتمالها على التيمن بكل اسم لله تعلقًا وتخلقًا وتأمنا بها من كل آفة فإن الاسم الأقدس إن أشرق في القلب أسعد وأزال ظلام الذنوب والغفلات كإشراق شمس مع ظلمة ليل فلا تظن أنه يبقى في العبد ومعه ظلام المخالفات والغفلات كما لا يبقى ظلام مع إشراق شمس ووسخ مع طهور فالحمد لله ذاتًا وصفةً واسمًا وفعلاً ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ سلطان له بطش ورحمة وإنعام وقهر وغلبة في كل يوم من أيام الدين من الزمن الذي كلف فيه بإقامة الدين وهو مدة الأبد فالأبد استمرار وجود الله بعد نفوذ قدرته إلى ما لا نهاية به فهو ملك ظاهر القهر والإحسان مدة استيلائه على الملك والعرش الأبدي لا غيره فملك غيره من أمراء خلقه إعارة منه تعالى له فلا ملك في الحقيقة إلا هو الله فالدين العمل بالشرع وجزاء العمل **كما تدين تدان**[31] فالشرع منوط بالتكليف وبقي بعد التكليف الندب

فالعارف لا ينزع يده في الشريعة في الدنيا وفي الآخرة وهي حلته وحليته فهي الوصلة لربنا فلا يوصل إلى الحق تعالى وصولا شرعيًا لا عقليًا ولا عاديًا إلا بأربعة حقوق الحق الأول الشريعة والثاني العمل بها والثالث استصحاب الرسول صلى الله

[30] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة البرناميج

[31] أحمد والبيهقي عن أبي قلابة عبد الله بن زيد رضي الله عنه.

عليه وسلم ولو كان من كان فلا بد له من وساطته وشفاعته فمن أراد الوصول على غير يديه ضل وتحير والرابع ترك الغرض العادي مع الله بحيث لا يحمله على أنواع العبادة إلا الغلبة والقهر فاستحقاق لأن يعبد فمحبة ذاته تعالى وطلبه أن يحبه ربه فامتثال أمره تعالى فالأول أعلى ثم الذي يليه فمن استوفى الحقوق وصل وإلا ضلّ وبقي إما مع المراتب الولائية أو الأرواح أو الكشوفات أو الأنوار أو الانفعالات بالهمة أو بالجنة أو بالفوز أو بالعبادة إلى آخر القواطع في سوق المقربين فكل ما يشغله عن ملامحة وجه ربه فيها فهو عند المقربين شيطان فمن طلب وصولا بغير الشريعة نادت عليه نفسه بالخسران الذي تطلبه أمامك ﴿**وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ**﴾[32] فلا وصول له حسيًا أبدًا فإنه حق وغيره باطل ذاهب عند بدوّ حقّيته تعالى فالحمد لله على البرزخ الأعظم صلى الله عليه وسلم الذي حجبنا عن إزهاق وجودنا بقوة برزخيته صلى الله عليه وسلم فلابد لكل واصل من برزخيته وصولة نور مقامه فبرسولنا نقف بين يدي ربنا فوجوده ناصر لوجودنا لولا وجوده لوقع لوجود الأكوان مثل ما يقع لليل عند شروق شمس وقرئ مالك وصف في يوم الدين وهو الدهر كله ففي زمن التكليف كلفنا بإقامة الدين الذي هو الشرع وهو كما تدين وبعد زوال التكليف في الآخرة يديننا ربنا يجازي عباده فضلا على أعمالهم ونياتهم فلم ير الحق الدنيا أهلاً لجزاء المؤمنين لفنائها ولا جزاءً للكافرين فحقت كلمته تعالى في الآخرة فيخلد المؤمن في الجنة بنيته والكافر في النار بنيته فلا يخلد إلا النية فلما كان المؤمن لا ينوي الإصرار على الذنب أبدا بل يحدث نفسه بالإقلاع لم يخلد بالذنب تفضل الله في الدنيا بالملك المجازي ملك الانتفاع فقط ولم يبح الملك في الآخرة فلا يقدر أحد أن يقول لي كذا ﴿**لِمَنِ**

[32] النجم 4

﴿الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[33] فما سوى الله مملوك مقهور بقبضة ملك الله يفعل فيه وبه ما يشاءُ. فأول المحدثين المتعينين في حضرة التمييز الإلهي في وقت الشؤون الثابتة في علم الله وفي عالم فجر بحر الحقائق وفي عالم نسخ الذر وفي عالم الأرواح سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم وهو سيد المحدثين وأول العابدين وإمام المحسنين وأول من سن الحمد والشكر والعبادة فهو إمام الأنبياء في جوهرة الإحسان ثم أمر باتّباع الأنبياء قبله في الأخلاق وهو الطريقة فأمر بإتمام الأخلاق التي طلبت من العبد فلم تستكمل الأخلاق قبله في أحد وهو أول من استتمها فورثه خلفاؤه. ثم إن لكل نبي شريعة تخصه إما خالصة له أو تبعًا لغيره فهو دولة أسماء الله ومنه وجدت الخلائق كلهم من غير استثناء فالحمد المطلق أعظم وهو تقديسه لذاته بحيث تنظر إلى ذاته تعالى عرية عن تعقلها وتعقل النسب وهو الحمد لله ولصفاته بحيث تنظر إلى الذات مع نسب الملك فأولاً لاحظته من حيث ذاته فقط ولم تلامح مالكيته وهو النظر في مقام كنزه: كنت كنزًا لم أعرف، وهو الرحمن الرحيم قبل ملاحظة التعلق ثم الحمد المقيد بملاحظة تعلق صفاته بمقتضياتها وهي الأسماء فالأسماء تقتضي دولة ظهورها وهو رب العالمين وهو الحمد لأسمائه وهو الشكر بحيث تستحضر بعقلك إنعامه الذي برز من ذاته تعالى من حيث هو لك أو لغيرك فكل ما برز منه تعالى نعمة وجب شكرها. فلولا الكفر ما عرف الإيمان فلولا الموت ما عرفت الحياة فلولا الآخرة ما عرفت الدنيا دنيا ولولا المرأة ما عرف الرجل ولولا العطش ما عرف الري إلى آخر الأضداد. مالك يوم الدين الحمد لأفعاله تعالى فلا فعل لغيره أيًا كان وإنما لنا حالة وسطى بين[34] الكسب والاختيار خلق لنا العينين والأنف بينهما لننظر باليمنى فعل ربنا

[33] غافر 16

[34] محذوفة من الطبعة الأولى بدرب غلف

حقيقة وحكمة وأدبًا ولننظر باليسرى فعل نفسنا وهو الكسب والمباشرة وحكمة الأنف ألا يشغل أحد البصرين الآخر فالناظر باليمنى فقط ظالم جاهل جبري فلم يزن بالقسطاس الشرعي والناظر باليسرى فقط ظالم باخس حق نفسه جاهل معتزلي فالناظر بهما عالم راسخ عارف ولي لله سنّي وازن بالقسطاس المستقيم ﴿**جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا**﴾[35] فالسابق في الجنة والمقتصد في الجنة وظالم لنفسه بالجهل بحيث رضي حضيض الجهل ولم يسأل أهل العلم الراسخين المقتصدين فيها فإن عمل حسنة نظر إليها حقيقة وأدبًا من الله وإن سيئة نظر إليها بعين اليسرى أدبًا وشرعًا: **بروا آبائكم تبركم أبنائكم، عفّوا عن نساء الناس تعفّ نساؤكم**[36]، المرء مقتول بما قتل به إن سيفا فسيف وإن خنجرا فخنجر فالجزاء من جنس العمل، في الدنيا في الحدود والقود وفي الآخرة: **لا يبني بيتي من يسفك دماء عبيدي. فلو خلقته لرحمته** قيل لموسى عليه السلام. فيجب أن نشكر ربنا على كل فعل برز من ذاته تفضلا فما أظهره إلا لنا فالنار تسخن نعم الجنان فبدرجة الكفر يعرف المؤمن حق الإيمان فبإبليس ميز الله مراتب المهتدين من المنافقين والجاهلين فالحقائق الإنسانية والجانية بين يدي ربنا فإبليس وجنوده بمنزلة كلب صيد وعذاب قال له تعالى فكلّ من غفل عن ذكري فعليك به فتارة يقتنصه ويلعب به بين يدي ربنا من غير توبة إن سبق عليه الكلمة وتارة يجفله فقط وتارة لا يلتفت إليه لعلمه أنه كلب مسخوط إنما يطلب من يؤانسه في غضب ربه ﴿**إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ**﴾[37] فالدين من حيث الجزاء والملة من حيث الإملاء والإملال من الملك والشرع من حيث البيان والظهور والمذهب من حيث ذهاب العقول له، فالشريعة

---

[35] البقرة 143

[36] الطبراني في المعجم الأوسط عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

[37] النحل 100

تحلية ظاهر الجسد بالوظائف التكليفية والطريقة تحلية باطن المكلف بالأخلاق الحسان النبوية من عزم وصبر وعفو ﴿**فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾[38] ﴿**وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ للصَّابِرِينَ**﴾[39] فالشريعة: ﴿**وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ**﴾[40]. فالطريقة: ﴿**وَلَئِن صَبَرْتُم**﴾، **صل من قطعك وأعط لمن حرمك واعف عمن ظلمك**[41]. فالحقيقة: **ما أصابك في الأزل لم يكن ليخطئك وما أخطاك لم يكن ليصيبك**[42]، ﴿**وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ**﴾[43] ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ**﴾[44]. فالشريعة أم والطريقة بنت والحقيقة ذوق ومراقبة ومشاهدة وعيان. فالشريعة قشر لوز والطريقة لب والحقيقة أكل وذوق فصاحب مقام الشريعة تابع للعلم والطريقة راكب عليه والحقيقة آكل له فصار له حالاً فالإيمان مقدمة صغرى والإسلام شريعة مقدمة كبرى فالحقيقة النتيجة المندرجة في الحد الوسط فمقام الفقيه الشريعة كأساس الدار ومقام الصوفي الطريقة إيمان بيت السكنى ومقام المقرب العارف بربه الحقيقة إحسان فأول مراتب الإسلام التوبة ثم الاستقامة ثم التقوى فالتوبة والاستقامة مقدمتان والتقوى النتيجة المقصودة في كل شيء فهي نهاية الفقيه شيخ الجماعة فالإخلاص والصدق مقدمتان في مواقف الإيمان والطمأنينة النتيجة فلا يكمل صاحب كل موقف إلا في نهايته ثم إن زاد نوره ارتقى إلى ما بعد فالفقيه الكامل إن ارتقى صار صوفيًا والصوفي الكامل إن ارتقى صار عارفًا

---

[38] فصلت 34

[39] النحل 126

[40] النحل 126

[41] أحمد والطبراني عن عقبة بن عامر رضي الله عنه

[42] أبو داود وابن ماجه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه

[43] النحل 127

[44] الأنفال 17

فالكمالات بيد الله وهي جزاءُ الأعمال فلا يرى السالك إلا أنوار حسناته فهي التي تشرق له فإنه قصدها والصوفي يرى أنوار اجتهاده وإشراقات نفوسه المزكات فالعارف يرى الحقائق من حيث هي يرى في الحروف المدلولات وفي الأدلة ناصب الدلالات وخالقها فلا يشغله الحق عن الخلق ولا الخلق عن الحق لانصباغه للأقدسيات وطهارته من الغفلات ومراقبته ما يرد عليه من أسنى الحضرات فلا يوجد العبد إلا باسم الله ولا يكمل إلا بمعرفة الله ولا تكمل معرفته إلا بصفات الله وأسمائه وبحمده بما حمد به نفسه من عظمة أسمائه فالعلم سابق عن العمل فإذا علمت أنه تعالى إنما وجدت الأشياء بأسمائه وحصلت به على نهاية مقام السنّة وتبرأت به من كل بدعة وجهل وحمدته شاكرًا لأنعمه بما أثنى به على نفسه قلبًا وقالبًا حيث علمت أن الكون كله مضطر لله تعالى وملتجئ به ومحتم بأسمائه ومعتمد على بحر امتنانه وعلمت أن الاسم الله موجد ومعدم وأن الرحمن موجد فقط وأن الرب ممد ومصلح وأن الملك قاهر غالب على أمره لا يكون إلا مراده ومراد غيره مضمحل في حيطة الإهمال والإعدام بالله وعلمت أن حضرة الأبد إنما برزت من فيضة الحب الإلهي وهو إرادة الإحسان إلى غيره: **كنت كنزًا لم أعرف فأحببت أن أعرف**. يعني فخلق من يعرفه بوصفي كرمه إلى طائفة وخلقها له والانتقام في طائفة خلقها له والكل كماله فتحقق لك أن الملك الإلهي بمنزلة حجر ثلج أوّله ماء وآخره ماء وظاهره ماء وباطنه ماء. فأول الكون اسم الله قبل الانعقاد كونًا وظاهره ظاهر الاسم الله وباطنه باطن الاسم الله وآخره الاسم الله فلا يوجد شيءٌ خرج عن الله فالحقائق تفسير لرموز الله والكون دولته وسره وخلقه ورتبته ومحل تجليه فالمالك عليه عظيم مع قطع النظر عن عظمة الرب تعالى وأما إن اعتبرتها يظهر لك الملك هباء في هباء وخيالا في خيال وسرابًا في سراب وعمًى في عمى ثم إنه صفات في القلب مع بقاء الحقائق في محلها فإذا علمت أن الله هو الملك وغيره ملكه استعظمت جلاله مع قطع النظر عن نفسك يا داوود خل نفسك وتعال

أي لوازمها فاعبدني لإلهانيتي يعني لا لعبوديتك فإنك مضطر هباء هالك وجود مبني على الجواز والعدم فركنك العدم وهو هيولاك ومعينك من حضرة الجواز الله فقط اتضح لك أنه يجب عليك كمال التضرع والالتجاء والاحتماء والتعوذ به من غيره من كل فاتن ولا تقصد غيره لضعفه ولكمال افتقاره إلى الله فتقول بعد رمي ما سواه في حضرة العجز والضعف أيًا كان إلا بالله لا حول ولا قوة إلا بالله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي نعبدك لا غيرك لا نقصد غيرك فأنت المقصود في حضرات الأنبياء والوسائط والنعم لا تأثير لغيرك ولا نفع ولا ضر بذاته إلا بك فأنت الفاعل وغيرك مفعول فلا تنقلب الحقائق أبدًا ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾[45] أي حقائق أنوار الاسم الله من كل موجود ومعدوم ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾[46] وهو الحكم على عباده فمن حكم عليه بأنه ذكر لا يكون أنثى أبدًا وبالسعادة لا يشقى أبدًا وبالشقاء لا يسعد أبدًا فالسعيد ظاهرًا قد يشقى والشقي ظاهرًا قد يسعد فله لقب الله المشركين قبل الإسلام بألقاب الكافرين كأبي سفيان حتى أذعن للإسلام وإنما لقبهم لتظهر فائدة المرسلين المبلغين حيث هم وليثابوا على تبليغهم كسبًا لولا الواسطة وهي الأسباب الشرعية كما قيل لذهب الموسوط أشكركم للناس أشكركم لله ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾[47] وقس جميع من تسبب في وجودك وعلمك وإيمانك وخيرك ثم إن المعبود هو مسبب الأسباب: ترك الأسباب معصية والاتكال عليها كفر، فالرسول إنما هو قاسم موصل ما أمر بتوصيله فالله خالق له ولغيره أجرامًا وأعراضًا فله أمرنا الرسول أن نقول ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ عبد تذلل فهو عابد عبادة أي تذللا فالعبادة إسلام شريعة وهي تذلل الظاهر عبد عبودة صار له التذلل خلقا غريزيا وهي إحسان مقام المراقبة والمشاهدة والمعاينة القلبية

---

[45] الروم 30

[46] ق 29

[47] لقمان 14

فإذا نسبت صارت عبودية أي اتصافه بالعبودية وهي إيمان طريقة وهي كمال الانقياد والاستسلام ظاهرًا وباطنا وباطن باطن فالظاهر معانقة العبادة كصلاة وما رجع إليها من جميع ما يتقرب به إلى الرب تعالى فإن جميع ما يتقرب به إلى الله راجع إلى الصلاة التي هي خدمة الله في أرضه والوصلة بيننا وبين ربنا وهي راجعة إلى ذكر الله وهو راجع إلى قصد الحمد وتمام الثناء بما هو أهله في أسمائه الدالة على كمال غناه عن غيره وكمال افتقار غيره إليه وهو الحمد فالحقائق من حيث هي آلة لحمد الله بأسمائه وكلامه في جبروت أسرارهم وملكوت أرواحهم وملك نفوسهم وناسوت أجسادهم فلا تعلم غيره وإنما تجلى بكمالاته في ألسنة شرائعه وأمر كل من أبرزه أن يحمده بما ألهمه من صفات قدسه فتقديس الحقائق إياه علمُها بأن وجودها ولوازمها منوط به تعالى وأنه غني عنا ثم بعد العلم أنطقها بأسماءه الدالات على كماله وأن غيره ميت وإن حي فتقديسه تعالى إيانا تعليم قلوبنا وأسرارنا بأنه قدوس فعين العلم به هو التجرد مما سواه فكل ناطق وصامت حامد مقدس لله تعالى فإن الكون من حيث هو علم كمال افتقاره إلى الله فتذللنا للأنبياء والأمراء والعلماء والأولياء مع اعتقادنا ضعفهم ومفعوليتهم وأنهم تحت قهر الله وطلب الحوائج على أيديهم معتقدين وساطتهم بحيث يدعون لنا ربنا ويطلبون لنا فضله فلا يلزمه شيء فإنه غالب على أمره طاعة لله ولرسوله ﴿**مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّه**﴾[48] فلا نعتقد الألوهية التي هي كمال الاستغناء إلا في الله وغيره مفعول لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعا فالله وحده هو المستحق لأن يعبد وتتذلل حقائق الخلائق إلى حقيقته ومرتبتهم لمرتبته فالمعبود هو الذات الموصوفة بالصفات والأسماء فمن عبد الصفة فقط كفر أو الاسم فقط فسق فالمعلوم تمام العلم مرتبته الربوبية فالكنه عمى لم يكلف أحد بتعقله بل

---

[48] النساء 80

تضمحل العقول عند التوجه للتفكر في ذاته وهو حرام وإنما يتفكر في آلائه فقط فإذا بدت صفته زالت رسوم الأفكار والعقول وإياك أن تتسبب في إزالة عقلك بالخوض في بحر الذات فإنه إنما يرى من حيث لا فكر ولا حاسة بإزالة رسومها وأطلالها بتجل إلهي ثم بعده بفيض أقدسي يقدسك من غيره حتى لا تكون أنت ولا غيرك فيتفضل بما أراد بعده من حيث لا وجود لك وهي حالة اختص بها المقربون المحبوبون ثم إنه لما فنيت بالعلم في قلبك رسوم الأبد وأهله وأزالت سحائب رعده وبرقه وصواعق جلاله وشموس جماله ناسوتا وملكا وملكوتا وجبروتا وأدخلك مخدع الأنس والخطاب

[**قلت**] به مستحضرًا حضرته من ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ**﴾[49] ﴿**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**﴾[50] وعاينت قيامة الحقائق كلها حتى لم يبق إلا الله معك إياك بالخطاب فلا يخاطبنا إلا الحاضر فلا يتصور عقلا ولا شرعا وجود غيرك فضلا أن يعبد ويقصد للمهمات فقدمت المفعول تبعا لله فيه اهتماما به وحصرًا للعبادة عليه فلا تضرك بعده الوسائط لفنائها في بساط الحقائق وإنما تشاهد في بساط الشرائع فالخبز في بساط سوق الأسباب مشبع لا في سوق الحقائق فالأسباب نسب شرعية فلابد من مراعاتها ولا تأثير لها ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ**﴾ بما أمرتنا أن نعبدك به وهو ما أدليته على رسولنا القرآن المبين لنا بحديث نبيك أقوالا وأفعالا وتقريرًا فلا نعبدك إلا بما ثبت بخطابك فالعبادة افتقارنا إليك طالبين بحقائقنا ما ضمنته سيادتك إظهارًا للعبودية والافتقار فقط عالمين بك أن القسم الأزلي لا يتبدل فالدعاء ركن العبادة والحضور مخها والأدب أصلها فلا نوحد عبادتنا إلا إليك فالتوحيد إخلاص الوجهة والعمل لك فلا نوحدك إلا بك لا بعقلنا فالعقل لا يستبد بالحكم وإنما يدرك حكمك بك ومنك فالكل

---

[49] الحديد 4

[50] ق 16

عليك عرفتنا بنفسك ونصبت دلائل توحيدك في نفوسنا وأجسادنا وقلوبنا وأرواحنا وأسرارنا فيك لا نشاهد غيرك فاعلا ولا واحدًا فغيرك خيمة خلقتها لعبيدك ليحمدوك ويكبروك ويقدسوك ويسبحوك فالخيمة سور المسبحين فالرسول يهدي إلى إحسانك وإبليس يدعو إلى انتقامك وهما كمالك ﴿**مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ**﴾[51] ما على الشيطان إلا الوسوسة فالهداية والغواية بك ومنك والكل مسخر لكمالك فألطف بكونك فإنه لو ذاب ورجع إلى أصله العدم ما أدّى حق نعمة واحدة من ربوبيتك فكيف بنعمة الإيجاد والإيمان والإمداد والبعث للرسل والكتب للكتب فرحمة الوجود خير من ظلمة العدم فقد وحدناك وميزنا الأسباب والوسائط بك حيث استعظمت في نظرنا جلالك وصغرت المفعول من حيث هو في نظرنا فغيرك مركب محتاج إليك فعبادتنا إنما تكون بما شرعته وهي بك مخلوقة ومضافة فلا أثر لمخلوق أيا كان في ملكك فأنت الواحد في ذاتك الأحد في صفتك الصمد والمصمود إليه والغني عن كل ما سواه الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤًا أحد أمرتنا بالقيام فقمنا بك فلو منعنا شرعك ما قمنا وبالركوع فركعنا بك لك وبالسجود فسجدنا بك لك وبأنواع القربات فامتثلنا بك لك منك لولا أنك شرعت ما عرفنا فرسولك هو الذي بلغ خطابك على ما أمرته به فصل لنا عليه وسلم وعلى أمته فلا نشاهد إلا إياك ولا نعاين إلا إياك ولا نراقب إلا إياك فأنت المعبود في الحضرات كلها ولا نخاف غيرك فالدنيا دارك أسكنتنا فيها فلا منة لها علينا فالمنة لك أنت المنعم أثقلتها بجبال الأنبياء والأولياء وأرسيتها بالعلماء أهل خوف مقامك وأسمكتها لنا بالطباق السبع السماوات[52] إعظامًا لنا وإن كنا ضعفنا فأنت كرمتنا فلك نهاية الحمد والشكر وملأت السماوات والأرضين بالملائكة

[51] المائدة 99

[52] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة السماوت

وأسجدتهم لأبينا آدم فصيرته سلالة لأولاده مدة الأبد فسخرت لنا الملائكة لأرزاقنا وللصلاة وراءنا والاستغفار لنا وسخرت لنا صفوة الخلق الأنبياء والملائكة والعلماء فريق يدلنا عليك وفريق يحرسنا ويحرس أعمالنا يحصيها لنا وخلقت لنا الجنة وصيرتها دارًا للمتقين الشرك خلودا فضلا وأسمكتها بالعرش العظيم صونًا لنا من صولة أنوارك وخلقت أجسادنا من الناسوت كما خلقت الناسوت من جسد سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم الذي خلقتنا على صورته ومن جنسه وخلقت الأرواح من عالم أمرك فلم تقهرها بعرش ولا بغيره وجعلت لذاتها وجهك العظيم فخلقت العوالم من وراء العرش صيانة لنا كما خلقت مرتبة سيدنا محمّد صدفًا وصوانًا لكل ذرات المقدور فلم تخرج حقيقة عن حقيقته فإنك لم ترده بل أوجدتها منه صلى الله عليه وسلم صيانة لحقائق الموجودات فتجليت فيه بكمال ذاتك كما تجليت في روحه بكمال صفاتك وكما تجليت في ذاته بكمال أسمائك فأشهدتنا من بحر عظمتك ملكك بيضة مصونة برسولك محاطة بيدك مقبوضة بقدرتك فلا تخرج حقيقة عن قدرتك إياك نوحد وإليك نوحد رجاءنا وعبادتنا ومهماتنا وبالقرآن وقفنا بين يديك فعلمنا بك بأنك تتجلى في أي حقيقة أردت فلا يحكم عليك العقل إلا بما حكمت وأوصلته لنا في كتابك فأنواع العبادة كثيرة قال نبيك: **إذا أمرتكم بأمر فافعلوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عنه فانتهوا**[53]، فقد امتثلنا بك وانتهينا فأنت تسكّننا وتحرّكنا فعليك اعتماد الكل والتكلان فالكافر وإن لم يجب داعي أمرك فقد أجاب داعي سلطانك ونحن وإن تبعنا هوانا واقتحمنا بنفوسنا ما نهيتنا عنه استزلالاً من هوى نفوسنا وشيطاننا فلم يقصد أحد من إخواننا المؤمنين معصيتك وإنما ألهتنا سكرة نفوسنا فقد أطعناك في أعز الأشياء إليك وهو الإيمان بما أنزلت على يد من أرسلت فلم نعرف وجود الكون إلا

[53] البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه باختلاف يسير

من القرآن فلما أغرقتنا في بحر **إياك** الوجود الحق ابتداءً وآنستنا بخطاب الكاف اضمحلت بك رسوم الأغيار فانفنت وزالت في قلوبنا أستار الحقائق فعايناك وجه كل حقيقة فانصبغت بك ماهيتنا وحقائقنا وأجسادنا وأرواحنا[54] وأسرارنا فأنعشتنا بلذيذ خطابك إياك فنقلتنا من **إياك** إلى **نعبد** فعاينا من نعبد حقائق ملكك من حيث هو فلم يغب بك علينا شيءٌ فآمنا بك بوجود المفعولات بعد أن أسكرتنا في بحر إياك شهادتنا ونعبد غيبنا وأدرجت عبادتنا في عبادة كل حقيقة طوعًا أو كرهًا فاستفدنا منك بك أنك أثبتنا على الحقائق الملكية وقبلت عبادتنا نيابة عنها كلها تشريفًا للمومنين من حيث هم وإبطالاً لأباطيل شبه جهل الضالين المشركين والجاحدين لنبوات الرسل فما نتحرك بطاعتك من حيث هي إلا ونقصد منك النيابة عن حقائقنا وحقائق كل مقدور تعظيمًا للمحقين وإهانة للمبطلين فأنت الذي سننت بنون الجمع فاجتمعت ماهيتنا بماهية الحقائق كلها فما حسن بك هو ما ظهر من ذواتنا وما نجس هو ما نجس من ذواتنا فكما نقف بين يديك بذاتنا المشتملة على ما علمته منا بك كذلك وقفنا بين يديك بحقائق ملكك المشتملة على الإيمان والكفر. فالإيمان طهارة والكفر نجاسة فالكل كمالك فما قدرنا عليه غسلناه بماء غيبك وما عجزنا عنه رجعنا إليك بالتوبة والضراعة فالكفر في الفترات كالنجس في الباطن قبل أن يخرج لا حكم عليه إلا أنه معفو عنه فضلا منك والنجس الخارج عليه حكم التحريم لصاحب الوسع وللعاجز الرخصة يقف به بين يدي ربه فلم تكلف أحدًا فضلا منك إلا وسعه فلا تهمل النيابة عن النجس الظاهر كالكفر بعد نبينا لعدم طاقتنا على إذهابه شرعًا لثباته في بحر الحقيقة فذرات موجوداتك ومعدوماتك توحدك طوعًا أو كرهًا فأنبتنا منابهم فلك تمام الحمد والشكر فمن إدلاء نون الجمع شاهدنا ألسنة الحقائق

[54] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة أراحنا

تسبحك وتقدس لك فما بقي إلا الاستسلام لك فبك أشهدناك بأننا بفضلك آمنا بك وكفرنا بغيرك اعتمادًا وشوقًا وميلاً فأنت محبوبنا لا غير ووجود مفعولك نحب فيه ما أمرتنا في كتابك بحبه ونكره الكفر والفسوق والعصيان بك لك ومن فضلك بكل ما عبدت على ألسنة الشرائع وأهلها عبدناك وسبحناك فاجتمعت فينا بك حقائق ملكك فنشاهد بك الملك من حيث عينية صورتنا ولم تخرج بك حقيقة عن حقيقتنا فصارت ذاتنا بك غيبا مومنا به ووجهك في كل حقيقة مشاهدتنا فالكون من حيث هو يتيم في يد الإنسان الذي أكملته بصورة الرحمن الاسم الأعظم وشربت له نقطة العلم ونسخة برزخ البرازخ صلى الله عليه وسلم وهو مقام الأمانة الكبرى فبمقام إياك نعبد توسلنا إليك وهو وقوفنا في خط الاستقامة والاعتدال بما أكرمتنا به توحيد وجهتنا إياك وعبادتنا إياك وإقبالنا إليك فنمسح ليتيمنا ما أقدرتنا عليه من الفواحش والقاذورات بالحجج والبراهين وبالسيف واللين والغلظة على حسب علة كتابك ونبيك وإن كنت قد مكرت بنا في كل شيء أمرتنا بالأمر والنهي ولم تجعل لنا في سوق الحقيقة شيئًا ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ**﴾[55] وهو قاطع لدعوى الداعين: **بعثت داعيًا فليس لي من الهداية شيءٌ وبعث إبليس [مزيّنا]**[56] **وليس له من الغواية شيءٌ**[57]، فمكرك صفة كمال عرفناها وآمنا بها فمعنى المجاهد عليه زبر دالية ملك الله للإصلاح لا التشفي فمن تشفى فلا جهاد له فكل من يتشفى من الدالين إلى الله وعليه ممكور به مدسوس في أمره ونهيه سم قاطع عن حضرة الأدباء مع ربهم وهو ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ**

[55] آل عمران 128

[56] لم ترد في الطبعة الأولى بدرب غلف

[57] ابن حبان عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

شَيْءٌ﴾[58] ﴿مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾[59] ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ولا نريد ولا نطلب ولا نقصد ولا نرجو إعانة وتوفيقًا وهديًا إلا منك فإنك أفنيتنا في جمالك وأسكرتنا بجلالك فلا يخطر غيرك في قلوبنا بك وجود غير إلا على وجه وجود مفعولك ومقهورك فضلاً أن نعتمده ونلامحه معك فمعيتك التي قامت بها أسرارنا وحقائقنا أعدمت في قلوبنا الأغيار والأجرام والأعراض فأنت أوجدتنا مع استغنائك عنا فضلاً قبل عملنا وأدبنا وطلبنا فالعمل والأدب والطلب سبب شرعي لا غير آمنا به وعانقناه وسعنا فأنت خلقته وحكمت به علينا فرضينا به فلا نطلب أن يعيننا على ما طوقته لنا من التسبيح والتقديس ومن العلم بأن كل شيءٍ إنما وجد بأسمائك الدالات على ذاتك الفعالة ما أرادت بمراتب أسمائك ومن حمدك وشكرك لذاتك الحمد المطلق ولصفاتك وأسمائك وأفعالك التي أبرزتها ذاتك المتقدسة المتعالية المتكبرة الغالبة على أمرك ومن أنواع العبادة الاضطرارية والاختيارية التي هي حضرة الفرائض والنوافل وإلا ففي الحقيقة كل عبادة اضطرارية لأن ما تعلق به العلم والحكم يستحيل عدمه فقد حصرت لنا الطلب منك وحرمت علينا طلب غيرك والاعتماد عليه من نفس وجرم وعرض فلا يعين غيرك في إخراج نفس فضلا أن يخلق صغيرًا أو كبيرًا فإنما الإيجاد من حيث هو منك فآمنا بأنك أمرتنا ألا نطلب بألسنتنا وأرواحنا وأسرارنا ونفوسنا الإعانة من غيرك إعانة حقيقية لا سببية فإنك تفضلت بحضرة الأسباب وأنطت بها الأحكام الشرعية وحرمت الوصول إليك إلا على يد رسولك الأمين بالعمل بمقتضى شريعته المتوسل بها إلى صفاء صفوة نور القدس يا عبادي قولوا ظاهرًا وباطنًا وباطن باطن وإياك نستعين فلا تقبل من الظواهر إلا ما وافق البواطن فالاستعانة عليه بغيرك

---

[58] آل عمران 128

[59] المائدة 99

حرام إلا في سوق الأسباب الشرعية فإن السبب مخلوق للمسبّب بالكسر تعالى فكما أن أحدنا يعلم أنه ولد أبيه وأمه الراجعين إلى آدم وحواء فإن أحب أن يكون ولد آدم من غير وساطة أبيه وأمه عصى الله وعقّ أبويه وأهمل ﴿**أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ**﴾ ﴿**وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾[60] فهو عقوق وإذاية وإهمال لحلة الشرع فإن جعلتنا في سوق الأسباب شاهدناك فيه مسببًا فعالاً للأسباب والمسببات فإن السبب والمسبب بالفتح مفتقرًا إليك فلك أن تخلق سببًا بلا مسبب كالزوجين العقيمين ﴿**وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا**﴾[61] ولك أن تخلق مسببًا بلا سبب كآدم وحواء وعيسى وإن جعلتنا في بساط الفضل أعميتنا عن الأسباب والمسببات وإن جعلتنا في بساط الحقيقة شاهدناك وحدك فأجسادنا بأرواحها الحيوانية مع الشريعة حضرة الأسباب وأرواحنا الناطقة مع الاستسلام والتفويض وأرواحنا القدسية التي هي عين أسرارنا مع مسبب الأسباب وخالقها فالشريعة حلة ظاهرنا والطريقة التي هي كمال الإقبال إليك حلة باطننا والحقيقة التي هي مراقبتك ومشاهدتك ومعاينتك في كل شيءٍ بكل شيءٍ مع كل شيءٍ عن كل شيءٍ ذوقًا بك وأنسًا لمجلاة[62] مرآتك العظيمة حلة أسرارنا في كل نفس فلا تفتر بعونك كل حقائقنا على ما تجليت به فيها في دقائق الأبد فالجسد يعانق الشريعة والقلب يعانق الطريقة والسر يعانق الحقيقة بأقدسياتك فالمنة لك فلا منة لمخلوق علينا فأنت ربنا وخالقنا ومحيينا ومميتنا وباعثنا والمتفضل علينا فلا نرى إحسانا من غيرك فالوجود والإنعام من حيث هو منك وأنت الذي خلقت الرسل وسخرتهم لنا حتى بلغوا وأمدوا مما أمرتهم به وأكرمتهم به فالأنبياء صدقة على أممهم ورسولنا هدية لأمته فالشرائع منك والتبليغ منك والعمل والأدب منك والحول بك منك والقوة بتجليك

---

[60] الإسراء 23

[61] الشورى 50

[62] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة مجلات

فالحجاب حالة العمل رحمة منك وكشفه بك ومنك والملوك منك والعلماء منك علمتهم وكلفتهم وسخرتهم لنا فلا نرى غيرك محسنًا في الحقيقة إلا على وجه السببية الشرعية فالمستعان به هو أنت لا غير فأنت الحق وغيرك الباطل فالدواة المعبر عنها بنون قوتك وصفتك الجامعة لأجناس خلقك والمداد الساري في أجناس المقدور صبغ قوة أسمائك والقلم خليفتك محمّد صلى الله عليه وسلم فالإنشاء بكتب حروف الكون جواهر وأجرامًا وأعراضًا حلة قدرتك السارية في كل موجود فدخل في بحر **إياك نعبد** جميع أفراد العابدين وجميع أفراد المعبود به وفي الخطاب المعبود الحق تعالى عن الإدراك ومن إياك الذي وجوده بديهي ﴿**أَفِي اللَّهِ شَكٌّ**﴾[63] جميع المعتقدات في الله وفي رسله وفي **نعبد** جميع ما علم بالله وجوده من العابدين والمعبود به من جميع الشرائع وأسماء مراتبه واسمه الأعظم الكنز المطلسم. ودخل في **و إياك نستعين** الحقائق كلها **فإياك نعبد** مقام الأجساد بأرواحها الحيوانية **و إياك نستعين** مقام أسرار المقربين و**الصراط المستقيم** مقام القلوب والأرواح وهو الطريقة فأنت المستعان به والمتعوذ به والمتحصن به والحامي لنا من شرور الأقدار التي تسوقها أهواءُ نفوسنا فغيرك عندنا هباءٌ وبلاءٌ ابتليتنا بالرسل والكتب هل نقف عند حدك وشرعك وبالنعم هل نشكرك ونعترف بنعمك ونشهد بالعلم أنك الحاكم المطلوب في كل نعمة وابتليتنا بالمصائب هل نصبر ونرضى وأنت أعلم بضعفنا ﴿**وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ**﴾[64] فصبرنا عليك حرام وعلى غيرك واجب فكيف يتصور الصبر عنك وأنت قوام أرواحنا فأنت روح إنسانيتنا كما أن الروح القوة الربانية روح أجسادنا فالزهد عنك حرام وعن غيرك واجب إلا من حيث الشرع فإنك أوجدتنا جوفًا ضعافًا محتاجين إلى

[63] إبراهيم 10

[64] النحل 127

نعمك فهو إحواج منك إليك لا إلى نعمك فلا نستغني عن نعمك نفسًا واحدًا فهي قوتنا وبها قام وجودنا واحتياجنا عين تسبيحنا فإن الجسد عالم أنه لا يتحرك إلا بالروح والروح لا تبقى إلا بالأسماء الإلهية فالزهد ترك ما حرمته والأدب معانقة ما أبحته وشرعته فترك مباح مع الاحتياج إفراط والاشتغال به عن الله تفريط فالوسط السنة النبوية وهي إعطاءُ لكل ذي حق حقه ﴿**وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾[65] فالدنيا أمنا ومقيلنا ومطيتنا لربنا فالله نحمده على ما أولى وأباح ونوحده على ما نهى عنه فالعلماءُ إنما يغترفون من **إياك نعبد** والمقربون من و**إياك نستعين** ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ**﴾ وصلنا الصراط الطريق القويم محجة القرآن الوحي الجليّ والحديث الوحي الخفي وهو دين الإسلام ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ**﴾[66] فإنه ليس بصراط فضلا أن يكون قويمًا وهو طريق التوحيد توحيد الحق بحيث ننسب له الوحدة ﴿**وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ**﴾[67] بالله لا بعقولنا فإنها لا تهتدي إليه إلا بالله وتوحيد العمل والنية: **إنما الأعمال بالنيات**[68]، وتوحيد الصفات والاسم والفعل والمفعول فمنه تعالى نعاين الحقائق كلية وجزئية على ما هي عليه بربنا وأرشدنا إلى دين الإسلام في مقام الشريعة وأوصلنا مقام الطريقة وثبتنا على ما علمته حقيقة شرعية يا عبادي قولوا اللهم إنا نسألك بأسمائك ما علمنا منها وما لم نعلم أن تثبتنا على سبيل الدوام مدة الأبد على طريق حضرتك القدسية المجردة من لوازم النفس المستقيمة من حضرة الأسرار والأرواح والقلوب والنفوس والأجساد إلى حضرة مرتبتك الربوبية الإلهية التي اندرجت فيها حقائق الموجودات اندراج النخلة في النواة فإن لك بطونًا ولنا بك بطون ولك

---

[65] القصص 177

[66] آل عمران 85

[67] البقرة 163

[68] صحيح البخاري

مرتبة ولنا بك مرتبة فبطونك ذاتك كنز أبدًا فلا يعلمها إلا أنت وبطوننا ذاتنا المتعينة في علمك فلا يعلمها إلا أنت ومرتبتك الربوبية والألوهية ومرتبتنا بك العبودية فلوازم مرتبتك الإمداد ولوازم مرتبتنا بك الاستمداد فمرتبتنا تحب مرتبك وذاتنا تحب ذاتك ومعنانا يحب معناك فبك كنا منك فأنت أولنا وظاهرنا وباطننا وآخرنا وإليك رجوعنا ومنك كنا بك فلا إعانة من غيرك على الصراط المستقيم فنطلب الهداية التي هي التوفيق التي هي الحكمة فالحكم الشريعة والتوفيق حكمة والثبات رشد فالرسول صراط فالاهتداء إلى النجدين صراط فاتباع طرق الله الدنيوية والأخروية والشريعية والطريقية والحقيقية صراط مستقيم لما فيه رشد فأنفاسنا وخواطرنا بك رشد وصراط فإننا بك بايعناك مبايعة تامة عامة شاملة عمر أنفاس الأبد على أن تكون حركاتنا وسكناتنا ويقظاتنا ومنامنا وخواطرنا في طاعتك المستلزمة طاعة رسولك وكتابك المستلزمة طاعة أولي الأمر منا فأصل طريقة المسلمين الكاملين فيه من الأولياء ما أمرنا الله في أول كتابه بطلبه وهو الصراط المستقيم فمن حاد عنه مقتناه ظاهرًا ولا يعدّ من أهل الله فدخل في الصراط الكتب مائة صحيفة وأربعة كتب التي جمعها القرآن العظيم مع زيادات كاشتمال نبي القرآن على أخلاق الرسل وزيادات: إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق[69] ﴿**لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ**﴾[70] فالاستقامة كمال الاعتدال فالتوراة غلب عليها الظواهر والإنجيل الحقائق والزبور الرقائق بالأمثال والقرآن نتيجة الكتب الإلهية فالكتب مقدمات له فلما حصلت النتيجة والزبدة نسخت المقدمات فحرفتها ظاهرًا الكافرون ﴿**يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ**﴾[71] بعد إثباتها بالقرآن سبحانك لا يعلم الحقائق إلا أنت فلا حكم للتوراة وغيرها بعد تجلي الله بالقرآن

[69] أحمد والبخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة رضي الله عنه

[70] التوبة 33

[71] النساء 46

فافهمه فأرشدنا إلى إدخال الخلائق كلهم في دعائنا فمهمى كان الدعاء أعم كان للإجابة أقرب اللهم أهدنا معشر من سبق في علمك أنك تهديه فالصراط لغة الطريق فأطلق على كل ما يتوصل به إلى مطلوب محبوب من الأدلة الدالة على حضرة ربنا فالقرآن صفة الله فمن وصله وصل الله وهو حق لا حجاب فالدليل العقلي حجاب فلا يؤمن خطأه ﴿**جَاءَ الْحَقُّ**﴾ وهو القرآن والنبي ﴿**وَزَهَقَ الْبَاطِلُ**﴾[72] حكم القرآن الحق بذهاب واضمحلال وبطلان غير دين الإسلام ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ**﴾ فما عليه الرسل هو الحق. فالطرق ثلاثة طريق لمحض الجنة معوج من القلب إلى جهة اليمين وهي طريقة شاقة محفوفة بالمكاره وقف فيها الشياطين تستكرهها للسالكين فيها لأنها محفوفة بالمكاره الدينية من البلاء الإلهي وتزين لهم طريق النار المحفوفة بالشهوات وطريق النار برزت من القلب إلى اليسار وهي معوجة تمامها وهي طريقة سهلة حلوة محفوفة بالشهوات من نوم وكسل ولذة هوى النفس من حب الاتّصاف بصفات الله من كبر وعجب وأنانية وحب ممدحة إلى آخر صفات الله التي هي نجس باعتبار العبد وهي كمال باعتبار الحق سبحانه فالكامل من كل وجه هو الله والناقص من كل وجه هو العبد فلا خلاق له من الكمال إلا إن أعاره الله تعالى ما أراد وطريق حضرة القدس وهي طريقة باسمة مستقيمة من حضرة القلب العبد إلى حضرة الرب تعالى فلا يعرفها شيطان أصلاً وهي طريقة الصفاء من كدورات الأغراض والأعواض فالله لا يعبد لغرض بل لوجهه العظيم فكما خلقنا بلا غرض أمرنا أن نعبده بلا غرض وهو الإخلاص: كل الناس هلكى إلا العالمون وكل العالمين هلكى إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم، وهو خطر الأغراض

[72] الإسراء 81

فالسبب الحامل للمسلمين على أنواع القربات إما القهر للأعلين أو حب ذات الله أو ليحبه الله أو استحقاق لأن يعبد أو امتثال لأمر الله فهذه الأسباب الباعثة على العمل هي التي تسام في سوق المقربين وأما الجنة أو النار أو الولاية أو البركة والسر فشيءٌ يباع في سوق عامة المؤمنين. فالقرآن نزل للسلوك والتفهم والتعبد به والإعجاز فالصراط المستقيم هو طريق الأنبياء والصديقين ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بالعلم والمعرفة والعمل والأدب والإخلاص والنبوة والولاية والعبودية الصرفة ﴿**مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ**﴾ فكل مؤمن صالح ﴿**وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا**﴾[73] ما أحسن رفقتهم وأحسن برفقتهم في زمن الدهر كله فالمؤمنون الكاملون منعم عليهم من كل من سنّ سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالدالّ على الله ناصح وعلى العمل متعب وعلى غير الله غاشّ مخادع فأقدام الأنبياء أخلاقًا سنّة شرعية وأقدام الرسل سنن: إن لله ثلاثمائة وثلاثة عشر طريقًا فمن علق بواحدة دخل الجنة فأقدام كل صحابيّ على أقدام الرسل: أصحابي كالنجوم بأيهم اقديتم اهتديتم[74]، فعدد الأنبياء والنجوم وأصحاب نبينا مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا فكلها طرق الرسل وطريق رسولنا صلى الله عليه وسلم فكلهم مستنون طرقًا فلكل واحد طريقة تخصه فمن تعلق بواحدة أصاب الحق والمجتهدون على نهج الصحابة في الاستنان فلا يخرج نظر واحد منهم على نظر الصحابة فله يحرم إحداث قول عليهم وإجماعهم إجماع حق فكل إجماع بعدهم إنما ينعقد على طريقة من طرقهم وإلا فلا عبرة بإجماع مفارق لهم فلا يمكن أن يوجد لعصمة إجماع العلماء: أمتي لا تتفق على

---

[73] النساء 69

[74] الإمام أحمد والدارقطني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

ضلال[75] أربعون أمة ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً**﴾[76] بمنزلة أمة رسولنا في العصمة من الخطإ ﴿**وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾[77] أغراض نفسه بعبادة ربه كخلاص هذه الأمة علمه بحالي يغني عن سؤالي ﴿**شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ**﴾[78] العصمة وتمام الصفاء والتجرد من أغراض نفسه كأبي بكر ومن ورثه فلذلك خصه النبي صلى الله عليه وسلم بالصلاة عليه والتبرك عليه فإنه هو الذي ﴿**سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ**﴾[79] وجود هذه الأمة نوه لأهل عصره بخيرة هذه الأمة المحمّدية وهو الخادم للحضرة المحمّدية فطريقة كل مجتهد ما اختاره لنفسه من الاحتياط في نظره فلم يلزم مجتهد على عموم الناس فإنه لا يقلد غيره ولا يخطئه فمن أراد اتباعه فيما اختاره لنفسه ولمن تبعه تبعه وإلا تبع غيره والكل حق صحيح فالشريعة شريعة واحدة والطريق شتى منها تفرعت والمحرم حقيقة مناقضة كل فرد من أفراد وخيار الصحابة فالألف واللام استغراقية لجنس حقائق الطرق المفرعة من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فمنه ننظر بعين التوفيق ملل الإسلام على حق فلا يخطّىء واحد منها فمن طلب وقصد الحق فهو على حق فمن وجده سمى موجوده حقًا فالبدعة الممنوعة البدعة الشرعية وهي ما لم يدخل تحت أصل من قواعد الدين وقصد صاحبها[80] العالم بها مناقضة الشرع فلا يوجد غالبًا لله الحمد فإن أحدث ما خرج ولم يعلم ولم يقصد سمي جاهلا يعلّم فلا عبرة بجهله ولا بها لأنها عن جهل والجهل عدم كما ترتب عنه وستفترق هذه الأمة إلى

---

[75] الترمذي والحاكم عن بن عمر رضي الله عنهما مرفوعا

[76] النحل 120

[77] النحل 120

[78] النحل 121

[79] الحج 78

[80] لعلها وقصد صاحبها أي صاحب البدعة العالم بها. وقد وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة صاحبه.

ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة[81] فهذه الأمة كل ما وجد من بعثته صلى الله عليه وسلم إلى قيام الساعة من الجن والإنس فالألف واللام جنسية فدخلت أمة الإجابة في علم الله وأمة الدعوة فأمة الإجابة أمة واحدة في الجنة لا يكفر أحد من أهل القبلة بذنب وهو مما أجمع عليه ولا يخلد في النار إلا نية تأبيد الكفر والشرك وبقية اثنين وسبعين فرقة في أمة الدعوة أجناس الكافرين المشركين والمعطلين والمنافقين والدهريين فالمشركون صوروا بأوهامهم الفاسدة تعدد الآلهة وحكموا عليها إلهًا واحدًا كبيرًا وهو الخلاق عندهم ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾[82] ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ**﴾[83] فالمعطلة حكموا على الله عقولهم فأدخلوه تحته فنزهوه من الصفات التي وصف بها نفسه من يد وقدم مثلا وهم شرهم والمنافقون أظهروا خلاف ما أبطنوه من الكفر فالدهرية أنكروا صانع العالم فقالوا الأكوان تتكون شيئًا فشيئًا حتى يكمل أمرها فتفنى ولا رجوع لها وهم أفحشهم فملل النار خلودًا إنما هم طوائف الكفر وقد وجدت ولله الحمد طوائف النار من أمة الدعوة وطهر الله أمة الإجابة المسلمين أمة مذنبة ورب غفور[84] فذنوبها تغفر بالتوبة والحسنات والنيات وأنواع الخير فالمؤمن من حيث هو ولي الله يد الله في يده على وجه المبايعة فلو أزيل الحجاب لرأيت يد الله على يد كل مؤمن ﴿**يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾[85] رضي الله عن هذه الأمة ورضوا عنه فكلما ازدادت هذه الأمة ازداد خيرها وآخرها أكثرها شمراخًا: **خير الأمة أولها وآخرها**[86]، إشارة إلى إسلام طوائف

[81] الطبراني في المعجم الأوسط عن أنس بن مالك رضي الله عنه

[82] الزمر 38

[83] الزمر 3

[84] الرافعي في تاريخه عن أنس بن مالك رضي الله عنه

[85] الفتح 10

[86] السيوطي في الجامع الصغير مرسلا عن عروة بن رويم اللخمي.

الكفر آخر هذه الأمة فاعلمه فمن يستخدم عقله مع الشرع يؤديه عقله إلى إنكار البعث كيف وكيف يلزم ويلزم فلا يلزم شيء البتة.

فهذه الأمة منعم عليها من ربها وخيّرها وكره لها الكفر والفسوق والعصيان فلا تحب إلا الإيمان ونتائجه: **بدىء الدين غريبًا وسيعود غريبا**[87]، أي قويًا متينًا كأصحابه وهو عدم النظر لكثرة خيره ونفاسة نتائجه وغلاته وقد عاد غريبًا قويا بالعلماء والأولياء والعباد وأهل الصدق والتمكين والرسوخ في الأدلة الشرعية فإنهم رضي الله عنهم غاصوا في بحار الشريعة حتى استخرجوا منها مثل طرائق الأنبياء فعبد الله فيها على أنفاسهم المستنبطة من أنفاسه صلى الله عليه وسلم فالطرق من أفعاله وأحكامه وتقريراته وأحواله[88] فهو صلى الله عليه وسلم كوثر الخيرات والقربات والملل الإسلامية فالأنبياء أولاد العلات أبوهم واحد جمعهم وصف الدلالة على الله على مقتضى علوم القرآن مائة ألف علم وستة وستين ألف علم تحت كل حرف منه فكل هذه االعلوم صراط مستقيم فلا ينبغي لجاهل بالعلوم القرآنية تضليل الأمة المهتدية بالقرآن فكل ما أدمجه الله في القرآن طريقته فمن حكم بجهله بتضليل طائفة منها فإنما هو جهله وهو عدم ولا عبرة به ولا بحكمه فالصوفية كغيرهم على حق بل هم الذين أكلوا زبدة الحق وصار لهم الحق حالا فالله لا يدرك بالحاسة إجماعا فكل إيماءٍ أشاروا به لجماله وجلاله حق فالحلول كلمة فلسفية باطلة جهل لا عبرة بها فلا يحل تعصيرها فإن لسان العرب لا يفهمها ولا يرمز لها لأنها جهل كون زيد حالاً في عمر أو العكس باطل فالاتحاد كلمة فلسفية باطلة فلا يحل ذكرها فضلا عن مراعاة مدلولها فلا مدلول لها لفسادها وعقمها كون زيد عين عمر أو العكس هذيان وحمق لا

---

87 البخاري ومسلم والترمذي مع اختلاف يسير

88 وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة أو حواله

يعرفها العالمون باللغة فضلا عن فضلاءِ العلماءِ فالله فاعل خالق بالاختيار وغيره مفعول فقط فلا يكون فاعلاً ولا مماثلاً له أبدًا ولا ندًا ولا ضدًا فالمجمع عليه في العبادات والمعاملات حق جلي فلا يحل لأحد أن يحيد عنه وإلا ضل: **من شذّ شذّ للنّار**[89]، والمختلف فيه طرق الصحابة والمجتهدين الكرام: **أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**[90]، **من سنّ سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها**[91]، فالمستن من استنبط من القرآن طريقة هدي أدركها وحده بكشف رباني من الدليل فلا يخرج الكشف عن القرآن كالحديث فهو تفسير للقرآن فما بيّنه الحديث سنة نبوية وما استنبط الصحابة منها طريقة مأذون فيها: **عليكم بسنّتي وسنة الخلفاء**[92]، فأثبت السنة أي الاستنان لهم فلا يخرج نظرهم عن القرآن ﴿**لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾[93] فالاستنباط هو السنّة فإذا صحّ حديث ولم يقم فيه سبب من الأسباب العشرة الموجبة لجواز الانتقال عن الحديث وجب على ملل الإسلام اتباعه فلا يحل النظر معه وإن وجدت الأسباب انتقل إلى القواعد الشرعية يركبها فيصل بها إلى الحق فصار في حقه ما أدته القواعد وأفهمته عينية الشرع لا رأيًا حتى يجد دليلا فإن وجده بخلافه صار عنده قولان فهما حق يحكم بهما إلا لتباين بينهما فيحكم الدليل فلا يقع التناقض بينهما البتة وإنما فرضنا فالمجتهدون بعد الدور الأول لا يخطئون عينية النازلة البتة فإنهم ما حكموا إلا بالأصول الشرعية والقواعد الدينية لا بمجرد عقولهم وأما الاجتهاد في زمن الصحابة إنما هو إفراغ الوسع في طلب الدليل فإذا نزلت نازلة

---

89 البخاري والبيهقي والترمذي كلهم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

90 الإمام أحمد والدارقطني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

91 الطبراني عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه مع اختلاف في اللفظ

92 أبو داوود والترمذي وابن ماجه وأحمد مطولا عن العرباض بن سارية رضي الله عنه

93 النساء 83

بأبي بكر مثلا أفرغ وسعه في العلم عنده وعند الصحابة فإن لم يجده حكم بالسياسة العقلية حكمًا مقيدًا بوجود الدليل فإذا وجده نقض حكمه فهذا حكم عمر فإن وافق فهو حكم الله وإلا فهو حكم عمر مردود عليه وقس عليه بقيتهم لعدم استتمام العلم في القرن الأول فلما تم العلم علم الرواية بتمام موت الصحابة وصلت حقائق العلم كلها إلى الدور الثاني فمن وصله على يد ثقة قطعًا وجب عليه العمل به فمن وصله على يد غير ثقة احتاط وفي طريقة الاحتياط استقرأت الأيمة الأجلة أصول الشرع فهذا الأصل يفيد كذا حتى استتموا في المائة الرابعة القواعد فنزلوا القواعد الشرعية منزلة دليل شرعي ففضلوه على ما وصلهم على يد غير ثقة أو اقتضى الاحتمالات فلم تبق بعده قاعدة شرعية وهو معنى انقطاع الاجتهاد يعنون ابتكار القواعد وأما الاجتهاد اللغوي الذي هو إفراغ الوسع في طلب الدليل والاجتهاد العرفي الذي هو تركيب الأدلة والقواعد الشرعية الأصولية وإتقان التركيب والعمل بمقتضاه فأمر دائم واجب ببقاء خيار الأيمة **اطلبوا العلم ولو بالصين**[94]، في زمن لا يوجد من استتم قواعد العلم إلا بمصر الصين في آخر الزمان فلا تقوم الساعة وفي الأرض من يقول الله يعني بمقتضى العلم بموت الصيني وتلامذه وهو عند إماتة الله أنفس المؤمنين حتى لا يبقى إلا الكفار وانقضت دولة الأقطاب والأمراء والأبدال والصالحين المؤمنين على الحقيقة.

فتحصل أن كل من يرد علمه إلى القرآن على حق وهو محق ومن يرده إلى مجرد الأفكار المجردة على البرهان الشرعي فهو على باطل وهو مبطل ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُومِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ**﴾[95]، فالقرآن لجام المؤمنين يبطل أفكارهم وآراءهم بيد أنك قد علمت أن القرآن بحر اضطربت أمواجه وعظمت أوديته وسحائبه فيرد

[94] الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه

[95] النساء 65

علمه إلى الراسخين في أصول القرآن وهي ما فسره به الرسول صلى الله عليه وسلم فالاستقامة ما أمر به النبي وأمته ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ**﴾[96] ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُومَرُ**﴾[97] فمالك الإمام والشافعي وغيرهما ممن ذهبت عقولهم إلى الاهتداء بما ظهر لهم من القرآن لم يلزموا على أحد اتّباع طريقتهم ولم يقل أحد إنما عينية الحق ما كنت عليه بل يحرم ذلك وإنما قال كل واحد منهم فهذه الطريقة التي تناسبني واخترتها لنفسي ومن رضي باتّباعي فلا أقلد غيري لما عندي من بحر القواعد الشرعية ولا أخطئه فإنه يحرم فإذا رآ مالك مثلا يأكل لحم خيل شافعيًا أحبه شرعًا وعلم أنه يأكل حلالا لاستناده إلى أصل وهو أن سبب النهي إنما هو لقلة ظهر من باب صاحب سياسة حرم أن تذبح شاة أنثى لتكثير النعم فالنهي محتمل له ولدليل مالك الذي هو الاحتياط وهو ترك ما احتمل واحتمل فالشافعي يقول الطعام لا يطرح بالشك فالأصل الإباحة فلا حرمة إلا بدليل قطعي فلا وجود له فهذه طريقتي فمن أراد اتّباعي فله لأني على حق فلا أخطىء مالكًا فإنه على حق وهو الورع فالورع ليس بواجب على أفراد المكلفين وإنما تورع مالك وهو طريقة شاقة على جميع الناس: **إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عز ائمه**[98]، فالعزائم الورع كالحسن أباح البغال حملا للنهي على مخافة قلة الظهر فتورع شافعي كمالك في الخيل والبغال وكابن عباس في الحمير الأهلية قال إنما حرمت لأنها لم تقسم لا للأبد فاحتاط الحسن كمالك وشافعي وأباح ابن عباس قائلا إن الحكم حكم الله فلا يحل لأحد أن يحرم ما أباحه الله إلا بدليل قطعي فالطعام كالنعم كلها لا تطرح بالشك وقال المحتاط لا أحرم على الناس وإنما هو

---

[96] هود 112

[97] الحجر 94

[98] الطبراني في الأوسط عن أم المؤمنين عائشة وبن حبان في صحيحه عن عبد الله بن عباس وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم جميعا

طريقتي في هذه النازلة فلا يلزم أن يحتاط في كل نازلة بل في بعضها وتتبع الرخص حرام إن جعلها دينًا بحيث لا يحكم إلا بها وتتبع العزائم حرام إن جعله دينًا بحيث لا يقبل الرخص فخير الأمور الوسط بين طرفي العزيمة والرخصة وهو العمل بهما: **إن الله تصدق عليكم بصدقة فاقبلوا صدقة الله**[99]، فله تجد الإمام في بعض النوازل متورعًا بترك الخلاف وفي غيره مترخصًا فالكل حق فلا يبدّع إمام احتاط أو ترخص والتبديع بإبطال الرخصة أو العزيمة فكل من تمسك بالكتب الست والمسانيد الأربع على حق موافق لإمامه أيًا كان فإنهم كلهم قالوا إذا صح حديث فهو مذهبي وإنما احتاط المتورع لعدم صحة الحديث أو فسّره ببعض احتمالاته ما لم يثبت عند إمامه نسخه فلولا الإطالة وقصر العمر وشغل بالضروريات وأمراض البدن لبينت طريقة كل إمام بانفراد حتى ترى الشمس ضاحية في كلامهم أجمعين فلا خلاف بينهم البتة: **إذا أمرتكم بأمر فافعلوا منه ما استطعتم**[100]، فما استطاعه مالك هو عين مذهبه كالشافعي وغيرهما فالمأمور به هو عين مذاهب المسلمين ما أقاموا الدين بالقرآن ولم ينقلوا في التفاسير ترهات الملحدين عن يد فسقة المحرفين فالطرق إلى الله على عد أنفاس المؤمنين مما أفاده نسب الرب سورة الإخلاص فكل ما خرج عن القرآن باطل ولا شك فيه فكل ما أفاده القرآن طريق الله. **وإذا نهيتكم عنه فانتهوا** [101]، فما لا يقبله القرآن من الكفر والفواحش والسيئات والمحرمات الإجماعية كالخمر والميسر والميتة والدم المسفوح والخنزير وما ذبح على الأصنام بقصد التعبد وكإذاية لغير في ماله وعرضه من كغصب وقذف وقتل وإتلاف نفس أو مال كأخذ أموال الناس بالباطل كالربى والرشى وهي إعطاءُ مال لإبطال حق فكله رجس من عمل الشيطان

---

[99] بن حبان في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

[100] البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مع اختلاف يسير في اللفظ

[101] البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مع اختلاف يسير في اللفظ

خارج عن القرآن حرام فيجب الانتهاءُ عند حده وإلا تعرض للمقت إن لم يتب فكل ما أحدثه الناس للتعبد والاستعانة به على الدين كتدريس علم وحلق ذكر جماعة بلسان واحد وأنواع الأدعية في أي وقت لم يرد فيه نهي ورفع صوت بذكر سنة طريقة الإسلام فالممنوع مخالفة الله فقط فما عليه صلى الله عليه وسلم أتم وأرفع ﴿صِرَاطَ الذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فالمؤمن المهتدي بالقرآن منعم عليه فالدوائر ثلاثة دائرة الأمر ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾[102] ودائرة النهي ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[103] ودائرة الفضل ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[104] ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾[105] ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ فدخلت طرائق الأنبياء الغير المنسوخة وطرائق الصديقين وطرائق الشهداء وطرائق كل صالح مؤمن وهو المتطوع بأنواع العبادات الغير اللازمة للعموم وإنما التزمها كطرق المشائخ العظام فإنها كلها طريق هدي فالصوفي فقيه عمل بعلمه لا غير فالتصوف التعلق بالله بكمال الإقبال إليه والإدبار على ما يشغله عنه تعالى فبقدر الإقبال يكون الإدبار كالعكس فالإله الحق واحد والهوى للنفس مع قطع النظر على الشريعة إله باطل هالك وإنما هو غرور اعتقاد الأمر على خلاف ما هو عليه فالاعتماد على غير الله غرور ﴿ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ﴾[106] فالإشارة إلى الاهتداء بطرق المحبوبين الممدوحين بقوله ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾[107] فلو تتبعت حقائق المنعم عليهم وأقوالهم وأحوالهم وطرائقهم من الأخلاق ما وسعه الكون فلا يسع ذلك إلا قلب العارف بالله فحقائق طرقهم وحقائق ذواتهم وأحوالهم

---

[102] الزلزلة 7

[103] الزلزلة 8

[104] النور 38

[105] البقرة 261

[106] النساء 70

[107] النساء 69

معلومة للعارف بالله مشاهدة معاينة فإن المؤمن ينظر بنور الله: **فلا يزال عبدي يتقرب إلي بالنو افل حتى أحبه فإذا أحببته كنته**، فالقرآن مشحون بخاصة الله الأنبياء والملائكة والأولياء كلقمان وآل الكهف وآصف وأم موسى وأخته ومريم ﴿غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ فلا تسلك بنا طريق المغضوب عليهم من كل كافر فلا حظّ لغضب الله في المؤمن فالمؤمن ولي الله سهم الرضى والإنعام فالكفار بأنواعهم مغضوب عليهم في ذواتهم وأرزاقهم وأرواحهم وأحوالهم وأديانهم واعتقاداتهم فهم ممسوخون وإن لم يمسخوا فغضبه تحريمهم من بحر برد رضى الإيمان فالإيمان جنة رحمة رضى والكفر عذاب فرقة غضب الله فالله أخرجهم من حضرة رضاه إلى حضرة سخطه يوم أبرزهم وعلمهم مغضوبين عليهم قبل المسخ فإخراجهم عن صورة الإنسانية إلى الصورة الخنزيرية تنكيل وتشويه ثم إنه لا يخرجهم المسخ عن الإنسانية فله تطلّق إمرأة الممسوخ حيوانًا لجريان العادة بعدم الرجوع كالمفقود وتعتد عدة الطلاق وإن مسخ على صورة الجوامد تعتد عدة الوفاة لموته عادة وقد مسخ من بني إسرائيل نحو أربعة وعشرين جنسًا وإنما كثر المسخ في بني إسرائيل لشدة عداوتهم لأنبيائهم فقتلوا كثيرًا منهم ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيءٍ قُتِلَ﴾[108] على أيديهم ولم تكن ملة أشد عداوة للأنبياء والملائكة والمؤمنين منهم فمن جملة دينهم بغض جبرائيل وعزرائيل فالأول في زعمهم وعماهم نمّام بين الأنبياء له وجهان أتى بالتوراة ثم بالإنجيل والثاني قبض روح موسى فقتله ولا عمى بعد عماهم ولا حظّ لهم في النظر البتة وبغض عيسى ونسبوه لقيطًا وبغض سليمان وداوود ونسبوه للسحر نعوذ بالله من شرهم فلو مد الله يدهم بالقوة لمحوا الدين على وجه الأرض فالله يزيد ذلهم. فالنصارى أقرب إلى الصالحين لولا الحمية وقوة الشجاعة وضخامة الملوك ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ

---

[108] آل عمران 146

قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾[109] فالكل ملل الكفر فهم طباق الكفر والنار ومظاهر غضب الله فمنهم ينظر المؤمنون مراتبهم فيكمل لهم شكرهم لربهم ولمراتبهم فلولا خلودهم في النار ما عرف خلود الجنة فلولا كفرهم ما عرف جلال الله فلولا النار ما عرفت الجنة فلولاهم ما ظهرت أسماء جلاله التي يكمل بها تمام الملك فلولا دار الإحسان الجنة ما أحب جانبه تعالى عادة فإن النفس تميل إلى من أحسن إليها ولا ظهرت دولة أسمائه تعالى الجمالية ولقد علم الحقائق على ما هي عليه فرآ المؤمنين أحبابه مظاهر دولة أسمائه الجمالية قبل تخصيص الإرادة القدرة بأحد طرفي الإمكان ولا مزيد عليه البتة وعلم حقائق الكافرين كذلك ولا مزيد عليه وهو ﴿**فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ**﴾[110]

فعلمه قبل نفوذ القدرة ومعلومه قديمان أزليّان فلا تنفذ القدرة إلا في المراد المعلوم أزلاً عن حياة أزليّة أبدية فيستحيل تخلف المعلوم إبرازًا وإعدامًا فما علمه وجودًا حكم بإبرازه موجودًا وما علمه عدمًا حكم بعدمه وأعدمه والكل معلوم الله فهو حقائق ثابتات في علمه لا على وجه التخيل بل على وجه التحقق الرباني فهي قديمة بقدم معلوميتها أزليّة وإنما نفذت القدرة في إنشاء وإيجاد ما أراد الله بروزه مع بقاء المعلومات القديمة في أزلها فمن غيّب الله نعوته بنعوته في بحار الفناء الأطلس الأعمى الأكحل في حيطة الثبوت الأحمى المطموس عن الأفكار في حضرة كنت سمعه رآ الحقائق العلمية الأزليّة بالنور الأزليّ المفاض عليه من الأقدسيات الرحمانية الجبروتية من بحار الاسم الأعظم وهيولا أم الحقائق السارية من النور المقتطع من النفس الرحماني فلا مسخ على وجه تشويه الصورة الإنسانية إلى غيرها بعد ظهور أصل الإنسانية صلى الله عليه وسلم فلقد حمى الله هذه الصورة المكرمة بوجوده

---

[109] المائدة 82

[110] الأنعام 149

فلا تحول إلى غيرها وإنما مسخت قبله إرشادًا إلى أن سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم هو المرعي وجهه في الكون لا غيره فإن كل أمة إنما تعرف نبيها وتنسب له كل كمال فأظهر الله مسخ الصور على صور أنبيائهم فلما أتم الله العالم والعلم بظهور صورة نبينا زال كل حرج على جنس صورته من المؤمنين والكافرين فكم من غضب الله أطفأته صورته الكريمة على جميع الحقائق الدنيوية والأخروية فأعظم ما أكرم به الحق سبحانه خلقه صورته والاستغفار فنحمد الله عليها ونشكر إحسانه تعالى الذي خلقنا على صورته وأدخلنا في بحار طرقه المستقيمة وحمانا بفضله من طرق الضالين الكافرين ﴿وَلاَ الضَّآلِينَ﴾ فلا تسلك بنا يا ربنا طريق الضالين الذين قصدوا الحق فمنعوه لما سبق لهم من الكلمة من أنهم مطرودون ضل العبد طريق سيده إذا لم يهتد له أتلفه الله وحيره بالجهل المحض فالمجسمون والمعطلون ضلال حيارى فلا تنفعهم الصلاة فإنهم نهوا عنها حالة سكرهم بشراب بحار الجهل والحيرة والتيه تيههم الله عن الوصول إلى طريقه القويم فهم يقرءُون القرآن فتزيد لهم المعجزات صممًا وبعدًا من ربهم فنعوذ بالله من طريق الضالين الكافرين المعتقدين ما لا يجوز بربهم. وإنما بدأ الكتاب بالبسملة إشارة إلى أن الكون كله بأيدي أسمائه الخلاقة لكل حقيقة فلم تخرج حقيقة عن أسمائه فالكل مقهور بها فلا تنسب الألوهية لغيره لكون ما سواه مفعولا مقبوضًا بيد الله ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾[111] يعني العلويات المستعظمات في العيون وأحرى السفليات مقبوضات بيده تعالى فلا ملك ولا فعل لغيره. فثنّى بالحمد إشارة إلى أن أول عمل طلب بعد العلم الحمد لله وهو أول عبادة برزت فهو مرتبة سيدنا محمّد أحمد محمود ومرتبة أمته الحمادين المختارين من بقية الخلق من الأمم فهم السابقون حمدًا وتوحيدًا وعلمًا وعملاً فهم الشهداءُ للأنبياء على أممهم فنسب

[111] الزمر 67

الحمد للاسم الله المرتجل الذي لم يختص بلغة دون أخرى بل هو لغة الحيوان والجوامد إشارة إلى أنه يستحق الحمد من حيث هو لا على صفة دون أخرى. وثلّث بالرب إشارة إلى كمال شفقته على المؤمنين الحامدين العالمين بأن الكون مطوي تحت أسمائه وأن الخير إنما هو تحت حيطته وبالرحمن إشارة إلى عموم خيره فلا خير لغيره. وربّع بالرحيم إشارة إلى أن الإيمان ونتائجه ليس بمكتسب بل بتجلي الاسم الرحيم. وخمّس بملك إشارة إلى استغنائه وعموم إحسانه للقاصدين وعموم بطشه للآبقين من حضرة كرمه الزاعمين الاستغناء عن غناه وكرمه. وسدّس بإياك نعبد إشارة إلى أن العمل مرتب على العلم والحمد وإلى أن العلم بلا عمل باطل فحصر العبادة في نفسه بيانًا أن من قصد باب غيره خاب وخسر وحبط عمله فالعبادة من حيث هي مقصورة عليه تعالى بيد أن المؤمنين العلماء بقوله ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ**﴾[112] مصادفة لما في نفس الأمر ظاهرًا وباطنًا وعبادة الكافر مصادفة لما في نفس الأمر باطنًا غير ضائعة لا ظاهرًا فإنهم يعبدون بزعمهم غيره تعالى من ظواهر صور خلقه فما كلفوا إلا بالظاهر فبالظاهر أخذوا وكفروا وغضب عليهم وسبّع بوإياك نستعين إشارة إلى أنه لا علم ولا عمل إلا بتوفيق الله وأن الأمر بفضل الله فلا يتعجب أحد في أحد كَذَٰلِكَ ﴿**كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا**﴾[113] فالكل مصروف إلى اختيار الله اختار المؤمنين فضلا منه إلى حضرة أسماء جماله واختار الكافرين إلى حضرة جلاله وغضبه وانتقامه فالكل منه وله فالكل مظاهر عدله وهو بروز الأشياء على ما علمت. وثمّن بالدعاء قولوا اهدنا إشارة إلى أن العلم مقدم على العمل والعمل وسيلة على الدعاء وإلى أن أعظم ما يطلب التوفيق على الصراط المستقيم فهذا

[112] محمد 19

[113] النساء 94

الدعاء لمن ذاقه استغرق جميع ما يمكن أن يطلبه الأنبياء والعلماء أهل الأحزاب فالدعاء بكلام الله مغن عن جميع الأدعية والأحزاب فكل ما طلب عن ألسنة الرسول صلى الله عليه وسلم إنما هو تفسير لبعض ما أدمجه الله في اهدنا الصراط وهو ذوق للعارفين فإنه لا حسنة أعظم من الاهتداء بالسنة فمن اهتدى بها حاز رضوان الله فمن رضي عنه رزق بلا حساب فالعبد المرضي لا حساب عليه بل هو مفوض في ملك سيده فافهمه. وتسّع بصراط الذين أنعمت عليهم إشارة إلى أن الإنعام على المحبوبين المؤمنين نهاية مراتب الدين التسعة وهي المعرفة بالله في مراقبة وشاهدة ومعاينة بصيرية قلبية. وعشّر بالمغضوب عليهم بأنواعهم من القاصدين للكفر المغضوب عليهم ومن الضالين الحيارى المجسمين والمعطلين الزاعمين أنهم على حق وهم بعداءُ عنه فيعمهم الغضب والنكال حيث تجاسروا على الإقدام على خلاف القرآن وتفسيره بآرائهم واستنباط الشبه الكفرية فيه ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ**﴾[114] وهم أجناس الكفر فإنه قال ابتغاء الفتنة: **الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها**[115]، ولا يبتغي الفتنة إلا الكافر وأما الخلف الذين يبتغون تأويله ويكلون حقيقة الأمر لله فلم يطلبوا الفتنة وإنما طلبوا العلم تخلصًا مما هابوه من صفاته تعالى لكونه لم يجر على قانون الفتنة عقولهم فالسلف الصالح أثبتوا ما أثبته الشرع وعلموا بأنه يجب تأويله وأسندوا علم التأويل لله وهم ﴿**وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا**﴾[116] فلا يدخل ربنا تحت حكم عقولنا بل عقولنا محجرة بالدليل الشرعي والخلف حاولوا حوم التأويل وإن ما يأباه العقل غير مقصود للشرع فجعلوا اليد قدرة طلبًا للعلم ووكلوا حقيقة التفويض إلى الله فالتأويل وعدم

---

[114] آل عمران 7

[115] تخريج السيوطي في الجامع الصغير الرافعي عن أنس بن مالك رضي الله عنه

[116] آل عمران 7

تعيين التأويل بحيث لم يقصد إلا هذا مجمع عليه عند السلف والخلف فتأويل الخلف غير تعيين مقصود الله في المتشابه وإنما قصدوا تنحية أفكار الضعفاء عن التشبيه العقلي الذي هو تشبيه أمر بأمر لاشتراكهما في أمر فلا اشتراك لله مع غيره فلزم التشبيه الشرعي وهو الإيمان بما أنزل على لسان النبوة فالإيمان إنما يكون بالغيب والصفات غيب والذات لله غيب بطون أبد الآبدين فلا تدركها الأفكار أبدًا ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ**﴾[117] مجمع عليه نص قاطع لشبه الأوهام آمنا بأن لله يدًا ليست كيد الخلائق فلا تدرك ماهيتها أبدًا فالتنزيه العقلي إفراط وتعطيل وتحجير على الله أن يكون على ما عليه ظلمًا من أهل الأفكار والتشبيه العقلي تجسيم فالمشبه والمنزه ضالان وهما شر من أجناس الكفر فالسلف والخلف متفقان إلا أن السلف أمسكوا مع اعتقاد وجوب التأويل والخلف اعتقدوا وجوب التأويل فحاولوا التأويل مع علمهم أن التأويل لا يعلمه إلا الله وإنما أولوا كتمًا لأسرار الظواهر وسترًا لصفات الله من أن تدعى معرفتها على الإحاطة فليست اليد عين القدرة ولا القدرة عين اليد وإنما أطلقوا ما ينشأ عنها فطوائف المسلمين آمنوا بوجود ذات الله بصفاتها وأسمائها آيسين من الحوم حول الإدراك العلم بعدم الإدراك إدراك والجهل بكنه الذات والصفات علم وادعاء علم الكنه جهل عدم كفر صراح فنحن مسبحون بحمد ربنا ونقدس له فتعالت ذات ربنا وصفاتها وأسماؤها عن الإحاطة

فأول السورة تعظيم الله بنسبة الكمال له بانسلاب صفات النقص عنه تعالى وآخرها إهانة الكافرين وإهانة الضالين: **الحب في الله من الإيمان والبغض في الله من الإيمان**[118]، فحبب لنا نفسه أولاً ثم العبادة ثم الحقيقة ثم الصراط المستقيم

[117] آل عمران 7

[118] الطبراني في المعجم الكبير عن بن عباس رضي الله عنهما

ولا يكون مستقيمًا إلا بالجمع بين الشريعة والحقيقة فالشريعة إياك نعبد أم والحقيقة وإياك نستعين بنت والحد الوسط طريقة مستقيمة فالشريعة بلا حقيقة عاطلة والحقيقة بلا شريعة باطلة فالطريق المستقيم ميدان أهلهما. فلغة ألفاظ السورة اسم الشيء بالكسر والضم وسمه وسماه بالتثليث فيهما علامته واللفظ الموضوع على الجوهر والعرض للتمييز جمع أسماء وأسماوات جمع أسامي وأسام وسميّك من اسمه على اسمك ونظيرك إله إلهة وألوهة وألوهية عبد عبادة ولفظ الجلالة علم غير مشتق وأصله إله كفعال بمعنى مألوه بين الإلهية والإلهانية بالضم الرحمة ويحرك الرقة والمغفرة والتعطف كالمرحمة وبمعنى المغفرة اسم الله الحمد الشكر والرضى والجزاء وقضاء الحق حمده كسمعه حمدًا ومحمّدا ومحمدا ومحمدة ومحمّدة فهو حمود وحمد وأحمد صار أمره إلى الحمد أو فعل ما يحمد عليه والرب بالألف واللام لا يطلق لغير الله وقد يخفف والاسم الربابة بالكسر والربوبية بالضم علم ربوبي بالفتح ينسب إلى الرب والرباني المتأله العارف بالله عز وجل ملك ككتف وكأمير وصاحب وهو ملك ومليك ومالك صاحب الملك جمع ملوك وأملاك وملكاء وملاك وملك وإلا ملوك اسم لجمع والملكوت كرهبوت وملكوة كترقوة للعز والسلطان والمملك بالفتح والضم عز الملك وسلطانه وعبيده ليس له ملاك كسحاب لا يتمالك وملاك الأمر بالفتح والكسر قوامه الذي يملكك به والدين بالكسر الجزاء والعادة والعبادة والحساب والقهر والغلبة والاستيلاءُ والطاعة والسلطان والملك والحكم والسيرة والتدبير والتوحيد واسم لجميع ما يتعبد به الله والملة والورع ودنته ملكته وخدمته وأحسنت إليه والديّان القهار والقاضي والحاكم والسائس والحاسب والمجازي الذي لا يضيع عملا بخير وشر العبد الإنسان حرًا كان أو رقيقا العون الظهير للواحد والجمع والمؤنث جمع أعوانًا واستعنته وبه أعانني وعونني والاسم العون والمعانة والمعونة والمعون تعاونوا واعتونوا هداه هدى وهديًا وهداية وهدية أرشده

فهدى واهتدى وهداه الله الطريق وله وإليه والهدى والهدية ويكسر الطريقة والسيرة والهادي المتقدم ورجل هدو كعدو هاد وهو لا يهدي الطريق ولا يهتدي ولا يهدى ولا يهدي وهو على مهيدته حاله الصراط بالكسر الطريق وجسر ممدود على جهنم والصراط بالضم السيف الطويل والسين لغة في الكل والضلال والضلالة والضل ويضم والضلضلة والأضلولة بالضم والضلة بالكسر والضلل محركة ضد الهدي ضللت كزللت وضللت والضلول الضال ضللت الطريق كمللت وضل يضل مات وصار ترابًا وضل عني ذهب وضل فلانًا أنسيه ومنه وأنا من الضالين الناسين.

فصل في فضل القرآن

قال صلى الله عليه وسلم: **من قرأ القرآن فاستظهره وأحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار**[119]، وقال: **خيركم من تعلم القرآن وعلمه**[120]، وقال رجل أيّ الأعمال أحبّ إلى الله قال: **الحالّ المرتحل يضرب من أول القرآن إلى آخره كلما حلّ ارتحل**[121]، وقال: **الماهر في القرآن مع السفرة الكرام البررة والذي يقرءُ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاقّ له أجران**[122]، وقال: **ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تبارك وتعالى يتلون كتاب الله عز وجل ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**[123]، وقال: **من قرأ القرآن وعمل به ألبس**

---

[119] الترمذي وابن ماجه عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

[120] البخاري في صحيحه عن عثمان بن عفان رضي الله عنه.

[121] الترمذي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

[122] البخاري ومسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

[123] مسلم والترمذي وابن ماجه باختلاف يسير وأبو داوود مختصرا وأحمد واللفظ له عن أبي هريرة رضي الله عنه.

والداه تاجًا يوم القيامة ضوءُه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل بهذا[124]، وقال: **إنما مثل صاحب القرآن مثل الابل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت**[125]، وقال: **ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن**[126]، وقال: **يقال لصاحب القرآن اقرأ وارقأ ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلك عند آخر آية تقرأ**[127]

فصل في حروف القرآن

سمع عمر بن الخطاب هشام بن حكيم بن حزام يقرءُ سورة الفرقان بحروف متعددة فلببه إلى رسول الله وقال يا رسول الله سمعت هذا يقرءُ سورة الفرقان بحروف متعددة لم تقرئنيها فقال صلى الله عليه وسلم: اقرأ يا هشام فقرأ فقال هكذا أنزلت فقال اقرأ يا عمر فقرأ فقال **هكذا أنزلت إن القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءُوا ما تيسر منه**[128]، فالقرآن نزل بلسان العرب وإن وجدت فيه كلمات فارسيات أو حبشيات إنما هي على سبيل الاتفاق أي اتفاق الألسنة فلا بعد فيه فلا يظن ظان أنه توجد كلمة في القرآن بغير لغة العرب فإنه مكذب لكلام الله ﴿**بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**﴾[129] ولم يوجد في القرآن إلا العربية المحضة فالقسطاس مثلاً ميزان بلغة العرب وبغيرها وقس وإنما نزل بألسنة طوائف العرب العاربة والمتعربة فإسماعيل وأولاده متعربون من جرهم والعمالقة وعرب اليمن بناء على أنهم غير إسماعيليين قال صلى

---

[124] أبو داوود وأحمد باختلاف يسير عن معاذ بن أنس رضي الله عنه

[125] مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

[126] البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه واللفظ لمسلم

[127] أبو داوود والترمذي والنسائي وأحمد باختلاف يسير عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما

[128] البخاري ومسلم في صحيحهما عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

[129] الشعراء 165

الله عليه وسلم **أنزل القرآن على سبعة أحرف فالمراءُ في القرآن كفر ثلاث مرات فما عرفتم منه فاعملوا به وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه**[130]، وقال: **أنزل القرآن على سبعة أحرف عليم حكيم غفور رحيم**[131]، اختلف رجلان في سورة فأخبر صلى الله عليه وسلم فتغير وجهه فقال: **اقرءُوا كما علمتم فإنما أهلك من كان قبلكم اختلافهم على أنبيائهم**[132]، فقام كل واحد منهما لا يقرءُ على قراءة صاحبه. قال علي كرم الله وجهه: ليقرء كل إنسان كما علم كل حسن جميل، فالفرائض والحدود والأحكام الشرعية لا تختلف في القرآن وإنما تختلف اللغات والحروف فالحروف كلها شاف كاف فمن قرأ على حرف فلا يدعه رغبة عنه فإنه كفر بل يتبرك بحروف نزوله إن شاء ويؤمن أنها أنزلت كذلك ومن جحد بآية جحد به كله وإنما تكون الأحرف في موضع لا تختلف بها الأحكام فكل حرف قرأت به أصبت. قرأ رجال على النبي صلى الله عليه وسلم فاختلفت لغاتهم فقبل من كل أحد لغته كهلمّ وتعال وهي سبع لغات وبنو تميم أعربهم وهي سبعة ألسن من بعض قبائل العرب لا كلها فالأحرف المختلفة ما اختلفت الرواة العشر فروايتهم متواترة يجب الإيمان بها فيكفي حرف واحد ونزل على سبعة أوجه كل وجه يسد باب النار وهي سبعة معان الأمر والنهي والوعد والوعيد والقصص والجدل والمثل خلاف الكتب المتقدمة إنما نزل كل كتاب على وجه واحد فالتوراة لظاهر الأحكام والزبور للترقيق والإنجيل للحقيقة. فالقرآن شامل لأوجه الكتب وزيادة فهو أبلغ الكتب وأجمعها لأبواب الشريعة والطريقة والحقيقة.

---

[130] أبو داوود والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه

[131] النسائي في السنن الكبرى عن أبي هريرة رضي الله عنه

[132] أخرجه البخاري والنسائي في السنن الكبرى بنحوه، وأحمد واللفظ له كلهم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

فالكتب راجعة إلى القرآن والقرآن راجع إلى سورة الفاتحة وهي راجعة إلى البسملة وهي راجعة إلى حرف الباء ونقطتها وتقدم أن كل سورة كتاب مستقل وسميت سورة لإحاطتها بالمعاني والأحكام التي يحتاجها الكون وجمعها سور وتقدم أن النقطة راجعة إلى اسم الذات تعالى والصفات والأسماء والفعل والمفعول فكل هذا يعاينها المقرب بالله في مرآة وحدة النقطة وترتسم الحقائق كلها من حيث هي في وحدة قلبه في آن واحد ونفس واحد من غير شاغل يشغله عن رؤية تمام الحقائق فإنه ينظر بالله ويسمع بالله ويبصر بالله ويعبد بالله ويتحرك بالله ويبطش بالله فالبطش بالله هو التصرف بالتصريف الحب الإلهي فالارتسام غير المرتسم فقلب العارف كالمرآة فإذا نظر الإنسان الكامل في مرآته ارتسم له ما يقابله في عقله وهو الحقائق كلها فإنه لا يشغله حق عن خلق ولا خلق عن حق فيرى فيها الحق حقًا والباطل باطلا فالحقائق خارجة عن المرآة فليست حالّة ولا قارّة فيها ولا خارجة ولا داخلة ولا عين المرتسم ولا غيره بل أمر أعجز به الله العقول فإذا ذكرت مثلا مكة ارتسمت بالله في حقيقة عقلك المسماة[133] بالمرآة حقائق مكة من غير تعمل ولا قصد ولا مشقة وإنما هو صور العلم لا الجوامد والأعراض فالحقائق ثابتة في محلها فالإنسان هو الناظر والقلب المرآة والمنظور إليه ما تجلى به الحق في بيته القلب من إفراد الحقائق قديمة وحديثة في حضيض واحد من زاوية واحدة من زوايا القلب فلذا يسع العلم بالرب تمامًا وبالحوادث تمامًا في آن واحد من غير أن تشغل ذرة واحدة من حبات القلب فسبحانك يا رب ما أعظم إحسانك إلينا ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾[134] وهذا وجه التكريم والتشريف الذي لا غاية له ولا إحاطة وهو الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه لنبينا صلى الله عليه

---

[133] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة المسمات

[134] الإسراء 70

وسلم فلم يرد تعالى أن يعطيه استقلالاً لأحد قبله ولا بعده وهو جميع الخيرات والعلوم بالأسماء والمسميات والحقائق من حيث هي فأعطى الله لأحبابه من أمة الرسول استقلالاً بكوثريته تبعًا أن شانىء نبيه وتابعيه هو الأبتر فما اختص الله رسوله بشيء إلا شركنا خاصة أمته معه فكوثرية الحقائق استقلالا لنبيه ولنا تبعًا له فللتابع حكم المتبوع حتى في الإعراب فضلاً عن الحقائق التي يمتن بها ربنا علينا فالحقائق تعاين بالقلوب وهي في محلها فذات الله نعاينها علمًا وذوقًا لا حسًا وفكرًا.

فالحرف للباء شفع ما أبرزته القدرة من الحقيقة المحمّدية وبناتها فلا يشاهد فيه الحق تعالى إلا من حيث هو مبرزه ومنشئه ومربيه، والسين سيادة الله أي قهره وملكه للحقائق كلها وسيادة كل سيد من شفع كل مقدور فكل غالب ومستولى على غيره سيد فالأنبياء سادات والأولياء سادات والعلماءُ والمؤمنون والأرواح سادات الأجسام لقيامها بقوتها إلى آخر كل من له سلطة عادية كالأسباب على المسببات سادات فكل سيادة من حيث هي حقية وخلقية ترتسم في القلب الذي هو بيت ربنا عند معاينة أو سماع السين وهي أربع مائة بحر من أبحر العلم أصول العلوم المستفادة من السين.

والميم ملك الله الذي هو قدرته وملكه الذي هو مقدوره وكونه ملكًا غالبًا على أمره وفي جرمه أربعون بحرًا من أبحر العلم أي أصول للعلوم المستلزمة للمعلوم فكلها يخوضها المحمّدي عند معاينة الحرف بالسماع أو بالرؤية أو بغيرهما من أنواع العلم فترتسم المملوكية لله تعالى وقدرته ومالكيته وملكيته تعالى ذاتًا وصفة وفعلاً ومن الفعل تنشأ الحرف الإنسانية واللغات وأسرارها وخواصها من جميع ما اشتملت عليه الحقائق بحيث لو وضعت الحقائق في الحرف ما ظهرت ولا شغلت منه محلاً لأنه صور علمية ارتسامية فلو وضع الحرف في القلب ما شغل منه أقل قليل فهذه علوم القرآن فيستنبط العارف في كل حرف وحده من حروف القرآن جميع العلوم التي أراد الله أن يتجلى بها لغيره. والواو المحذوفة التي عوض عنها الألف في البدءِ بعد الباءُ فحذفت

لضعفها بالنيابة في الوصل خطًأ لما عاينه العارف من قوة نور المبدل منه لأنه من السمو لكونه موضوعًا على المسمى يعاين فيها العارف الراسخ ولاية الحق على سائر مملكته ومنها ينظر المملكة من حيث هي والمالك الخالق والحكم الذي أدلاه للخلق وهو الصراط المستقيم فإن الملك لابد له من الضوابط والشروط والسياسة الملكية وهو تعليق المسميات بالأسباب وتعلقها بالله وهو ترتيب المملكة المنتظمة بأيدي القدرة الإلهية ويشاهد منها ولاية الرسل والأمراء في كل شأن والأرواح. والهمزة من نقطة الأحدية ونقطة البحت ونقطة الوحدة ونقطة الواحدية المفيدة أنواع الحقائق الممكنة وجودًا وعدمًا وهي مراقبة الحق مع قطع النظر عن مفعوله. واللام يشاهد فيها المقرب الحي بالاسم الحي معية الحق بخلقه كمثل نور عين ظلا فهو ركنه ومعينه ومظهره ومبطنه وأوله وآخره وسر ظهوره وهو جل وعلا مع صور الإمكان بذاته معية غيبية بطونية ببطون الذات فهو صفة الذات لا تدرك حقيقتها البتة إلا على وجه الأقدسية الحبية: فأحببت أن أعرف فخلقت خلقي لأن أعرف فبي عرفوني، فإذا غيب البحر الحي العبد وتجلى فيه بذاته لذاته مع ذاته أعلمه حالة التجلي المفني لرسوم العبد المقوي إنسانية الحقائق من حيث هي قديمة وحادثة من حيث لا وجود له أصلا لتلاشيه بقوة صولة التجلي الحبي فالظل المعبر به عن الكون لولا النور ما تعين ولا ظهر للعيان فمعية النور مع معية الظل أمر ارتسامي علمي في ماهية وجه القلب فهو صورة العلوم فقط فليس الكون إلا ما عاينته من ظل أبرزه النور فالظل طارئ والنور أصل فإن اضمحل الليل بقي النهار فليس النهار شيئًا زائدًا عن الليل ولا الليل شيئًا زائدًا عن النهار فإذا حجب إشراق الشمس ارتسم الليل والظلمة وإن ظهر اضمحل وليس لليل جرم يفنى ويتفتت بل زالت رسومه بالإشراق الحق فمثلنا الظل النهاري وملك الله كله نهار واليوم كله لله وهو النهار والليل سابق النهار والعدم سابق للوجود والجهل سابق عن العلم والغفلة عن الحضور. واللام الثانية يعاين فيها وبها

ومنها لطف الله ورفقه بعباده وأعظمه الحقيقة المحمّدية التي هي صوان وصدف الكون ومظله وقوامه وروحه وظاهره وباطنه كصورة نشأت من صورة آدم لولاها ما وجد إنسان عادة الله وسببه الذي هو ترتيب المملكة مع قدرته على ما هو أعظم لكن لم يرده وتعلق أسمائه الجمالية والجلالية وفعله فما ثبتت حقيقة إلا بمشاهدة فعله فلو حجب فعله الذي هو ارتباط الأسباب بالمسببات وظهور أثر قدرته لتجلت الذات فلو تجلت لزال الكون من أصله فإمساكه السماوات والأرض لئلا تزولا عين بدوّ أفعاله فلا يرى إلا فعله لكن العارف إن رآ الفعل شاهد الفاعل قبله ومعه وبعده والخاص ينتقل من رؤيته إلى رؤية الفاعل والعامي يشاهد الفعل فقط ربما يستدل به المتكلم على وجود الفاعل من باب الأثر المشاهد يدل عقلا على المؤثر الأثر يدل على المثير إلى آخر أدلتهم فدليل أهل الشرع قاطبة لا إله إلا الله ﴿**وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ**﴾[135] ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾[136]. فأهل الشرع لا يهتبلون بالعقل فإنه لا حكم له بل محكوم عليه بالشرع لا حكم للعقل قبل الشرع ولا بعده إلا به ومن اللطف خلق اللغات والحرف والعقول المدركة للحكم الشرعي وخلق النعم المركبة منا من سمع وبصر ومصير ومخرج ومبال وفم ولسان وطبيعة وشاهية تدعو للنعم ونفس موجهة للعقل إلى التمييز فسبحان الملك اللطيف بعباده. والألف المحذوفة تشاهد فيها حقائق المفعول من حيث هو فله حذفت خطًا. والهاءُ للهوية السارية في كل حقيقة حية بالاسم المحيي الدال على الذات والمرتبة فحياته تعالى هي السارية في كل حي وهو كل موجود ووجوده هو الساري في كل موجود لكن وجود ارتسام الحقيقة في المرآة فليس المرتسم بالفتح عين المرتسم بالكسر وإنما الارتسام خيال المرتسم فلو زالت صورة

---

[135] البقرة 163

[136] الإخلاص 1

الكون التي هي الحقيقة المحمّدية المعبر عنه هنا بالمرآة لبقي العدم في عدمه الباطل من كل وجه فلا تحاقق هنا فإنه محل الذوق والعيان لا مقام الأدلة العقلية القاطعة عن حقيقة الشرع ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ**﴾[137] ﴿**فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ**﴾[138] حقيقته وكنهه تعالى عن الإدراك إلا بعيون الإيمان والإيقان. وعليه فالهاءُ هوية أم الحقائق كلها المستلزمة ما أخرج منها. فالباءُ بديع والألف الله والسين سميع والميم المبدىء المعيد فالله لطيف مهيمن من الهاءِ. فالحاءُ حلمه ومنه تأخير العقوبة إلى الآخرة إن لم يتب وهو حليم. والنون نوره الذي هو عين الوجود ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾[139] وجوده وجود السماوات وموجدها ومنورها بالأنبياء والعلماءِ والنيرات. والدال يشاهد منها الدلالات على الله وهي سراية نور المدلول في حقائق الأدلة فالله أحد دليل على وجوب الوحدانية ووجوب الوحدانية دليل على الوحدة فالوحدانية كونه واحدًا فباعتبار الحادث يدرك من اللفظ الدال على دال المدلول فالدال وجوب الوحدانية المستفاد من الدليل اللفظي فالمدلول هو عين ذاته وصفته الوحدة فباعتبار الحق قدم الصفة الوحدة سار في الدال الأول والثاني فالأول مفهوم اللفظ والثاني اللفظ بالصوت فتحصل سراية القدم في اللفظ والخط وصوت اللافظ المسموع وفي سماع السامع وفي بصر المبصر سراية شرعية لا عقلية فلا عبرة بالعقل في سوق الحقائق وإنما ينفع في سوق الألفاظ والحدسيات والأفكار فلا حكم للعقل البتة قبل الشرع وبعده وإنما يدرك في قوة اللفظ الشرعي وقوة السياق والقرآن فغاية ما يدركه أن المالك يفعل في ملكه ما يشاءُ وقد فعل فأبقى الظل مع إشراق النور فسراية النور في الظل هو سراية وجود الفاعل في وجود المفعول وسراية القدم في

[137] الحديد 4

[138] البقرة 115

[139] النور 35

العبارة والخط واللفظ والصوت فالعقل يجوزه فإنه فعال لكن لا يدركه إلا بوساطة الشرع فالشرع أثبت أن كلامه مسموع ﴿**حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ**﴾[140] فقول الأصولي من باب إضافة الخلق إلى الخالق غير سديد ففرق بين ما خلقه بوساطة الأسباب كالحيوان بسبب ماء فهو عالم الخلق وما خلقه بيديه أو بيده بلا سببية غيره وهو عالم الأمر فجعلوا لفظ القرآن وقوة سراية خطابه تعالى من قبيل عالم الأمر كالأرواح المجردة كقوله روح الله فهو تحكم فالمحل محل تسليم للعقل الرباني الذي يستمد من الاسم الرب المصلح القائم بشئون ملكه فالعقل الرباني هو الذي يدرك الحقائق الشرعية فلا تصح صلاة المختار إلا بالقدم وهو كلامه ولا يحكم إلا هو والحكم ذات الله وصفته وقوته فمن غيّر حكم الله غيّر ذات الله أي أراد وأما الحكم فلا يغيّر فالحكم بغير القرآن جهل باطل والجهل عدم لا وجود له في الخارج فالقرآن عين خطاب الله وحكمه والحكم بغيره باطل كمن تزوج أمه عالمًا أو جاهلا فهو باطل بكل وجه فلا يحتاج إلى تطليق أو طلاق لانحلاله وكمن صلى بلا وضوء عمدًا مختارًا فصلاته باطلة لا تحتاج إلى سلام فالذي نصلي به ونقف به بين يدي ربنا هو عين ما حكم به من القرآن ﴿**وَمَا صَبْرُكَ**﴾ في حضرة القدس الصلاة ﴿**إِلَّا بِاللَّهِ**﴾[141]. والراءُ يشير إلى ربوبيته وقيامه شفقة ورحمة ولطفًا ورفقًا وإسعادًا وإشقاءً فقد لطف بالشقي حيث أوجده وقوى وجوده بتغليظ جثته حتى صبر على النار أبدًا ولا تفنيه أبدًا فالوجود لطف خير من العدم ﴿**يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا**﴾[142] لم يتمنّ إلا انتقالا من ذرة مكلفة إلى مستريحة من ألم مخالفة التكليف. والكاف إلى كفاية الله عباده فهو الكافي في نفسه وبه من حيث نعمه المفرعة من أم المحدثات صلى الله عليه وسلم

---

[140] التوبة 6

[141] النحل 127

[142] النبأ 40

فتستفاد منه العلوم المتعلقة بالكافي تعالى والمتعلقات بالمستكفين به تعالى فهو باب العلوم الإلهية فلا علم خرج عنه. والصاد إلى صمديته تعالى وهو استغناؤه عن كل ما سواه وافتقار كل ما سواه إليه فهو الصمد الغير المركب من جوهر وعرض ولا غيره بل هو الفرد الواحد الأحد الواحد في ذاته الأحد في صفته الوحيد ذاتًا وصفة فيرى من حضرة استغنائه كل ما يمكن أن يقال ويعقل في بحور وأودية التوحيد ومن حضرة الافتقار بحور أنوار الإخلاص وما يتعلق بالمخلصين. والطاءُ إلى طهارة وقدس حضراته تعالى وحضرات قلوب أصفيائه وإلى ظهور الأدلة الشرعية من غث الشبه العقلية وإلى طهورية ماء الحياة لكل حيوان وإلى طاهرية الطاهرات العلمية من كل موجود متجلى عليه بالاسم القدوس فكل ما أوجده الرحمن طاهر باطنا أصالة وإنما عرض النجس في سوق الشرائع المتعلقات بالمكلفين ﴿**لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**﴾[143] وقوفًا عند الحد وأدبًا فالوقوف بالنية هو عين الأدب والعمل فالنية روح العمل. والقاف إلى قيومية الحق بنفسه وبغيره وإلى قيومية الأسماء بالمسميات وإلى قيومية الأمراء والأنبياء والأرواح بالأجساد والأجساد بالأعمال فمنه يرى الحق والخلق والارتباط فإدراك الارتباط بين الرب والعبد من كل جهة هو العقل فالعقل مصدر من العقال ما ترتبط به الدابة وهو نور مرتبته من مراتب الروح فمن عقل أنه عبد لربه الواحد الأحد فهو عاقل وإلا فجاهل ﴿**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ**﴾[144] فنفى عنهم العقل الرباني لا التمييزي وهو يا قيوم. والراءُ يشير إلى ربوبيته تعالى ومربوبيته فهو مرآة للحق والخلق وإلى ضوابط الرب الصراط القويم وهو الشرائع كلها. والذال إلى ذل المفعول للفاعل فهو مرآة للعبودية والعبدية إلى حضرة المستغني تعالى

---

[143] الكهف 7

[144] الأنفال 22

بالصراط المستقيم. والتاء إلى توبة التائبين وإلى قبولها وهو مرآة للتائبين والتوبة وإلى المتوب إليه تعالى وإلى ما تصح به التوبة من العمل الصالح بالنيات. والظاءُ إلى ظهوره تعالى وتجليه لنفسه في نفسه بنفسه في حضرة البحت وإلى تجليه بنفسه لنفسه في حضرة الوحدة وإلى تجليه بنفسه لغير في غيره في حضرة الواحدية التي هي مجمع الصفات والأسماء الاسم الأعظم الحقيقة المحمّدية وهو مرآة ينظر فيها الخالق الظاهر في كل شيء بكل شيء والمخلوق من حيث هو وإلى حكم الظاهر في المظاهر وهو الشرائع. والياءُ إلى نهاية الإيمان اليقين المستلزم مومنًا ومومنًا به من وجود الله وما أخبر به الله في كتبه وهو مرآة الله والمؤمنين والكتب والأنبياء والعلماء فهو دال على الحقائق كلها فما من حرف إلا ودل على الحقائق كلها كحرف الإنسان على العوالم كلها وعلى خالقها. والضاد إلى كل ضير يلحق الحقائق من اسمه تعالى الضار وهو البلاء وهو كل نعمة عرضها الله للبلاء والفناء والاختبار قبل أن يصل المضرور إلى برد المشاهدة وإلا صار الفعل منه تعالى محبوبًا ملتذًا به لأنه من المحبوب فلذا يحب العارف الموت ليشاهد فيه جلاله ليجمع بين الجمال والجلال فتكمل أنوار أسمائه تعالى وقبل الموت لم يستتم الجلالية فهذا السر العظيم هو حكمة الموت وإنما حكم بالموت ليكمل اضطراره إليه تعالى فلا يدخل إلى الوصول الصرف إلا من بابين باب الفناء الأكبر والفناء الأصغر الذي تذكره الصوفية فالكافر لا حظّ له في الجمالية لا في الدنيا ولا في الآخرة وإنما هو سهم الجلال وإن التذ بالرياسة فهو ممكور به مستدرج مهان فكل ما فعله محبوبنا محبوب وإنما الضير باعتبار البشرية وأما إنسانيتنا فراضية ملتذة بالحبيب وبأفعاله وشؤونه

فالمكلف الإنسانية وهي حقيقة ترتبت من بين الروح والجسد فالروح عالم الملكوت والجسد عالم الناسوت وروح القدس عالم الجبروت والإنسان مجموع

العوالم كلها وروح الإنسان النفس الرحمني وصورة الرحمن والقوة الربانية ونور الأسماء الإلهية فمظاهر الأحكام الإلهية في عالم الناسوت الذي هو قوة وزبدة العوالم كلها فلا يضر بنفسه ولا ينفع إلا الله وغيره أسبابه ومظاهره وآلاته فيسن لفظ **آمين** بمعنى استجب دعاءنا وهو الحمد سيد الدعاء فأسماؤه كلها حمد واهدنا الصراط فمن هداه اهتدى. فالتعوذ قبل القراءة سنة متأكدة وقيل بعد القراءة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أحصن نفسي وأجدد التعوذ في كل نفس وجعلت نفسي في حصن الاسم الله وكلمات الله وهي أسماؤه الدالات على ذاته ومراتبه وأتعلق بالاسم الله يحصنني من كل ما يشغلني عن الله ويعوقني عنه من كل ما برز من ذات الله تعالى أو يبرز من أنواع النعم الملائمة للنفس والمنافرة لها بحيث لا يركن قلبي لغير ربي كما لا تركن الزوجة لغير زوجها الغيور فالله تعالى غيور فلا يحب ما يشغل عنه وإن كان هو الظاهر في المظاهر فكل ما شغلك عن ربك وقطعك فإنه شيطانك عدو وإن كان من أعز الأقرباء اللهم لا تفتنا بما خلقته عنك آمين فقد حبسنا عليك حبسًا مؤبدًا وقصرنا عليك فلا تزغ طرفنا عنك لغيرك الذي هو فعلك ومفعولك نفسًا واحدًا فاجعل أموالنا تملنا إليك لا عنك قد ضعفنا عن الدفاع عنا وبايعناك على أننا سلمنا إليك نفوسنا وقصرنا عليك طرفنا فلا نحب أن نرى غيرك ولا نسمع غيرك فأنت المعروف والمشاهد فقط وغيرك نعمة خلقتها لنقف بها بين يديك فأحوجتنا إلى نعمك من حيث هي فلا غنى لنا عن بركتك يا ربنا فلا نزهد عن نعمك الواصلة إلينا بميزان الشرع فاسمك الله المتعوذ به كافينا وحافظنا والواقينا من كل شيءٍ يؤذينا فكونك كله سم إن ناولناه بغير اسمك فاسمك ترياق سموم النعم اللهم إنا نوينا الدخول في سوق طاعتك أبدًا فسمينا باسمك الله على كل مقدور دفعة واحدة فاجعل اسمك ساريا في أجزاءِ المقدور حتى لا يؤذينا ولا يشغلنا عنك فنحن الآن على ما كنا عليه وكما كنا عليه في حضرة الصور العلمية الأزليّة قبل نفوذ القدرة في كل شيءٍ من الإمكان

وكما كنا في أصلاب أصولنا وفي قبورنا حيث لا شهود لغيرك فلا تقدرنا على رؤية غيرك اعتمادًا عليك من الشيطان وهو كل فاتن جن أو إنس. لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب[145]، فإن قدرت صحيحة لمن صارت ركنًا وإلا بأن قدر كاملة صارت شرط كمال فلفظ من العموم إمامًا أو مأمومًا أو فذًا فعمم الشافعي بناءً على أن الإمام يحمل قراءة وخصص مالك بغير الإمام لحديث ثبت عنده: **قراءة الإمام قراءة للمأموم**[146]، كأبي حنيفة ولم يثبت بوجه صحيح عند الشافعي فقدم القواعد وهو العموم وربما تطلق الصلاة على الفاتحة على أعظم أركانها فله قسم الصلاة بينه وبين عبده فأول الفاتحة لله فقط وهو التسبيح والتحميد والتقديس بأسمائه وآخرها للعبد وللعبد ما سأل اهدنا ووسطها إياك نعبد بينه وبين عبده فحكم الله ألا تقبل صلاة وقربة عظيمة بين الله وعبده إلا بإجراء جميع القرآن على لسانه وقلبه فهذه السورة أم القرآن أصله يرجع إليها من حيث هو فمن قال إن كل ركعة صلاة مستقلة أوجبها في جميع ركعاتها ومن رآ أن الصلاة ركعة واحدة والباقي تكرارها أوجبها في ركعة وسنها في الباقي ومن قال الحكم للنصف أوجبها فيه ومن رآ أن الحكم للجل أوجبها في الجل وسنها في غيره فاسم الله ترياق سم الكون فالكون كله سم فلا ينتفع به إلا بباسم الله. مرض موسى فدله على عشب في البادية فأكل فبرىء فعاوده فأكله فزاد مرضه فقال الرب مشيت مني إلى العشبة أولا فنفع وثانيًا منك إليه أما علمت أن الدنيا كلها سم وترياقها اسمي فإن نام الحبيب فسلطان الاسم يقظان. كان عارف يرعى الغنم مع الذيب فقال له البعض متى اصطلح الذيب مع الغنم فقال منذ اصطلح الراعي مع ربه. كتب فرعون باسم الله على باب داره فلما دعا عليه موسى وهارون قال له إنك تنظر

---

[145] أبو داوود في سننه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه

[146] ابن ماجه والبيهقي والطبراني مع اختلاف في اللفظ كلهم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

إلى فرعون وعمله وأنا انظر إلى ما كتبه بباب داره فقال له ﴿**قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا**﴾[147] فما ظهر وجهها إلا بعد الأربعين سنة. فتعلم منه كيفية إجابة الله الداعين لتكون عارفًا بالله سمى الله نفسه رحمن ورحيمًا فكيف لا يرحم من تعلق به فسمة الملك تجعل على السلع لئلا تنزع منه فسمة الله اسمه فضعه على كل عبادة ونعمة يحصنه اسمه تعالى ﴿**وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ**﴾[148] إشارة إلى أن الكون سم موذ إلا إن وضعت عليه اسم الله فكل دينار لم يطبع ينتزع من صاحبه فمن أراد نعمة من غير اسم الله صار بمنزلة من ينتحل تزوير سكة الملك فيستوجب المقت وتنزع منه النعم فكل سكة لم يقع عليها طابع الملك ضرر وسم كذلك كل نعمة بلا اسم الله فعليه اجعل اسم الله قرينك حتى لا تبعد عنه: أنا جليس من ذكرني، دفع رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتمه لأبي بكر يدفعه للنقاش يكتب عليه لا إله الا الله فقط فأمره أبو بكر من عنده بإلهام من ربه أن يكتب معه محمّد رسول الله فزاد النقاش من عنده بإلهام من الله أبو بكر الصديق فقال صلى الله عليه وسلم ما هذه الزيادات فقال ما رضيت أن افرق اسمك من اسم الله ولم يرض الله أن يفرق اسمي عن اسمك وفيه دليل على الاستنان بمحضره صلى الله عليه وسلم وقبوله

فالناس ثلاثة: الله للسابقين، والرحمن للمقتصدين، والرحيم للظالمين. نجى نوح عليه السلام بنصف البسملة على السفينة فنجت به وقال ﴿**بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا**﴾[149] فما ظنك بمن يكملها في أنفاسه نطقًا وذوقًا. فالله معطي العطاء والرحمن المجاوز عن زلات الأولياء والرحيم الساتر لعيوب الأغبياء يعلم الله منك ما

---

[147] يونس 89

[148] الأنعام 121

[149] هود 41

لو علمه أبواك لفرقاك ولو علمته المرأة لجفتك ولو علمته الأمة لفرت ولو علمه الجار لفرق الدار الله يوجب ولايته ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾[150] الرحمن يستدعي ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا**﴾[151] الرحيم يفيض رحمته ﴿**وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا**﴾[152] وهو رحيم بهم في ستة مواضع القبر والقيامة والصراط والنار والجنة. مر عيسى على قبر يعذب بملائكة عذاب فلما قضى حاجته ورجع ورآ عليه ملائكة رحمة طلب ربه حكمته فقال له تعالى مات وترك حملا فزاد وكبر فعلمه المعلم بسم الله الرحمن الرحيم فاستحييت أن أعذبه وولده يذكر اسمي في الدنيا. يا ربي بعثت كتابًا وجعلت بسم الله الرحمن الرحيم عنوانه فلا تعذبني فعاملني بعنوان كتابك. فحروفها تسعة عشر حرفًا وزبانية النار تسعة عشر فيدفع شرهم بهذه الحروف اليوم بليلته أربعة وعشرون ساعة كل ساعة بصلاة فتسعة عشر حرفًا لبقية السوائع فلما نزلت سورة التوبة بالسيف لم تكتب فيها البسملة فالسيف عقاب والبسملة رحمة وشرع الذبح باسم الله والله أكبر من غير الرحمن الرحيم فإن الرحمن رحمة والذبح ألم فإن وفقت لذكرها سبعة عشرة مرة في الخمس دل على أنك مرحوم قال صلى الله عليه وسلم. **من رفع قرطاسًا من الأرض فيه بسم الله الرحمن الرحيم إجلالاً لله تعالى كتب عند الله من الصديقين وخفف على والديه وإن كانوا من المشركين**[153]، وقال: أول ما نزلت هذه الآية على آدم قال أمن ذريتي من العذاب ما داموا على قرائتها ثم رفعت فأنزلت على إبراهيم عليه السلام فتلاها وهو في المنجنيق فجعل الله عليه النار بردًا وسلاما ثم رفعت بعده فما أنزلت إلا على سليمان فقالت

---

[150] البقرة 257

[151] مريم 96

[152] الأحزاب 43

[153] الخطيب في تاريخ بغداد عن أنس بن مالك رضي الله عنه

الملائكة الآن تم والله ملك سليمان ثم رفعت، فأنزلها الله عليّ ثم تأتي أمتي يوم القيامة وهم يقولون ﴿**بِسْمِ اللهِ الرحمن الرَّحِيمِ**﴾ فإذا وضعت أعمالهم في الميزان ترجحت حسناتهم، وقال: **يا أبا هريرة إذا توضأت فقل بسم الله الرحمن الرحيم فإن حفظتك لا يستريحون أن يكتبوا لك الحسنات حتى تفرغ وإذا غشيت أهلك فقلها فإن حفظتك يكتبون لك الحسنات حتى تغتسل من الجنابة فإن حصل من تلك المو اقعة ولد كتبت لك من الحسنات بعدد نفس ذلك الولد وبعدد أنفاس أعقابه إن كان له عقب حتى لا يبقى منهم أحد فإذا ركبت دابة فقل بسم الله والحمد لله يكتب لك الحسنات بعدد كل خطوة وإذا ركبت سفينة فقل بسم الله والحمد لله يكتب لك الحسنات حتى تخرج منها**[154]، وقال صلى الله عليه وسلم: **ستر ما بين أعين الجن وعورات بني آدم إذا نزعوا ثيابهم أن يقولوا بسم الله الرحمن الرحيم**[155]، وفيه إشارة إلى أنه ساتر في الدنيا وفي الآخرة. فأسماء الفاتحة كثيرة لكثرة فوائدها لأن الحمد فاتحة كل كتاب وكل عبادة فالمقصود في أنواع العبادة الحمد لله وسورة الحمد وأم الكتاب وهي أصل الكتب وأم القرآن لأنها أصله لاشتمالها على الإلهيات والمعاد وإثبات القضاء والقدر والنبوات وفيها جميع حاصل الكتب السماوية وهو الثناءُ على الله والخدمة والطاعة وطلب الكشوفات والمشاهدات فهي أفضل سور القرآن كمكة أم القرى وأشرف البلدان وأصل أصيل لها حيث دحيت تحتها والسبع المثاني لأنها سبع آيات تثنى في كل ركعة فنصفها ثناء والنصف الآخر عطاءٌ للعبد فهي مستناة لهذه الأمة قال صلى الله عليه وسلم: **والذي نفسي بيده ما أنزلت في التوراة والإنجيل ولا في**

---

[154] بدايته عند الطبراني في المعجم الصغير وعند الديلمي في مسند الفردوس كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه وأما الحديث بطوله فمختلف فيه

[155] الترمذي والطبراني في المعجم الصغير عن أنس بن مالك رضي الله عنه

الزبورمثل هذه السورة وإنها السبع المثاني والقرآن العظيم[156]، ونزلت مرتين بمكة ببسملة وبالمدينة بغيرها فهي أثنية ومدائح لله تعالى والوافية فوجبت قراءة كلها في الصلاة والكافية قال صلى الله عليه وسلم: أم القرآن عوض عن غيرها وليس غيرها عوضًا عنها[157] والشفاءُ والشافية، قال صلى الله عليه وسلم: **فاتحة الكتاب شفاءٌ من كل سقم**[158] والأساس فهي أول سور القرآن فإذا اعتللت فعليك بالأساس تشفى بإذن الله وسورة[159] الكنز لأنها نزلت من كنز تحت العرش فلعظم أمرها لم يثبت ثاء الثبور وجيم جهنم وخاء خزي يوم لا يخزي الله النبيئين وزاي الزفير والزقوم وشين شهيق أهل النار وظاءُ لظى وفاء الفراق فمن قرأها نجى من أبواب جهنم فأوجب الأيمة قراءة كل الفاتحة في الصلاة فلو ترك عمدًا حرفا بطلت ولم يوجبها أبو حنيفة لقوله تعالى ﴿**فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ**﴾[160] وعنده إن قرأ آية فقط كألم أو ص، كفت. أبو يوسف لابد من ثلاث آيات أو آية واحدة طويلة

فقرّاءُ المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على أن البسملة ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها وإنما كتبت للفصل والتبرك وهو مذهب أبي حنيفة ومن تبعه فله لا يجهر بها وقراء مكة والكوفة على أنها آية من كل سورة وعليه فقهائهما وعليه الشافعي [**قلت**] والكل حق باعتبار النزول ومن كل وجه فلها حكم القرآن عند الفريقين قالت أم سلمة: **قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله آية الرحمن الرحيم آية ملك يوم الدين آية إياك نعبد**

---

[156] الترمذي في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه

[157] السيوطي في الجامع الصغير عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه

[158] البيهقي في شعب الإيمان عن عبد الله بن عمير رضي الله عنه مع اختلاف في اللفظ

[159] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة سوة

[160] المزمل 20

وإياك نستعين آية اهدنا الصراط المستقيم آية صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آية. أبو هريرة قال صلى الله عليه وسلم: **فاتحة الكتاب سبع آيات أولاهن بسم الله الرحمن الرحيم**[161]، عن أبي بردة عن أبيه قال قال صلى الله عليه وسلم **ألا أخبرك عن آية لم تنزل على أحد بعد سليمان بن داوود غيري فقلت بلى فقال بأي شيء تفتتح القرآن إذا افتتحت الصلاة [قلت] ببسم الله الرحمن الرحيم قال هي هي**[162] قال لجابر **كيف تقول إذا افتتحت الصلاة قال الحمد لله فقال له قل بسم الله الرحمن الرحيم**. وعن عليّ أنه يفتتح بسم الله الرحمن الرحيم وكان يقول **من ترك قراءتها فقد نقص في صلاته**. قال ابن عباس الآية السابعة من الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم وهي مكتوبة في مصاحف السلف مع توصيتهم بتجريد ما ليس قرآنًا فله لم يثبتوا آمين منه قال صلى الله عليه وسلم لأبيّ بن كعب: **ما أعظم آية في كتاب الله** قال بسم الله الرحمن الرحيم فصدقه، فالمثبت مقدم على النافي. فلما ترك معاوية التسمية أنكر عليه المهاجرون والأنصار وروى أبو قلابة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر كانوا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم فكان عليّ يبالغ في الجهر فبالغ بنو أمية بخلافه فله قال أنس لا أدري هذه المسألة. فتقديم تسمية على الوضوء سنة خلافًا للظاهرية الموجبها فحجة الموجب أفعاله صلى الله عليه وسلم وحجة غيره أنها لم يوجبها في آية الوضوء والكل حق فرعاية أفعاله صلى الله عليه وسلم واجبة وهي واجبة على المهتدي فمن يراعي الأحكام جعل لها حكم السنة فلا يقولها الجنب والحائض بقصد القراءة عند الشافعي قالها إن لم يقصدها وندبت عند الذبح والرمي إلى الصيد وعند إرسال الكلب

---

[161] البيهقي في السنن الكبرى والطبراني في المعجم الأوسط كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه

[162] البيهقي في السنن الكبرى عن بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه

فلم تحرم إن تركها عمدًا عند الشافعي وحرمت عند أبي حنيفة وإن نسي حلت وأجمعوا على أنه ندبت عند الشروع في عمل كأكل وشرب وأخذ وإعطاء ولقابلة أخذت الولد وعند إدخال قبر وعند قيامه من قبره وعند حضوره في الموقف فإن الميت كالنائم يبعث على ما مات عليه فيدخل الجنة ببركة بسم الله. فترجمة القرآن غير مجزئة عند الشافعي رعيًا للفظه المنزول وهو بلسان العرب فاللفظ متعبد به وأبو حنيفة كافية مطلقًا. أبو يوسف في حق العاجز فقصد أبو حنيفة أنه يقص علينا قصص الأنبياء قال عيسى ﴿**إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ**﴾[163] ولم يقله بعربي وقصد غيره إن القرآن نزل للتعبد والإعجاز فالإعجاز إنما يوجد في العربية فيجب الترتيب في أجزاء الفاتحة وإن نكس فغير محسون فمن لم يحفظ شيئًا من الفاتحة قرأ قرءَانًا غيرها وإن لم يحفظه ذكر الله وصلى وإن لم يحفظه وقف قدرها ووجب عليه تعلمها ولو بإجارة كثيرة واقتدى بالقارىءِ إن وجده وإلا أدى بطاقته وكذب عن ابن مسعود من قال عنه إن الفاتحة والمعوذتين ليستا من كتاب الله فإنها متواترة فالظن سلامته منه قال صلى الله عليه وسلم: **من لم يحمد الناس لم يحمد الله**[164] فالمنعم في الحقيقة هو الله هو الذي خلق النعمة وداعية الإعطاءِ والأخذ ﴿**وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ**﴾[165] فكل من أحسن إليك إنما أحسن لغرض إما طلب ثناء أو إزالة رذيلة الشح عن نفسه فمن أعطى لغرض لم يعط إلا الله تعالى أو من أنابه عنه من خلفائه فلا يستحق الحمد إلا الكامل بذاته ولا يطلب كمالا فلقد علم الله عجز كل موجود عن أداء ما يستحقه تعالى من الحمد والشكر فتولى حمد نفسه بنفسه فأمرنا أن نحمده بما حمد به نفسه من أسمائه التي بينها لنا فكلها دالة على كماله ﴿**وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا**

---

[163] مريم 30.

[164] الترمذي والطبراني في الأوسط عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بلفظ لم يشكر عوض لم يحمد

[165] النحل 53.

تُحْصُوهَا﴾[166] فقد أنعم علينا بالإيجاد ولو رجعنا إلى أصلنا العدم ما أدينا حق نعمة واحدة **لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك**[167] أستغفرك وأتوب إليك فحمدنا له وشكره متوقف على إقداره لنا فمن ظن أن شكره يساوي نعمته فقد كفر: **يا داوود لما علمتَ عجزك عن شكري فقد شكرتني بحسب وسعك**، قال صلى الله عليه وسلم: **إذا أنعم الله على عبد فيقول الحمد لله يقول الله تعالى انظروا إلى عبدي أعطيته ما لا قدر له فأعطاني ما لا قيمة له**، فمعناه نعمة الله على العبد واحدة. فقوله الحمد لله معناه جميع ما حمدك به الأنبياء والملائكة ومن وجد ومن يوجد إنما هو لك في جميع أزمنة الأبد ﴿**وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[168] وإلى أبد الآبدين ودهر الداهرين فالمنعم به متناه والحمد غير متناه فالذي بقي للعبد المؤيد طاعات غير متناهية فلا بد من مقابلتها بنعم غير متناهية فله استحق الثواب الأبدي والخير السرمدي فالوجود خير من العدم فإذا قال الحمد لله قال الحمد لله على جميع ما أوجده ربنا من عرض وأجرام وجواهر وحركات وسكنات فهو يشهد أنها له تعالى فالتسبيح مقدم على التحميد فالتسبيح تنزيه عن سمة نقص فالتحميد نسبة الكمال له تعالى وهو أن الإحسان إلى غيره مع غناه عنه فالحمد متعلق بالنعم الماضية ومتعرض لتجديد نعم عنه ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾ فبالأول يغلق أبواب النار وبالثاني يفتح أبواب الجنة فلا يحمد إلا في موضع الحمد. احترق بعض الأسواق فقيل لبعض الصوفية دكانك لم يحترق فقال الحمد لله ثم تفطن فاستغفر الله ثلاثين سنة فإن أخوة الإسلام تقتضي المساواة فالحمد من حيث أعطية المنعم أولى من حيث هي نعم فلما بلغ الروح سرة آدم عطس فقال الحمد

---

[166] النحل 18

[167] مسلم وأبو داوود والترمذي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها

[168] يونس 10

لله رب العالمين وآخر دعوى أهل الجنة الحمد لله رب العالمين ففاتحة العالم وخاتمته على الحمد فالله خالق للفعل والعبد والداعية للفعل والتوفيق والاختيار فتشنيع الجبرية على المعتزلة مردود قالوا لهم نسبتم الفعل للعبد فهو الذي يستحق الحمد والجواب أن الفاعل للعالم هو الله كما رد تشنيع المعتزلة على الجبرية وهو أنه لا يستحق الحمد إلا من لا قبح في فعله فوجهه أن الجور والقبح إنما يثبتان لو أمكن أن يوجد فالله حكيم فكلما فعله أحكم وأحسن فلا يتصور غيره من حيث هو فإنه حكيم لا يفعل إلا ما فيه حكمة فحكمة الله في الكافر معلومة لظهور أسمائه وكماله لا غير فالمعتزلة نسبوا الفعل للعبد ليلا ينسب الجور والظلم إلى الله وهو وجه عذرهم مع اعتقادهم أن الله خلق فيهم قدرة التوفيق والاختيار والإرادة فالجبرية نفوا الفعل عن العبد ليلا ينسب له الكمال فالكمال لله فهو وجه عذرهم فما طلبوا إلا الكمال لله وإن جهلوا المناط السني فالله يعذرهم حيث طلبوا تنزيه الله وتسبيحه فالوسط مناط الأشاعرة والماتريدية فالحمد واجب بالشرع فما عرفنا نعمًا ولا منعما إلا بالله فنترك الشبه العقلية فالحمد والدعاءُ وسائر الأذكار إنما يؤتى بها لتحقيق نسبة العبودية لا لأنه مستكمل بها أو مجازى بها فندعو الله بألسنتنا وقلوبنا مستسلمة للقسم الأزليّ الذي لا يزيد ولا ينقص إظهارًا للافتقار لا غير فكل ما في الدنيا من نعمة أو بلية فهو رحمة فالحكيم يبني أموره على الحقائق لا على الظواهر فحقوق الله على المسامحة وحقوق العبد على المشاحة. فاعلم أيدك الله أن الله أطلع حبيبه صلى الله عليه وسلم على جميع الحقائق المستفادة من حروف الهجاء فحروف الهجاء من حيث هي أسماء الله باعتبار وأسماء كتبه باعتبار وأسماء رسله وأوليائه باعتبار فإنها اشتملت على العلوم الإلهية فما من حقيقة إلا وفتحها الله له حتى تحققها فإذا أنزل عليه أشار إليه أولا إلى ما أطلعه عليه بالحروف الدوال على السورة وعلى القارىء وعلى المنزل تعالى فقوله تعالى ﴿الم﴾ إشارة إلى ما شاهده وعاينه من أنوار السورة فهي عليه

اسم السورة ومن أنوار الله فهي اسم الله ومن أنوار القارىء فهي عليه اسم النبي صلى الله عليه وسلم فله قال كل واحد ما أدركه فالحرف المعجم كلها اسم الله ينادي يا أبت ثجح خدذ رزط ظكل منص ضعغ فقس شهو لاي فقال قتادة اسم القرآن وقيل فواتح للقرآن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال أسماء سور وقال بعضهم اسم الله الأعظم وهو ابن عباس وقال ابن عباس قسم أقسم الله به وهو من أسمائه وقيل حروف يدل كل حرف على ما لا يدل عليه غيره إذا الله أعلم.

وقد علمت أنه صح جميع ما ذكروه فإن الحروف إشارة إلى الحقائق بين النبي وبين ربه فإذا أشار له علمه ارتسامًا من غير مشقة فله قال له ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ**﴾[169] فإنه علمه بالإشارة إليه لتحققه في صورة علمه كقوله لأبي بكر أتدري يوم يوم قال نعم فيوم إشارة إلى الحقائق بينه وبينه. فالحروف أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي دالة على العلوم الإلهية ﴿**ذَٰلِكَ الْكِتَابُ**﴾ هذا الكتاب وإنما قال ذلك للغيب إشارة إلى الجمع بين ما رآه وأعلمه له ربه قبل نزول اللفظ بل ارتسم في جواهر عقله بالكشف والتعليم اللدني بلا واسطة وإنما توسط الملك اللفظ مع المعنى فالذي رآه قبل النزول جميع الحقائق بانفرادها فله قال ذلك أي الذي كشفته لك من حقائق الأحكام والمرسلين والأمم والإنزال هو هذا الكتاب الذي جاء به ملكي فقد علمته قبل أن يأتي به وليس له لا السببية فالفاعل المعلم أنا لا غيري فجبريل خديمك لا غير فالهدية إنما أنزلت تعظيمًا لك وأما أنا فقادر على أن أوصل بغيره لكن ترتيب مملكتي واجب فذلك الذي رأيته عين ما أنزلته ﴿**لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ**﴾ لا شك فيه أنه منّي منزل حق ثابت ولقد علمته قبل نزوله فلا شك أن الحقائق متعينة بالله في حقيقتك فلا ينبغي لغيرك أن يشك في هذا الكتاب فإنك أمين عليه وكذلك أنزلته على

---

[169] القيامة 16

يد أمين عليه وكذلك أنزلته على يد أمين في لوح أمين مكين لا يصله التبديل والتغيير فأنت حق على حق من حق فلا عبرة بالمرتابين الجاهلين فأنت نبيي ورسولي والكتاب كتابي والحكم حكمي ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُومَرُ**﴾[170] ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ**﴾[171] ﴿**وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾[172] عن لغوهم وأباطلهم وكلامهم الفحش الفاحش فلن لهم حتى يتوبوا ويلينوا بالعلم فهم أشربوا الجهل قبلك فسسهم بما عندك من العقل: **دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**[173]، فلا يرتاب في إشراق شمس القرآن كما لا يرتاب في شمس الظهيرة فلا يرتاب فيه إلا العمي البكم الذين هم شر الدواب ﴿**هُدًى**﴾ حال كونه هاديًا ﴿**لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ المجتنبين الشرك وكل منهي أي الذين اتقوا في علم الله يهديهم إلى الصراط المستقيم وإلا يهديهم إلى طريق المغضوب عليهم والضالين فالقرآن يهدى به المهتدي به في علم الله فإذا سمعه أخذ بمجامع لبه وعقله فاقشعر ولان ورجا وخاف وطلب الخير واستبقه حيث هو وغيره يزيده القرآن حيرة وضلالا فإنه لا يحب سماعه طبعًا طبع عليه لا يقبل الحق لانسداد مرآته نعوذ بالله منه ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾ يعني الذين يعلمهم أنهم يومنون بالغيب وهو كل ما أخبر به مولانا من الأحكام أحكام الدنيا وأحكام المعاد فإنه لا دخل للعقل في الأحكام الشرعية ولا في الإمكان غير أنه يعلم بالله أن المالك يفعل في ملكه ما يشاءُ فالغيب غيبان الصم وهو المراد الذي لم تتعلق به قدرة الله قبل التخصيص بالإرادة فهذا إن جاء بيانه عن الشارع أفشي وإلا فإن ألهمه من الله بلا سبب فسر يحرم إفشاؤه وإلا سلب وإن كان له وجود بحيث تعلقت به القدرة كأحوال السماوات والأرضين بعد وجودها فغير أصم فيدرك بالكسب من

---

[170] الحجر 94

[171] هود 112

[172] الأعراف 199

[173] الترمذي والنسائي عن الحسن بن عليّ رضي الله عنهما

أنواع العلوم والحرف المتقنة كأحوال المعادن فذات الله موجود غيب يومن بها كل آمن بالله والمدرك بأنواع العلم ليس بغيب عند المدرك وبملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر من جنة ونار وغيرهما وثواب وعقاب مما لا تدين به العرب قبل الشرع ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ من أقام القوم سوقهم إذا لم يعطلوها للبيع والشراء فإقامتها أداءها بحدودها وفروضها وشروطها وواجباتها وسننها في أوقاتها المرعية فالصلاة هنا هي الشرعية من نية وتكبير وقراءة بها وركوع وسجود وسلام فالصلاة لغة الدعاءُ فقط وهي استنتاج العبد رضى ربه وثوابه فالوقاية فرط الصيانة وقت الدابة من وجئها تقي حافرها أن يصيبها أدنى شيء فهي امتثال الأوامر واجتناب المناهي ظاهرًا وباطنًا كبائر وصغائر فانظر من عاملت لا ما عملت قال صلى الله عليه وسلم **لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرًا مما به بأس**[174]، وهي الخشية **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾**[175] **﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ﴾**[176] أي التوحيد والتوبة **﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾**[177] أي تابوا والطاعة **﴿أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾**[178] وترك المعصية **﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾**[179] والإخلاص **﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾**[180] وهي مقام شريف **﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا﴾**[181] **﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ**

---

174 الترمذي عن عروة السعدي رضي الله عنه

175 النساء 1

176 الفتح 26

177 الأعراف 96

178 النحل 2

179 البقرة 189

180 الحج 32

181 النحل 128

التَّقْوَىٰ﴾[182] **﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾**[183] قال صلى الله عليه وسلم **من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله ومن أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده**[184]، وقال: التقوى ترك الإصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة، قال بعض العارفين ألا يجد الخلق في لسانك عيبًا ولا الملائكة المقربون في أقوالك عيبًا ولا ملك العرض في سرك عيبًا وهي أن تزين سرك للحق كما زينت ظاهرك للخلق وهي الا يراك مولاك حيث نهاك فالناس محصورون في المتقين وغيرهم **﴿كَالْأَنْعَامِۚ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾**[185] **﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا﴾**[186] أي يؤثر إنذارك وهدى القرآن كذلك يقال أمنته وآمنته غيري وآمنه صدقه وأمنه التكذيب والمخالفة وعدي بالباء لتضمنه معنى أقرّ واعترف وأوثق به.

فحقيقه الإيمان عند ملل الإسلام أربعة المعتزلة والخوارجية والزبيدية وأهل الحديث اسم لأفعال القلوب والجوارح واللسان فقالت المعتزلة إن عدى بالباء للتصديق لغة وإن أطلق فهو اعتقاد الحق وتعريفه بلسانه وعمله فإن أخل بالاعتقاد وعمل فهو منافق ومن أخل بالشهادة فهو كافر وبالعمل فاسق فقال وأصل هو عبارة عن فعل جميع الطاعات قولاً وفعلا واعتقادًا واجبًا ومندوبًا. أبو هاشم عن الواجبات فقط. النظام اجتناب كل ما جاء فيه الوعيد فالمؤمن عند الله من اجتنب الكبائر وعندنا من اجتنب ما فيه وعيد فالخوارج هو يتناول المعرفة بالله وبكل ما وضع عليه

---

[182] البقرة 197

[183] الحجرات 13

[184] أبو نعيم في حلية الأولياء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

[185] الفرقان 44

[186] النازعات 45

دليلا عقليًا أو نقليا من الكتاب والسنة ويتناول طاعة الله من الأفعال والترك صغيرًا أو كبيرًا فترك خصلة منها كفر عندهم [قلت] لعله إيمان كامل والكفر هو دون كفر كسائر المعاصي وأهل الحديث عندهم وجهان المعرفة إيمان كامل وهو الأصل ثم كل طاعة إيمان بصميمة الأصل ولا شيء من المعصية بكفر والجحود وإنكار القلب كفر صراح ثم كل معصية بعده كفر بحدتها كما أن كل طاعة بعد التصديق إيمان. الثاني الإيمان اسم للطاعات كلها فرضًا ونفلا فإن ترك فريضة انتقص إيمانه دون نفل، أبو حنيفة هو إقرار باللسان ومعرفة بالجنان فأكثر المعرفة الاعتقاد الجازم عن علم أو عن تقليد فالعلم من الدليل فالتقليد للشرع أو أهله فالمقلد عندهم مسلم واشترط بعضهم الاعتقاد الجازم عن دليل فالعلم هنا بالله وبصفاته على التمام فاختلف الخلق في صفات الله فنشأ عنه تكفير البعض بعضًا فالحق والإنصاف أن الإيمان هو التصديق الجازم بما علم مجيء رسول الله به وهو ما اشتمل عليه القرآن والحديث وعليه فما اختلفت فيه أيمة الإسلام ككونه عالمًا بصفة عند الأشعرية أو بذاته عند غيرهم ليس من ماهية الإيمان كمرئيا وغير مرئي، الأشعري هو التصديق بالقلب واللسان معًا فالتصديق الكلام القائم بالنفس وبعض الصوفية إقرار باللسان وإخلاص بالقلب. والثالث هو عبارة عن عمل فقط قال جهم[187] معرفة الله بالقلب ولو لم ينطق عمدًا حتى مات فهو مؤمن عنده كامل والرابع هو الإقرار باللسان فقط مع ضميمة المعرفة بالله عند بعضهم وعند غيرهم بلا شرط فالمنافق ظاهر الإسلام كافر الباطن فله حكم الإسلام في الدنيا وحكم الكافرين في الآخرة وهو للكراهية. فالحق أن الإيمان هو التصديق بكل ما علم ضرورة أنه من دين رسول الله صلى الله

[187] هو أبو محرز، الجهم بن صفوان الترمذي، ولد ونشأ في الكوفة سنة 78هـ كان حاد الذكاء قوي الحجة ذا دأب وفطنة وفكر وجدال ومراء، صحب الجعد بن درهم بعد قدومه إلى الكوفة وتأثر بتعاليمه، وبعد مقتل الجعد عام 105 هـ حمل لواء (المعطلة) من بعده إلى أن نفي إلى ترمذ في خراسان. توفي في 128هـ.

عليه وسلم فله أضاف الله الإيمان إلى القلب ﴿**وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ**﴾[188] ﴿**كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ**﴾[189] ﴿**وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾[190] فله قرنه بالعمل الصالح وبالمعاصي فلو كان العمل خيرًا أو شرًا من ماهية الإيمان لزم التكرار ﴿**وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ**﴾[191] ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا**﴾[192] ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا**﴾[193] ﴿**فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ**﴾[194] ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾[195] لا يشترط التصديق بجميع صفات الله لقوله صلى الله عليه وسلم للأمة **أين الله** قالت في السماء فقال **أعتقها فإنها مؤمنة**[196]، فمن عرف الله بالدليل ومعه فسحة التلفظ ولم يتلفظ سمي مومنًا وعصى بترك التلفظ ولا يكفر به فله وجود في الأعيان ووجود في الأذهان ووجود في العبارة فالعيني هو النور في القلب بسبب ارتفاع الحجاب بينه وبين ربه ﴿**اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾[197] فقبل القوة والضعف والشدة والنقص كسائر الأنوار ﴿**وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا**﴾[198] فكلما ارتفع حجاب زاد نوره فيتقوى الإيمان ويتكامل إلى أن ينبسط نوره فينشرح الصدر ويطلع على حقائق الأشياء ويتجلى له الغيوب وغيوب الغيوب فيعرف كل شيءٍ

---

[188] النحل 106

[189] المجادلة 22

[190] الحجرات 14

[191] الأنعام 81

[192] الحجرات 9

[193] الأنفال 72

[194] البقرة 178

[195] الحجرات 11

[196] أبو داوود في سننه عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه

[197] البقرة 257

[198] الأنفال 2

في موضعه فيظهر له صدق الأنبياء عليهم السلام في جميع ما أخبروا عنه إجمالا أو تفصيلا على حسب نوره وبمقدار انشراح صدره فينبعث من قلبه داعية العمل بكل مأمور واجتناب كل محظور فينضاف إلى نور معرفته أنوار الأخلاق الفاضلة والملكات الحميدة ﴿**نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ**﴾[199] ﴿**نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ**﴾[200] فالوجود الذهني ملاحظته هذا النور ومطالعته ولمواقعه فخلاصة الوجود اللفظي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمّدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاللفظ بلا نور القلب لا يجدي كالعطشان نطق بالماء لا غير فإنه لم يرتو وللفظ مدخل عظيم في الحكم بالإيمان وكفر فله علامة الإيمان والكفر كالأفعال الخاصة بالمؤمن والكافر فشدّ الزنار علامة الكفر وتركه ككل فعل مخصوص بالكافرين علامة الإيمان فأمر الباطن إلى الله تعالى الخبير بالخفيات: **أمرت أن أقاتل الناس جميعًا حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقه وحسابهم على الله**[201]، فالعرب تسمي المطمئن من الأرض غيبًا فلا نعلم من الغيب لا ما علم ربنا فلا يقال فلان يعلم الغيب فالغيب كل ما غاب عنا ودخل فيه المهدي وغيره ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ**﴾[202] **لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج رجل من أمتي يواطئ اسمه اسمي وكنيته كنيتي يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما ملئت جورًا وظلمًا**[203]، فالصلاة مشتقة من الصلاة الدعاءُ ومن صليت العود بالنار إذا لينته وهو اسم مصدر من صلى

---

[199] التحريم 8

[200] النور 35

[201] الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما

[202] النور 55

[203] أبو داوود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

كزكى من حرك الصلوين فالمصلي يحركهما ﴿**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**﴾ فالرزق ما ينتفع به حلالا وحراما لئلا يكون الكافر غير مرزوق لله فإن ماله حرام فلا يحلله إلا الشرع فالشرع على الإيمان وهو لا يقول بالشرع فقصد المعتزلة تعظيم الله فقالوا فالممنوع منه غير رزق لئلا يرزق الله حرامًا فيؤدي إلى الجبر وهو غلط نشأ من قصد تعظيم وعبر بمن التبعيضية زجرًا عن الإسراف والتبذير ﴿**إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ**﴾[204] ويخصون بعض المال بالتصدق به فالتمكين والانتفاع بالمرزوق مسند إلى الله على الإطلاق وإنما تأدبت المعتزلة لأنه في معرض الامتنان فشمل الاتّفاق واجبا وغيره يخرجون المال في طاعة الله فرضًا ونفلاً **قال عمرو بن قرة للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله قد كتب علي الشقوة فلا أراني أرزق إلا من دفي بكفي فاذن لي في الغناء من غير فاحشة فقال لا آذن لك ولا كرامة كذبت أي عدوّ الله لقد رزقك الله حلالا طيبا فاخترت ما حرّم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله**[205] فالإسراف مجاوزة الحد بمن لا يصبر، وقد أنفق أبو بكر جميع ما عنده ولم ينكر عليه ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ**﴾ أي حكم الله بإنزاله متقدمًا عن الخطاب ومتأخرًا من جميع من سبق في علم الله أنهم مومنون بسيدنا محمّد وبجميع من آمن به وما آمن به آمن الرسول كلّ آمن بالله وملائكته فدخل الكتابيون وغيرهم فالإنزال سماع جبريل كلام الله في السماء على وجه أقدره الله عليه فلا يقيد العقل ربه ولا قدرته فآمنا بالنزول وكيفيته في علم الشرع فما كلفنا به كيف وكيف يلزم ويلزم فلا كيفية يدركها العقل ولا يلزم شيءٌ فإننا لا نتعقل كيفية نطقنا ولا كيفية خزائن علمنا ﴿**قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِرَبِّي**﴾[206] فالملك روح من أمر الله مؤمن به بالقرآن فلا ندرك

---

[204] الإسراء 27

[205] ابن ماجه عن صفوان بن أمية رضي الله عنه

[206] الإسراء 85

وجوده إلا من الشرع فالشرع لم يبين كيفية النزول والسماع ولا تعرض للحدوث ولا للقدم وإنما سمع الملك الله فالملك أقدره الله على سماع كلام ربه وإنما منع البشر إلا بوساطة الملك أو وساطة الفناءِ الأعظم الذي تغيب به رسوم العوالم من حيث هي وإنما يأخذ الحق من أحبه فيتجلى فيه بقوة قهره فيفنيه ويغيب قوته وحوله ويلبسه تعالى قوته وحوله فيسمعه ما أراد ويريه ما أراد من غير حاجر ولا حاجز ولا حاكم يمنعه من مثله فهو مطلق فالكيفية لا توصل ولا تعلم إلا بالوهب فليعرف المتجمد على الظواهر والألفاظ قدره من قدر غيره يقال نزلت رسالة الأمير من القصر وإنما سمعت من علوّ فينزل بها المستمع فيؤديها في سفل وقول الأمير لا يفارق ذاته أسمع الله جبريل كلامه فأقدره الله على عبارة يعبر بها عن ذلك الكلام القديم فهو المسموع والمقروءُ والمعلوم أنه كلام الله وبه نصلي ونقف بين يدي ربنا فهذا مقام التسليم والإيمان لا مقام العلم والتحقق فكلام الله صفة ذاته وهي لا تدركها الأبصار على الإحاطة كمعية ذاته تعالى مع مفعوله فسلم تسلم فكما لا يعقل وجوده مع وجود خلقه إلا على وجه الإيمان والتفويض للإيمان الشرعي اللهم إننا فوضنا للشرع فيجوز أن يخلق الله له سمعا لكلامه وإن يخلق في اللوح المحفوظ هذا النظم وحفظه وأوصله على ما حفظه ويجوز أن يخلق أصواتًا مقطعة بهذا النظم في جسم مخصوص فيتلقفه جبريل ويخلق له علمًا ضروريًا أنه كلام الله **[قلت]** كما نحفظه في المصحف وآمنا به أنه من عند ربنا وهو الإيمان فمن أراد وراءه طلب إزالة الإيمان فالرسول بنفسه آمن بما أنزل إليه من ربه فما بال غيره ﴿**أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي**﴾[207] فالإيمان بسرّ القدر كاف والزيادة إنما تكون بالوهب فما وصل بالوهب لا كسب فيه فلا فائدة في تعصيره. آمنا بأن لله كلامًا قدسيًا من حرف حادث وصوت حادث أي

---

[207] البقرة 260

منزها منهما وأما الحروف القدسية والأصوات القدسية التي عجز عن إدراكها العقل لضعفه فمن أراد البحث في الكيفية شابه اليهود الذين قالوا لنبيهم لا نومن حتى نسمعه كما سمعته فعذبهم بسوء أدبهم مع ربهم ونبيهم فأسمعهم وأنكروه فأصعقهم حتى شفع فيهم نبيهم فبعثهم ربهم منتنين فصار النتن سلالة في أولادهم وإيا إخواني من مثله فإننا آمنا بأنه منزل من ربنا وإن اللفظ حلة الله متعبد به معجز لفصحاء العرب فنومن بما أنزله الله على من قبلنا إجمالا إن لم يثبت التفصيل وإلا آمنا به تفصيلا مائة وأربعة كتب فستون صحيفة على شيث وثلاثون على إبراهيم وعشر على موسى قبل التوراة فالتوراة والإنجيل والزبور والفرقان ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ فهذه الدار دنيا تأنيث الأدنى لدنوها بأهل التكليف ولدناءتها في قلوب الزاهدين ولسبقها مخلوقة فالآخرة تأنيث اللآخرة لتأخرها عن هذه زمنًا وتحققًا فاليقين علم جازم بعد شك فلا يوصف به الله ولا يقال تيقنت أن الجزء أقلّ من الكلّ فالخطاب لمن أشرك قبل وشك في وجود الآخرة ثم علمه القرآن ونبيه وأما من رضع الإسلام من أبويه فلم يتقدم له مثله فأولادنا الصغار يعلمون الدنيا والآخرة فلم يتقدم لهم شك في صبًى ولا في كبر فكما فطروا على اللسان كذلك فطروا على معرفة الله بالإيمان بما أنزله الله فلا تجد صبيًا ما ينفي عند قول الله لا إله إلا الله بيد أنه يتعبد باللفظ الموافق مدلوله صورة إيمانه وعليه فلا يقال إلا لمن تقدم له شرك أو شك فأواخر هذه الأمة ممحضة عالمة بنور وإيمان الآباء ونور إيمانهم فهم محبوبون قال صلى الله عليه وسلم: **يا عجبًا كل العجب من الشاك في الله وهو يرى خلقه وا عجبا ممن يعرف النشأة ثم ينكر النشأة الآخرة وا عجبا لمن ينكر البعث والنشور وهو كل يوم يموت ويحي** -يعني النوم واليقظة- **وا عجبًا ممن يومن بالجنة وما فيها من النعم ثم يسعى لدار الغرور وا عجبًا من المتكبر الفجور وهو يعلم أن أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة**، ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ فمن حسنت عقائدهم وأعماله أحقاءُ بأن يهديهم الله ويعطيهم

الفلاح أولئك الممدوحون كائنون على متن طريق هدى من ربهم فضلاً لا استحقاقًا فالكل بالله ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ لا غيرهم تعريضًا للكتابيين الكافرين مع علمهم الرسول كما يعرفون آباءهم المفلحون الفائزون بالبغية والمفلج بالجيم مثله فالتعريف للعهد من المتقين. في الخبر: **يحشر الناس يوم القيامة فيقول الله لهم طالما كنتم تتكلمون و أنا ساكت فاسكتوا اليوم حتى أتكلم إني رفعت نسبي و أبيتم إلا أنسابكم [قلت] إن أكرمكم عند الله أتقاكم و أبيتم أنتم فقلتم بل فلان بن فلان فرفعتم أنسابكم ووضعتم نسبي فاليوم أرفع نسبي وأضع أنسابكم فسيعلم أهل الجمع من أصحاب الكرم أين المتقون**، [قلت] فليأخذ العاقل بحكمة الله فإنه علّق الثواب والعقاب بالعمل الصالح والسيءِ فكما علق الشبع بالطعام والري بالماءِ فلا يقصد شبع وري من غيرهما كذلك علق الثواب بالعمل الصالح والعقاب بالعمل السيء فلا يتصور غيره عند عن عقل تبعًا لحكمة الله وترتيب ملكه ولما بين أوصاف المؤمنين وأحكامهم ومدحهم بالفوز من الشرور وبالظفر بأعلى الدرجات عقبه بذكر الكافرين الذين حقت عليهم كلمة غضب الله ليظهر فيهم أسماءَ جلاله وكماله ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ يعني أنه أرسل الرسول إلى من سبق في علمه أنه مؤمن وكافر ليظهر حجته عليهما بالإرسال وليعظم أجر الرسول فيثيبه على عدد المرسل إليهم صدقه أم لا وربما يعظم أجره بالكافر فإنه يشق عليه أمره ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فالتعريف للعهد العلمي جحدوا مع علمهم بأنه رسول الله وستروه ونفوا معرفته في التوراة وغيرهم فإنهم علم الله كفرهم فلا يخرجون عن علمه فله قال ﴿سَوَاءٌ﴾ إنذارك إياهم وعدمه سواء مستو في عدم الانتفاع به لما هم عليه في علمه من تأييد كفرهم ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لا يمكن إيمانهم بأي وجه كان لكون الله لم يرده منهم لنجاستهم باطنًا وخبثهم فلا تتأسف عليهم فإنهم مظاهر أسماء جلالي فلا يمكن تخلف مقتضاها وإلا لزم العجز وهو محال فرسالتك إنما زادت لهم شقاءً

وعناء فلولا رسالتك لانتفى عليهم حكمي فهي أتعبتهم بلا فائدة تعود عليهم إلا إقامة الحجة وتأخير العذاب إلى وقته المستمر فالإنذار الإعلام بالشيء المخوف فالنذير العريان هو أن عادة العرب إذا رآ بعضهم جيش الاستيصال أعرى نفسه من الثياب ويشير بها إشارة إلى أن العدو يصيرهم كحالته فلا يشكون في أنه صادق فالرسول مثله في الصدق فلا ينبغي لعاقل أن يكذبه فإنه أمين يخبر عن العيان وهم كأبي جهل فالتكليف بما لا يطاق إن امتنع لذاته جائز غير واقع وإن امتنع لغيره جاز ووقع كتكليف أبي جهل وإبليس بالإيمان فإن الله كلفه بالإيمان بما جاءَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرده منه لما سبق به العلم فقد أطلق له الاختيار فاختار غير الإيمان به ظلما منه فإنه لم يطلعه الله على ما ثبت في علمه ولم يكلفه وإنما منعه الاستنكاف والاستكبار ظاهرًا فالتكليف منوط بالظواهر فالامتناع لغير ذاته بل للاستكبار على الربوبية والاستطالة على نبيه فوجه الأخذ أن الله لم يطلع أحدًا على علمه القديم ووجه أبلغية حجة الله على عبيده أن القدرة لا تتعلق بالقدم وإنما تتعلق بالإمكان فعلمه ومعلومه قديمان فلا تتعلق بهما القدرة البتة بإجماع لما يترتب عليه من المحال فلو جاز لجاز أن يعدم نفسه فالحقائق لا تتبدل ﴿**لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ**﴾[208] فمن علمه ذكرًا ظهر ذكرًا كعكسه وقس ﴿**خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ**﴾ طبع وكتم وغطى واستوثق فالقلب اللحم الصنوبري المودع في التجويف الأيسر من الصدر الذي هو محل الروح الحيواني منشإ الحياة والحس والحركة وينبعث منه إلى سائر الأعضاء بتوسط الأوردة والشرايين ويطلق على اللطيفة الربانية التي يكون بها الإنسان إنسانًا وبها يستعد لامتثال الأوامر والنواهي والقيام بواجب التكليف ﴿**إِنَّ فِي**

[208] الروم 30

ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾[209] وهي من عالم الأمر الذي لا يتوقف وجوده على مادة ومدة بعد إرادة موجده له ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[210] فالصنوبري من عالم الخلق ﴿**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ**﴾[211] وهي النفس الناطقة والإنسانية والروح ﴿**قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِرَبِّي**﴾[212] ﴿**وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي**﴾[213] والسمع قوة مرتبة في العصب المتفرق من سطح الصماخ تدرك صورة ما يتأدى إليه بتموج الهواءِ المنضغط بين قارع ومقروع فالعصبة قوة ورتبة في العصبة المجوفة تدرك صورة ما يطبع في الرطوبة الجلدية من أشباح الأجسام ذوات الألوان فيخرج منه شيءٌ يلاقي المبصر يأخذ صورته من خارج وهو الشعاع فنسبة البصر كنسبة الباصرة إلى القلب فالبصر والبصيرة بحر واحد يغيرهما أقل شيءٍ فلو سقط بعوض في العين لمنعها من الإبصار فلو حصلت صورة بعوض في القلب لمنعته رؤية الحقائق على ما هي عليه فإن الصورة باطلة وهمية شغلية خيالية فالبعوض كغيره لا يوجد في القلب وإنما ارتسم فيه الباطل وقس على البعوض الكون كله فإنه شاغل فكل من تتصور له الصور الكونية في قلبه وأراد جمال الله فقد نفخ في غير ضرم فالصور الكونية كليل فالحق كإشراق شمس إذا ظهر العدم وهو الصور الوهمية حجب القدم وإذا تجلى القدم بطل العدم فالذي كلف المربي تجريده من المريد هو الصور الباطلة الشاغلة لا الذوات الحقيقية من سماءٍ وأرض وأهلهما فإنهما موجودان بإيجاد الله في محلهم فالقلب محل الأنوار الإلهية والمعارف الربانية والحقائق الذوقية والعلمية فهو بيت

[209] ق 37

[210] يس 82

[211] الأعراف 54

[212] الإسراء 85

[213] الحجر 29

الرب نجسه العبد ظلمًا بتوهم غير الله به كمسجد بيت الرب ينظف من القاذورات الشرعية وكل كلام بغير ذكر الله فإنه ما بني إلا للذكر والتذكير فمن أنشد ضالة فيه ظلم وألحد في بيت الله كالقلب إنما خلق للمذكور فهو أعظم من البيت الحرام فالبيت للذكر وهو للمذكور فشتان ما بين النسبتين وهو بيت في صدر فالصدر أرضه فيها جيوش الملائكة والأنبياء خدامًا له فإنه بيت ربهم وجيوش الشياطين توسوس خارجه في أرض الصدر طلبا لاستيلائها على حبة القلب فإن استولت عليه الملائكة غلبت الشياطين فأسلمت واحترقت بنوره لملازمتها له فتنخرق صورهم إلى الإسلام كأبي سفيان في حروب أحد والخندق فلما قهره النور أسلم فإنه لم يكن في علم الله كافرًا بل جاهلاً فعلمه نبيه بعد السياسة الشديدة وإن استولت عليه الشياطين صارت الملائكة الملازمون كضعفة المؤمنين بمكة زمن استخفائهم وصبرهم لأذى المشركين فإذا هب نسيم الملك استولى عليه فهذا عادة الله في ملكه كليل مع نور النهار فالملك نور والشيطان ظلمة ﴿**يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ**﴾[214] فحكمة الله أنه خلق نورًا وجعل له أهلاً وخلق ظلامًا وجعل له أهلاً فالملك أهل للنور والشياطين أهل للظلام فالشيطان ككلب صيد لله فإنه فعال لما يريد خلقه بين يديه لطلب زيادة دولة الظلام فقال كل قلب غفل عن ذكري -يعني حضوره تعالى فيه باستيلاء صور الأغيار الباطلة التي لا وجود لها في العيان على حبته التي كعبة القلب والبيت المحرم من أن يخطر فيه غيره فهذا البيت إنما خلق للحق لا للباطل فالحقائق خلقت لمراد الله في محلها وإنما ظلم الإنسان حيث أخطر غير حبيبه في غير محل خلق له فالقلب في الإنسان بمنزلة البيت الحرام باعتبار الملائكة يطوف سبعون ألف ملك في كل يوم وهو معنى السجود لآدم فأولاده كذلك وكالبيت المعمور في السماء الرابعة أو السابعة

[214] الزمر 5

وهو محل نظر الله فإذا طهر الإنسان قلبه مما سوى مذكوره تعالى ونظفه حتى صار كالبلور النظيف بعدت عنه الأبالسة فالقلب بمنزلة شكوة اللبن أو البلور والشيطان كذباب فإن توسخ بالأغراض مع الله ومع عبيده انكبت عليه الشياطين كالذباب فإذا ذكر الله بلسانه ووصل نوره للقلب نخس الشيطان وإن سكت رجع إليه وإن تنظف هرب- فعليك به ﴿**وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**﴾[215] فتحصل أن القلب كلف به الملك والشيطان فهما قرينان له فإن كان في علم الله مومنًا معصومًا انقلب قرينه مسلمًا وإلا فبعد المجاهدة والهجرة من المألوفات من صور الأكوان الحادثات فيه الوهمية ثم يصير أمر شيطانه إلى ما آل إليه شيطان الرسول من الإسلام وإنما قال لعائشة: **لكن أعانني الله عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير**[216]، زمن مجاهدتها قبل إسلام شيطانها كأبي سفيان زمن أحد وخالد بن الوليد زمنه ثم أسلما بعد جهاد كثير وصارا إمامي هدى يأمران بالخير نيابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم فبهما وقعت الفتوحات الإسلامية كمعاوية ببدر ثم صار خليفة يفعل ما يفعله الرسول وهو **فلا يأمرني إلا بخير**[217] ومن سبق في علم الله أنه كافر ألزمه كافرًا في علمه فلا يتحولان معًا أبدًا فمن طهر محل الأضياف أتاه كل ضيف طاهر من أرواح الأنبياء والملائكة والأولياء أهل السراح من غير طلب فطلب الفتح مبعد له فالكريم تأتيه الأضياف بلا طلب وإن نجسه أتاه أضياف الأنجاس كجعل مثلا يجتمع على الأوساخ فطهر قلبك مما سواه تعالى يشرق نور المذكور تعالى في أرض الصدر فينور سكانها وتطربك بأنغام تقديسها لربها وتسبيحها فالله ولي التوفيق فللعين نور متصل من عالم الخلق وللقلب نور مفارق فإنه من عالم الأمر وهو نور كلي ومدركه

---

[215] الزخرف 36

[216] مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

[217] مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

كلي فخاصية السمع اختصاصية بحيث لو اجتمعت أنواع الإدراكات ما وصلت شيئًا أدق من فائدتها كالبصر والقلب إلى سائر الحقائق الإلهية فإن الحقائق لا تتفاضل إلا بالشرع فالسمع طريقة الشرع والبصر طريقة الرؤية لله تعالى والقلب طريقة الإيمان بالمسموع والعقل طريقة العلم والنفس هي الموجهة لأنوار الروح للاستضاءة بها والقلب بيت الرب فهو الملك الحاكم في دولة الحقيقة الإنسانية المستمدة من الحقيقة الربانية فهي المكلفة بتوجيه النفس إلى آلاتها الحواس الظاهرة والباطنة لتحكم بها على القلب حتى يثبت لصولة صواعق التجلي الحبي الإلهي فالحواس كلها كشمس وقمر ونجم وقنديل مثلاً تستضيءُ بها النفس في بساط الحقائق على أن المحبوب المعبود المطلوب المراد هو الحق تعالى المدلي نوره في سماوات[218] أراضي الإنسانية فالإنسان هو الذي يضاف إليه كل شيءٍ ربي نفسي عقلي قلبي روحي سري جسدي حاجتي فهو الناطق بأنا منك وهو المكلف بالنفس وما تفرع منها فروح الإنسانية هو الحق سبحانه ﴿**وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي**﴾[219] أي من قوة أسمائي وصفاتي وبحور حبي فهذا البحر عميق لا قعر له فالذي بينته فيه كفاية للمهتدي فلو أردت أن أطلق عنان مركوبي ما وسعه الكون فضلاً عن المراكب الحسية لاتّساع الفيض الإلهي وأفرد على سمعهم على حذف مضاف أي على حواس سمعهم فالنكرة إذا أضيفت للمعرفة تعم.

اعلم أن لكل حقيقة اسما خاصا بها وعليه فلا تتفاضل الحقائق بأسمائها من كل وجه فالخلفاءُ الأربعة كلهم مفضلون ولكل واحد منهم جهة خاصة يفضل بها غيره فمقابلة حقيقة بحقيقة من جنسها ممنوع شرعًا: **لا تفضلوني على يونس ابن متى،**

---

[218] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة سموات

[219] الحجر 29

لإيذانه بالتنقيص لأسماء الله وتفضيلها على جنسها جائز شرعًا: **أنا سيد ولد آدم ولا فخر**[220]، وعلى حقيقة من غيرها ممنوع طبعًا فلا يقال في طبع اللسان زيد أفضل من الحجر فافهمه فله لا تجد إجماعًا فيه فإن النص بخلافه فلكل حقيقة سر لا يصلها غيرها فيه فالمؤمن لا يصل مقام كافر والكافر لا يصل مقام مؤمن أبدًا فالكافر مظهر الأسماء الجلالية والمؤمن مظهر الأسماء الجمالية وهما كمالان لله: **فأحببت أن أعرف**، بوصفي الكرم الإحسان لمن أردت والانتقام فيمن أردت فالملك ملكي فلا يتم الملك إلا بهما وهذا صندوق الحكمة فعلمه تعالى متعلق بهما على ما هما عليه قبل وجودهما فهذا الصندوق المخزون هو الذي تستمد منه جماعة أهل السنة وتومىءُ له في المنازعات من غير حل لغيرهم وانحلال لهم فقد صيرته في كتبي كالاسم الظاهر بعد أن كان كناية في حال أهل الجدل ولا جدال في الإسلام ولا تعمية في الحق فلولا الإحسان ما أحب جانبه تعالى لنقصه في عادة الأنفس ولولا الانتقام ما هيب جانبه لنقصانه في عادة الأنفس وإن كان كاملا من كل وجه فهو تعالى الغالب الحاكم على غيره بما أراد الموافق للعلم القديم الذي لا تغيره القدرة لاستحالته فلله الحجة البالغة فكل ما فعله حكمة فيجب في حق الله من باب ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾[221] وهي الإيجاد أن يفعل ما فيه حكمة باعتباره وباعتبار العقول السليمة وهو ما تعلق به علمه وأراده فلا حكمة في غيره البتة ولا تتصور فيه فكل معلومه كمال وأكمل وأصلح حكمة ربانية فالوجود خير من العدم فالكافر موجود مرحوم بأسمائه الجلالية ومقدس بها لحضرة انتقامه الكاملة وهو عين ما ترمز له المعتزلة فلم يقدروا على الإفصاح به كنسبة الفعل للعبد لئلا يخلق قبيحًا وشرًا فهو سجف الأدب عندهم

---

[220] الترمذي وبن ماجه وأحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

[221] الأنعام 54

وكإدراك العقل الحسن والقبح من الخطاب الأزليّ فبل التكليف فيستحق عنهما الثواب والعقاب في نظرهم هروبًا من العبث وقد أشاروا إلى الحقائق بألفاظ غليظة ينشأ عنها التعصب واللجاج وأفصحت جماعة الأشاعرة والماتريدية كأيمتهم قبلهم بالحقيقة وهي أن الله حكيم لا ينصدر منه إلا الكمال وهو المعلوم فغير المعلوم لا يقع وأنه الفاعل وحده هو الذي وجه إلينا الخطاب فضلاً وصيرنا أهلاً لفهمه لكن على أيدي رسله لا غير فلا يدركه العقل قبلهم وأنه أوجدهم لنفسه لا لأنفسهم يفعل فيهم ما يشاءُ لا ما يشاءُون فلا يتصور العبث في حقه تعالى فإن الحقائق على وفق علمه فلا يلزم شيءٌ مما تخافه وتهابه الملل الإسلامية التي خلقت للجنة خلودًا فلا تقصد المسلمون إلا الحق فليس ما اختلفوا فيه حقيقة الإيمان الشرعية فالختم والتغشية الإلهيان هو سبب عدم إيمانهم وهما ونظائرهما براهين الأشعرية على جواز تكليف ما لا يطاق فإنه ملكه لامتناع لغيره فهو واقع فهو الله الذي خلق فيهم داعية الكفر وختم على قلوبهم وسمعهم ومنعهم من قبول الحق والصدق وكل بتقدير، ف﴿**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ**﴾[222] فالمعتزلة قصدوا الحق من وراء حجب أغطية شبه العقول فغلطوا لفظًا لا قصدًا وإنما الأعمال بالنيات فيعلمون بإزالة الشبه بلين ورفق فالرفق يؤنس والعلم قبل ارتسام صورته في العقل يوحش فالرفق واللين سياسة الأنبياء فلا يقبحون: **اذكروا موتاكم بخير**[223]، **فمن استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل**[224]، فنحمل أدلتهم على ما قصدوه من طلب الحق ونطبق كلامهم على الحق ونمدهم بما عندنا من أنوار الحق الذي هو أن الله فاعل بالاختيار لا يلزمه شيءٌ فحقيقة خلقها حلوة فصار

---

[222] الأنبياء 23

[223] أبو داوود والترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما بلفظ **اذكُروا محاسنَ موتاكم، وكُفُّوا عن مساويهم**.

[224] مسلم والنسائي وبن ماجه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

سلالة لحكمة وأخرى خلقها حارة لحكمة وخلق في المزاج أضدادًا من حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة ليتم النظام فالحكمة تقتضي ألا تتم الحقائق إلا بجميع الأضداد الممكنة فلولا الكفر ما عرف الإيمان فلا تعرف الأشياء إلا بأضدادها فلا يقال لم خلق هذا ولم لم يخلق هذا فإنه جهل بحر حكمته تعالى فقالوا كيف يخلق فيهم الكفر ويطلبهم بالإيمان فلو آمنوا فرضًا محالاً لخرجوا عن مراد الله فيقال لهم عن ألسنة الحقيقة والشريعة ﴿**فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ**﴾[225] فهو الملك والمالك ولا مراقب عليه تعالى عنه وكيف خلق فيهم اللبس وقال ﴿**وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ**﴾[226] فنسب لهم اللبس قالت الحقيقة ﴿**فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ**﴾[227] ﴿**لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ**﴾[228] ولم نكلف إلا بالظواهر ﴿**لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ**﴾[229] فهذه الظواهر تفيد اختيار العبد الكفر فتأولوا الآية على أنها يسلك بها مسلك فلان مجبول على كذا يعنون بليغ في الثبات عليه وعلى أنها تمثيل لحال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها كقولهم طارت به العنقاءُ وسال بهم الوادي فلا تكفر المعتزلة لأنهم نزهوه عما يشبه الظلم والقبح ولا يليق بالحكمة عند عقولهم المتوسخة بأغطية الشبه ولا تكفر طائفة الجبر لأنهم عظموه حتى لا يكون لغيره قدرة وتأثير وإيجاد قال الرازي زعمًا إثبات الإله يفيد الجبر لانحصار الفاعلية فيه فهو الخالق للدواعي وإلا لزم وقوع الممكن بلا مرجح وهو نفي الصانع وإثبات الرسول يلجيءُ إلى إثبات القدرة فإنه لو لم يقدر على الفعل فأي فائدة في البعثة وإنزال الكتب [قلت] فإثبات الله والرسول ينتج

---

[225] البروج 16

[226] الأنعام 9

[227] البروج 16

[228] الأنبياء 23

[229] آل عمران 71

حقيقة وسطية وهي الكسب والاختيار فالكسب عبارة الأشعري والاختيار عبارة أبي منصور فالكسب الإرادة ومقارنة الفعل فالاختيار تأثير القدرة الحادثة بمعاونة القديمة فالقدرة الحادثة لا تؤثر البتة عند الأشعريين وتؤثر بالقديمة عند أبي منصور وتؤثر استقلالاً عند فحولة المعتزلة لكنهم يثبتونها لله خلقًا فالمسألة في غاية الاستنارة والسطوع إذا لوحظت المبادي ورتبت المقدمات فلو لم يكن قادرًا على كل شيءٍ من سبب ومسبب وغيرهما لم يصلح لمبتدئية الكل بل الهداية وغيرها مسندة على الله إسناد إيجاد وإمداد وافتقار واستمداد ﴿**وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾[230] ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا**﴾[231] ﴿**قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**﴾[232] **اعملوا فكل ميسر لما خلق له**[233]، **كل شيءٍ بقدر حتى العجز والكيس**[234]. احتج آدم وموسى عند ربهما فحج آدم موسى فلا ريب أن الله منزه عن الظلم والقبح والرذائل والقبائح لكن لا على وجه ما راموه فوجه التنزيه أنه الملك الغالب على أمره أوجد الخلق مع استغنائه عنه على نحو ما علم فهو الكمال فلا يمكن غير المعلوم أبدًا فلا خلل في مبتدئية الكل فللّه صفتا لطف وقهر على حسب أسمائه فالكافر خلق لظهور صفة القهر والمؤمن خلق لصفة اللطف فالمالك يفعل في ملكه ما يشاءُ بعض يستخدمه سيده في المراحيض وبعض لحضرته وبعض أهمله بعض يعطيه في كل يوم مئونته قرشًا وبعض دينارًا وبعض ألفًا وبعض أكثر وأقل فهل ظلم المالك أحدًا لا يتصور وإنما أطلق لنا في الدنيا الملك لأنها دار معرفة لنفهم أن المالك له أن يفعل ما يشاءُ له أن يكلفه بما لا طاقة

---

[230] النحل 9

[231] السجدة 13

[232] النساء 78

[233] البخاري في صحيحه عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

[234] مسلم في صحيحه عن طاووس بن كيسان اليماني رضي الله عنه

به إن أراد إعناته غير ظالم له وقول الفخر فأي فائدة في بعثة الرسل وإنزال الكتب ساقط فإنه فعال لما يريد ﴿**أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾[235] ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ**﴾[236] وهو مكر الله بأنبيائه وعلمائه كلفهم بالهداية وليس لهم من فعل ربهم شيءٌ بيد أنه تعالى تجلى بترتيب مملكته وهو تعليق المسببات بالأسباب ﴿**إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ**﴾ [237] ﴿**مَّا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ**﴾[238] ففائدتهم للمومنين المختارين في وسطهم فضوءُ الشمس للمبصرين وضرر على العمى والرمد فبالأنبياء قامت حجة على الكافرين فلزمهم العذاب بهم فلولاهم لانغمسوا في بحر المعذرة والجهل لكن أزيلت المعاذير بهم ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ**﴾[239] ﴿**لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾[240] ﴿**وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا**﴾[241] وهو بالحقيقة النعي عليهم بأنهم في أصل خلقتهم أشقياء فالأكمه ربما لا يصدق بالشمس فالتقصير منه فلا شك أن للإنسان إرادات وقوى بها يتم له حصول المراد لكن كلها مسندة إلى الله فكأنه لا اختيار فالرعشة نقصت واسطة هي الداعية وفي الاختيار زادت واسطة واستعن بها فيما قرع فكرك فإنها نفيسة أعذب عذابًا نكل نكالاً وزنًا ومعنًى فالعذب يقمع العطش بخلاف الملح فإنه يزيده فتوسعوا فيه على كل ألم فادح وإن لم يكن فيه نكال فالعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فالتنكير على أبصار نوع من

---

[235] يونس 99

[236] آل عمران 128

[237] الغاشية 21

[238] المائدة 99

[239] التوبة 125

[240] النساء 165

[241] طه 134

الأغشية الغير المتعارفة ونوع من العذاب لا يعلمه إلا الله فأكثر المسلمين على أنه يحسن في حقه تعالى تعذيب الكفار فإنه نقل إلينا بالتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا مصير إلى إنكاره فالشبه تستند إليها سخفة العقول تنهدم بقاعدة الحسن والقبح فلا حسن إلا ما حسنه الشرع ولا قبح إلا ما قبحه فلا حكم قبل الشرع ولا بعده إلا به فنور العقول هو الشرع لا غير فلا يحكم المجتهد إلا بالنص أو بالقواعد الشرعية فكل ما اقتضته الحكمة والمشيئة الإلهية فهو الحسن ومن ظن أنه قبيح إنما لخلل في عقله وقصور في فهمه فلا قبيح في النظر إلا وهو حسن في جهات يعلمها منشئها فبعض الحديد سيف قاطع وبعضه نعل الدواب فكله لحكمة فحجر تاج الملوك وآخر في حشوش الحيطان فالدنيا موسم والآخرة محل الحساب والنتائج فإن مات الإنسان زال التكليف وهو الحرج فمن عبد بها في الآخرة أثيب أو لا يعاقب إن ترك كالصبيان في الدنيا فمحل المعرفة الدنيا فقط فهي محل التكليف فإن قال السلطان افعل كذا في وقت وأخره عمدًا لغير وقته عصى فلا يصيره الفعل ممتثلا فمن وقف بعد عرفة بطل حجه فإن عاين العذاب وآيس من النجاة لا ينفعه إسلامه كأن مات متلبسا بالكفر بخلاف المؤمن فتقبل توبته مطلقًا ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ فلما بين تعالى المؤمنين الذين لهم وجه واحد لله تعالى وثنّى بالكافرين الذين لهم وجه واحد للكفر ثلّث بالمنافقين الذين لهم وجهان وهم أخبث الكفار للجهل كغيرهم وزيادة الكذب والغدر فللقلب أربعة أحوال الاعتقاد المطابق عن دليل وهو العلم والاعتقاد المطابق عن غير دليل وهو المقلد المحق والاعتقاد الغير المطابق وهو الجهل وخلوّ القلب عن ذلك كله فللسان ثلاثة أحوال: الإقرار والإنكار والسكوت كل إما اختيارًا أو اضطرارًا بأربعة وعشرين فإن اتفق اللسان والقلب اختيارًا فمومن وإن اضطرارًا فمنافق فإن قلبه مكذب وإن أنكر اضطرارًا

فمسلم ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾[242] أو اختيار فكافرًا وإن سكت اضطرارًا فمسلم كاضطرار: يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان[243]، فمن نطق مع خلو قبله اختيارًا وكان في مهلة النظر لا يلزمه الكفر وإن ترك واجبًا وإن اضطرارًا فمومن غير عاص فمن لم يوافق ظاهره باطنه فمنافق مطلقًا نطق أم لا ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[244] ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾[245] فهو قاصد التلبيس فالكافر أخف منه فإن له وجهًا واحدًا وأصل الناس اناس بدليل إنسان وأناسي لأنهم يونسون يبصرون كالجن لاجتنانهم ووزنه فعال فالمنافقون شامل للعرب وللكتابيين فاليهود وإن آمنوا بالتوراة فقد كفروا بالله ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾[246] فهو كفر ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾[247] فهو كفر بالله فلا ينفعهم كتاب ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾[248] وإن آمنوا باليوم الآخر فقد اعتقدوه على غير صفته فهو كفر به وإن قالوا على غير اعتقاد فخديعة فاليوم عند العرب ما تقدمه ليل وتأخره ليل فنهاية الليالي القيامة فما بعدها يوم واحد لا ليل بعدها فهو آخر يوم قولهم آمنا جددنا فأبطل الله قولهم ﴿وَمَا هُمْ بِمُومِنِينَ﴾ بالجملة الاسمية القاطعة دعواهم فليسوا أهلا للإيمان في كل عقيدة بالله وباليوم الآخر وبغيره ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ ذكر الله من قبائحهم أربعة أشياء المخادعة وهي الإخفاءُ في الخزانة مخدع والأخدعان عرقان في العنق خفيان خدع الضب خدعًا

---

[242] النحل 106

[243] البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

[244] المنافقون 1

[245] النساء 145

[246] التوبة 30

[247] التوبة 30

[248] المائدة 73

توارى في جحره وهي مذمومة كالنفاق والرياء فصورة صنعهم مع الله بإظهار الإيمان صورة صنع الخادعين فحيث عاملهم الله بإجراء أحكام الإسلام وإن كانوا كفارًا ظهرت منه معهم صورة الخادع كالمؤمنين علموهم فستروهم ويحتمل يخادعون رسوله والمؤمنين ﴿**مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّه**﴾[249] ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ**﴾[250] لمقام الخلافة والنيابة وإنما قصدهم الدفع عن أنفسهم وإعطاؤهم من المغانم وإطلاعهم على أسرار المسلمين وفعل بهم ذلك لأنه فعّال لما يريد. ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ**﴾[251] ﴿**وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ**﴾ بضم الياء وفتحها فوبال خداعهم عليهم فافتضحوا في الدنيا بإعلام نبيه وفي الآخرة بأشد العذاب ﴿**وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾ لا يعلمون أنه عليهم وإنما أهلكهم تمادي غفلتهم فالنفس ذات الشيء وحقيقته فلا يختص بالأجسام ﴿**تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ**﴾[252] فالشعور علم الشيء بالحس فالمشاعر الحواس فلحوق ضرر ما فعلوه بهم فالمحسوس ﴿**فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ**﴾ شك ونفاق يضعف قلوبهم وهو حقيقة فيما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال ومجاز في الأعراض النفسانية التي تحل كالجهل ويجوز أن يكون حقيقة بأن يراد الألم كمن في جوفه مرض فإن كانت تغلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم حنقًا[253] ﴿**وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ**﴾[254] كابن أبي بن سلول أرادوا أن يعصبوه فبطل له بظهوره صلى الله عليه وسلم فحقد عليه أو لما دهمهم من الخور فإنهم ظنوا أن ريح الإسلام يركد

---

[249] النساء 80

[250] الفتح 10

[251] النساء 142

[252] المائدة 116

[253] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة خنقا

[254] آل عمران 119

في قريب فلما رأوا قوة الإسلام وزيادته فشلت أركانهم ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ فكلما نزلت آية زاد كفرهم بها ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾[255] فكلما زاد عز الإسلام زاد حسدهم حتى أضنوا أجسادهم والأليم المؤلم الموجع ﴿بِمَا كَانُوا يُكَذِّبُونَ﴾. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو عامر بضم الياء وتشديد الذال المكسورة من كذب ضد صدق أو كذب بمعنى الكثرة أو كذب الوحشي إذا جرى شوطًا ثم يقف لينظر ما وراءه فالمنافق متوقف متردد مذبذب بين ذلك قال صلى الله عليه وسلم: **مثل المنافق كمثل الشاة الحائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرة وإلى هذه مرة**[256] فما مصدرية بكذبهم أو تكذيبهم وكان للثبوت بسبب أن هذا شأنهم وهجيراهم فالكذب الخبر عن الشيء على خلاف ما هو عليه فكله مذموم فكذبات إبراهيم مجاز للتعريض وهو اللفظ الذي قصد غير معناه لغرض ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾[257] فأنفاس العارف بريد الموت **فالآخرة أقرب إليك من شراك نعلك**[258]. قال في الكوكب استدلالا لنفسه ﴿هَذَا رَبِّي﴾[259] فلما تغير تبرأ منه من باب تصوير المحال ليحكم عليه بأنه محال ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾[260] يعني نفسه فأشار إلى نفسه بهذا ومعلوم أنه الكبير عليه وعلى غيرهم فإنه خليفة الله ورسوله فلشبهه في صورة الكذب خاف منه فإن الكذب الحرام يشترط فيه القصد والتفريط في الرواية فإن لم يقصد الكذب بل قصد صلاحًا جاز وليس بكذب لعدم النية: **إنما الأعمال بالنيات**[261] فإخراج الكلام عن قصد السامع لمصلحة مباح

---

[255] التوبة 125

[256] مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

[257] الصافات 89

[258] البيهقي وبن حبان باختلاف يسير عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

[259] الأنعام 76

[260] الأنبياء 63

[261] البخاري في صحيحه

أو مندوب أو واجب قال صلى الله عليه وسلم: **كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا ثلاثا الرجل يكذب في الحرب** [قلت] ومعناه يخادع لأنه مبني عليه **والرجل يكذب على زوجته فيرضيها والرجل يكذب بين الرجلين فيصلح بينهما**،[262] وفي الحديث في الأوسط: **الكذب كله إثم إلا ما نفع به مسلم أو دفع به عن دينه**[263] ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ**﴾ فالقائل الله أو المؤمنون لا تفعلوا ما يصير أمره إلى الفساد فالكفر سبب للحروب فالفساد خروج الشيء عن الاعتدال والظلام ضده كإثارة الحروب والفتن بمخادعة المسلمين كإعانة الكافرين على المسلمين ﴿**إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ**﴾ قصروا ما هم عليه على الصلاح لزعمهم صحة دينهم معناه فلا يقال لمثلنا مفسدون بل مصلحون لمرض فيهم ﴿**أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا**﴾[264] فرد عليهم الله أبلغ رد ﴿**أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ لا يعلمون أنهم يفسدون لفساد ما هم عليه فهمزة الاستفهام تفيد الثبوت لما بعدها وتحقيقها وآكد بأن ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا**﴾ نهوا عن الفساد ثم أمروا بالإيمان فالتخلية مقدمة على التحلية في حق الخلق وأما في حق الكامل من كل وجه فالعكس لعدم ما يتخلى عنه فلا يمكن الإيمان إلا بتجريد القلب من الفساد ﴿**كَمَا آمَنَ النَّاسُ**﴾ الكاملون في الإنسانية لمطابقة ظاهرهم باطنهم الرسول ومن معه كعبد الله بن سلام ﴿**قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ**﴾ الجهال وضعاف الرأي فإن أكثر المؤمنين الضعفاءُ والموالي كصهيب وبلال فاللام للجنس لاعتقادهم فساد ما تدينوه وللتجلد عليهم وفيه تسلية العالم إذا جهل عليه جاهل وإنما يقولون ذلك فيما بينهم ففضحهم الله فلم يعين وإلا خرجوا على النفاق إلى محض الكفر فعبر في الإيمان بـ﴿**يَعْلَمُونَ**﴾ لدقة نظر أمر الإيمان لأنه

[262] الطبراني عن النواس بن سمعان الأنصاري

[263] السيوطي في الجامع الصغير عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[264] فاطر 8

أخروي فالفساد محسوس يناسبه الشعور بمعنى حس ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا﴾ أي صدقوا كإيمانكم ﴿وَإِذَا خَلَوْا﴾ منهم ورجعوا ﴿إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ متمرديهم على الكفر والنفاق والفساد المشبهين بالشياطين ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ في الدين والاعتقاد خاطبوا المؤمنين بالفعلية والمشركين بالإسمية المؤكدة بإن تحقيقًا لشأنهم ففي الأولى دعوى التحديد فقط فالرؤساء هم الشياطين لقدرتهم على الإفساد فقالوا لهم ما بالكم ترافقون المسلمين قالوا ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ فالمستهزىء بالشيء منكر ودافع ومستخف وأصله الخفة ومن الهزء وهو القتال السريع ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ يجازيهم عليه كما سمى جزاءُ السيئة سيئة مقابلة للفظ ومماثلا له في القدر إما في الدنيا بإجراء أحكام الإسلام عليهم والاستدراج والإمهال والزيادة في النعمة والطغيان وإما في الآخرة فيفتح لهم الله بابًا إلى الجنة فيسرعون نحوه فيسدّ عنهم ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِيَضْحَكُونَ﴾[265] فتولى مجازاتهم دون المؤمنين فعبر بصيغة الفعل في مقابلة الاسم إشارة إلى أنه يجدد عليهم في كل نفسهم عقوبات استهزائهم بالمؤمنين ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾[266] ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾[267] ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ في ضلالهم يترددون متحيرين فالطغيان بالضم والكسر تجاوز الحد في العصيان فالعمه في البصيرة كالعمى في البصر رجل عامه وعمه وأرض عمهاءٌ لا منار لها فالعمى على البصيرة والبصر ويمدهم إسناد الفعل إلى خالقه حقيقة فالشيطان إنما يوسوس لا أنه يمد فهو سبب والسبب مسند إلى الله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ اختاروها فإن الله خيّر

[265] المطففين 34

[266] التوبة 126

[267] التوبة 64

عبده بين مصلحته ومضرته وبين الشرع ما هو مصلحة ومضرة ولم يترك شيئًا جل أو قل إلا وبينه فوسوس الشيطان له بما فيه مضرته فإن تبعه مع علمه بأنه عدوه يجره إلى مضرته فلا ينبغي أنه يعد من العقلاء ولا من البهائم فإن البهائم تحترز عن مضرتها فالشراءُ هنا الرغبة عن الشيء طمعًا في غيره الضلالة الكفر والهدى ما فطروا عليه من النشأة الأولى وهو الإسلام فاستحبوا الضلالة عن الهدى يفقهون لغير العمل ويتنازعون الدنيا بعمل الآخرة ففي المثل ضل دريص نفقه لم يهتد له والدرص ولد الفأرة فلما أطلق الشراء مجازًا أتبعه ما يشاكله من الربح والتجارة استعارة مرشحة فمطلب التاجر رأس المال والربح فهم ضيعوهما ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ ما ربحوا فيها ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ لطرق التجارة لسلامة المال والربح فإنهم أرادوا عشرة الكافرين ببواطنهم والمسلمين بظواهرهم فالهدى رأس المال فالضلالة عدم كمريد لم يخرج عن العادة وقصد الجمع بين الدنيا والدين أعني على يد غير عارف وإلا اجتمعت له بلا حيف ﴿مَثَلُهُمْ﴾ شبههم ﴿كَمَثَلِ﴾ الذين أطلق المفرد وإرادة الجمع ﴿وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾[268] ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[269] ﴿نارًا﴾ في ظلمة ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ أنارت أضاء وأضاءه غيره ﴿مَا حَوْلَهُ﴾ أي المستوقد فأبصر ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أطفأه ذهب السلطان بماله أخذه فما أخذه فلا مرسل له ولم يقل بضوئهم فالضوءُ لا يستلزم ذهاب النور ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ما حولهم متحيرين عن الطريق خائفين فنكر ظلمات وجمع ليشمل جميع أنواع العقاب قال صلى الله عليه وسلم: **مثل الدنيا مثل ظلك إن طلبته تباعد وإن تركته تتابع**[270]، فالمثل المثيل والنظير فالمنافقون فطروا على الإسلام ونطقوا بالشهادة فحصنوا

[268] التوبة 69

[269] الزمر 33

[270] ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء عن حاتم الأصم

أموالهم وأولادهم ونفوسهم وأعراضهم في الدنيا فلم يتوصلوا به إلى خير الآخرة ورضى الله تعالى. فمنفعة الدنيا مقصورة عن زمن إيقاد النار فاستضاء بها لمحة وهي لمحة الدنيا فانطفأت في الآخرة فتحيروا فيها وبها بعد أن انتفعوا بها في لمحة الدنيا فهم في أزمنة الآخرة لا ينتفعون بالإسلام فإنه ليس على حقيقة فأغرقوا في ظلمات الكفر والنكال فلا يبصرون في المستقبل أبدًا ووقود النار سطوعها فالنار جوهر لطيف يضيءُ حار محرق والنور ضوءُها وضوءُ كل نير من نار ينور إذا نفر واضطرب فالنار مضطربة والإضاءة فرط الإنارة ﴿**جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا**﴾[271] فللباطل صولة ثم يضمحل فالظلمة عدم النور عما من شأنه أن يستنير ما ظلمك أن تفعل كذا ما منعك لأنها تستر الرؤية ﴿**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ**﴾ هم صم عن سماع القبول للحق فالصمم صلابة من اجتماع الأجزاء ومنه حجر أصم وقناة صماءُ وصمم القارورة سببه اجتماع باطن الصماخ بلا تجويف فيه يشتمل على هواءٍ يسمع الصوت بتموجه هم بكم خرس عن الخير فلا يقولونه فالخرس عدم القدرة على النطق هم عمي عن طريق الهدى فلا يهتدونه فالعمى عدم البصر عما من شأنه البصر ﴿**فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ**﴾ لا يعودون إلى الهدى الذي ضيعوه بالبيع ولا عن الضلالة التي اشتروها بالهدى لفقد هذه الإدراكات في قلوبهم ﴿**أَوْ**﴾ مثلهم ﴿**كَصَيِّبٍ**﴾ أصله صيوب كأصحاب صيب من صاب يصوب وهو المطر ونزوله فالسماء كل ما علا سحابًا وغيره وهي من أسماء الأجناس فيه في الصيب ظلمة تتابعها وظلمة غمامه وليله فالرعد صوت يسمع من السحاب سببه اضطراب أجرام السحاب واصطكاكها إذا ساقها الريح من الارتعاد الناشيء من صوت الملك المسمى بالرعد وهو مالك موكل بالسحاب بيده مخراق من نار يزجر به السحاب يسوقه إلى حيث شاءَ الله وصوته ما يسمع في بعض الأحاديث

---

[271] يونس 5

أنه **ملك ينعق بالغيث كما ينعق الراعي بغنمه**[272] وفي بعضها أنه **ملك يسوق السحاب بالتسبيح كما يسوق الحادي الإبل بحدائه** وفي بعضها أنه **ملك مسمى به وهو الذي تسمعون صوته** قال تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾[273] ﴿وَبَرْقٌ﴾ وهو ما يلمع من السحاب من برق الشيءُ بريقا ﴿يَجْعَلُونَ﴾ أصحاب الصيب أنامل ﴿أَصَابِعَهُمْ﴾ من أجل ﴿الصَّوَاعِقِ﴾ جمع صيحة صاعقة يموت صاحبها أو يغشى عليه ككل عذاب مهلك وهي أيضا قطعة عذاب ينزلها الله على من يشاءُ. كان صلى الله عليه وسلم إذا سمع الرعد والصواعق يقول: **اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك**[274] ﴿حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ لأجله فالموت زوال الحياة عما من شأنه الحياة وهو مفارقة الروح الجسد فيصور على صورة كبش فمن مر عليه مات كما يجاءُ به يوم القيامة كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾[275] فهو مخلوق ومنه تعلم أنه ليس بعدم محض والعدم لم يخلق خلقًا عاديا وإنما حكم الاسم الله بعدمه فأعدمه فرجحت الإرادة بقاءه في حيز أحد طرفي الإمكان وهو العدم لكن علم بالله فالملك عزرائيل ينتزع الروح من الجسد ولو أدق شيءٍ من الحيوان كالبرغوث فيتفرق المجتمع مع بقاء الجسد ترابًا والروح ملكا فتبقى هيئة مركبة من افتراقهما يعلمها الشرع وهي إشراق الروح على الجسد للسؤال وغيره وإن كان للجامد روح الجامد وللروح روح الروح وهي السر إلى آخر مراتبه وهي عرض بصدد الحياة ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ علمًا وقدرة فلا يفوت المحاط به المحيط فلا يخلصهم الخداع والحيل من الهلاك إحاطة معنوية قهرية ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ﴾ يقرب البرق ﴿يَخْطَفُ

---

[272] من الأقوال المأثورة عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. ذكره الشوكاني في فتح القدير.

[273] الرعد 13

[274] الترمذي في سننه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

[275] الملك 2

أَبْصَارَهُمْ﴾ يختلسها بسرعة بكسر الطاء وفتحها ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ في ضوئه ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ متجبرين فهو مثل للقرآن مع صنيع الكافرين والمنافقين معه فالمطر القرآن فهو حياة القلوب والمطر حياة الأبدان والظلمات ما فيه من ذكر الكفر والشرك والرعد ما خوفوا به من الوعيد بالنار وغيرها والبرق هدى وبيان ووعد وذكر جنة والكافرون يسدون آذانهم عند سماعه لئلا يميلوا إليه لما فيه من الحجج ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَ أَبْصَارِهِمْ﴾ أسماعهم الظاهرة كما ذهب بحواس بواطنهم فحذف المفعول فلو شاء أن يذهب لذهب ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ يشاؤه ﴿قَدِيرٌ﴾ فالشيءُ أعم العام فالله أخص الخاص يطلق على الجوهر والعرض والقديم والحادث والمعدوم والمحال فخصص العموم بدليل العقل المجمع عليه أن القدرة والإرادة لا يتعلقان إلا بالممكن فلا تتعلق بواجب لذاته ولا بمحال لذاته فلو أمكن لأدى إلى إعدام نفسه أو خلق مثله أو أكبر منه فهو خلل وفساد نظام الحقائق كلها شرعية وعقلية فالعدم شيءٌ لغة لا اصطلاحًا فلا يدخل حكم أحكم الحاكمين تحت العقل وتحت الاصطلاحات والتعريفات فالممكن إبقاؤه عدما والموجود إبقاؤه على وجوده وإيجاده فلا يستغني آني من الآنات ولحظة من اللحظات عن تأثير القادر فيه فقدرة كل قادر على مقدار قوته واستطاعته ونقيضها العجز فالقدرة التمكن من إيجاد الشيء فالقادر إن شاء فعل وإلا ترك فالقدير الفعال لما يشاءُ فهو وصف الباري غالبا فالقادر يوقع الفعل على مقدار قوته أو ما تقتضيه مشيئته فالحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران فمقدور العبد مقدور الله فالله شيءٌ ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾[276]، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[277] فتخصيص العام

[276] الأنعام 19

[277] القصص 88

جائز بدليل العقل فلفظ الكل يستعمل في المجموع وفي الأكثر مجازًا فشهر في اللغة ولم يكن كذبا فالقدرة صفة أزليّة قائمة بالحق فالقدرة الحادثة غير مؤثرة إلا بتأثير القديمة فهي مظهر وآلة القديمة فهي وما أثرت فيه مؤثر قدرة الله فمن فتح له في المقدور عرف ربه واستراح فلا دخل للعقل في الإمكان وإنما يحكم بأن القدرة لا تتعلق بواجب ومستحيل ذاتيان وتتعلق بغيرهما ويفعل الله في ملكه ما يشاءُ فغاية أدلة العقل التلازم وهو عادي وليس عقليا فإن المقدمات إنما تفيد النتيجة عادة لا عقلاً فالعادة قد تتخلق والتحيز للجرم وهمي متخيل فإن غاية التحيز في الأجرام العرش وداخله فما خرج عن العرش من العوالم الربانية غير متحيز فلا يتثبط عارف في جمود عقله فإنه تعالى قادر على أن يوجد سببًا بلا مسببه ومسببًا بلا سبب فالسبب وحده مفتقر إلى الله كالمسبب فعالم الأسباب إنما هو في عالم الخلق فلا سبب في عوالم الأمر ﴿**أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ**﴾[278] فاجتماع الحي الآن مع الأنبياء والصالحين شيءٌ مقدور واقع جائز فلا خلاف فيه فاجتماع الجبروت والملكوت والملك والناسوت في حقيقة واحدة جائز مقدور واقع في الإنسان فالله لا يعجزه شيءٌ فهو الغالب على أمره. فلما بين أنواع المكلفين وما يصير إليه أمرهم شرع والتفت إليهم وخاطبهم فإنهم حقائق بين يديه حاضرين ﴿**لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ**﴾[279] ﴿**يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى**﴾[280] ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ**﴾ تحريكًا للسامع وتنشيطا واهتمامًا بأمر العبادة وتفخيما لشأنها وجبرًا لمشقة العبادة بلذة المخاطبة فيشمل الناس من وجد ومن يوجد فإن الخطاب سار أبدًا فلا يقيده زمان ولا شخص فالشمس مثلا خلقت للاستضاءة مع قطع النظر عن المستضيئين فالماءُ خلق للإرواء أبدًا فخاصيته بالله فيه أبدًا

---

[278] الأعراف 54

[279] سبأ 3

[280] طه 7

فخطابه قديم فاليوم واحد فلا تقدم ولا تأخر فالنوم مثلا إنما هو تحت مقعر القمر والطول والقرب إنما هو في أفلاك السماوات فكل من خلق للخلود لا طول عنده ولا زمن إلا الأبد فخطابه إلى قيام الساعة لتنزل الموجود منزلة المعدوم

قولهم كل شيءٍ نزل فيه ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ فمكي ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا﴾ فمدني فأكثري فقط فسورة البقرة والنساء والحجرات مدنيات وفيهن ﴿يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ فيا حرف وضع لنداء البعيد حقيقة أو كالبعيد كالغافل والنائم والبعيد مرتبة فأي وصلة لنداء ما فيه الألف واللام والهاء عوض وتنبيه عما تستحقه أي من الإضافة فالألف واللام للعموم لأن الخطاب متوجه لكل إنس وجن ﴿اعْبُدُوا﴾ صححوا نسبة العبادة إلى ربكم بأن تعرفوا نفوسكم بالإمكان فما سوى الله مفتقر إلى الله لإمكانه فوصف الإمكان لا يزول أبدًا جرمًا وجوهرًا وعرضًا فالكل حادث بإحداث الله فتعرفوا ربكم بالوجوب الذاتي ونفوسكم المملوكية وربكم بالمالكية ونفوسكم بالمقهورية والمقدورية وربكم بالقاهرية والقادرية ونفوسكم بالمأمورية والذلة وربكم بالأمرية والعزة فلا تروا لنفوسكم تصرفًا ولا قدرة بوجه من الوجوه فكونوا عبيدًا ذليلين ماثلين بين يدي ربكم طائعين له بكل ما يأمره وينهاه فإن اعترفتم بالعبودية اضطررتم إلى طلب السيد الحق فإذا وصلتموه توطنتم لطاعته وانقياده فلا تروا بعده مخالفته أصلاً ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[281] وإلا لم تصح نسبة العبودية. اشترى بعضٌ بعض العبيد فقال له ما اسمك قال له الذي سميتني به أي شيء تأكل قال الذي تطعمينه ما تشرب قال ما تسقيني قال أتريد أن أشتريك قال العبد لا تكون له إرادة. فالأمر بالعبادة شامل لمؤمن وكافر فالعبادة واجبة عليه كوجوب الصلاة على غير متوضىء فلا تصح منه إلا بالإسلام كالصلاة إلا بالوضوء

[281] البقرة 131

فالصبي المميز طلب بالعبادة وإنما سقط عنه الحرج فيثاب عليها فله يعتبر إسلامه وإن مات دفن مع المسلمين وردته وإن مات دفن مع شياطينه الكافرين فلا تجري عليه أحكام العقوبات إلا بعد البلوغ وتمام العقل فولد الكتابي إن أسره مسلم لا يجبره على الإسلام وإن جبره وأسلم فلا عبرة بإسلامه فإنه لا يجبر المعدوم شرعًا كالمعدوم حسًا وإن أسر صبيًا مشركًا جبره على الإسلام فإن أسلم دفن مع المسلمين فإنه منهم فاندرج في العبادة المبادي والنهاية والفروع والأصول فلما علم الله القصور من خلقه أرشدهم إلى عبادته ونبهم عليه بقوله ﴿رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ فطريق معرفة الله إما الإمكان أو الحدوث أو مجموعهما فكل منهما في الجواهر والأعراض فدليل إمكان الذوات ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾[282] ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾[283] ودليل إمكان الصفات ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾[284]، ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ ودليل حدوث الأجسام ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾[285] فدليل حدوث الأعراض دلائل الأنفس ودلائل الآفات فكل يعلم بالضرورة أنه كان معدوما فالموجود بعد العدم له موجد وليس هو نفسه ولا أبواه ولا سائر الخلق لعجز الكل ولا طبائع الفصول والأفلاك فالعبودية إظهار التذلل والعبادة أبلغ منها لمن يعتقد فيه صفة الألوهية فلا يستحقها إلا من له غاية الإفضال وهو الله تعالى ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[286] وهي ضربان عبادة التسخير لكل ذرة الموجودات والمعدومات وعبادة بالاختيار لذوي النطق وهي

---

[282] محمد 38

[283] النجم 42

[284] السجدة 4

[285] الأنعام 76

[286] يوسف 40

﴿**اعْبُدُوا رَبَّكُمُ**﴾[287] ﴿**وَاعْبُدُوا اللَّهَ**﴾[288] ويطلق لغة العبد على أربعة عبد بحكم الشرع من يشتري به العبد بالعبد ﴿**عَبْدًا مَمْلُوكًا**﴾[289] الثاني عبد بالإيجاد لله فقط ﴿**إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا**﴾[290] والثالث عبد بالخدمة فالثاني فيه ضربان عبد عبد الله مخلصًا ﴿**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ**﴾[291] ﴿**إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا**﴾[292] ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾[293] ﴿**إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾[294] وعبد الدنيا وأغراضها: **تعس عبد الدنيا والدرهم**[295]، لمن شغلته عن الله ليس كل أحد عبد الله فالعبد أبلغ من العابد ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾[296] ومن انتسب لغيره من الدين تسمى بعبد الشمس وعبد اللآت طريق معبد مذلل بالوطء، وبعير معبد مذلل بالقطران عبّدت فلانا ذلّلته إذا اتخذته عبدًا ﴿**أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾[297] فالموجب للعبودية الربوبية فله قال ﴿**رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ**﴾ أنشأكم ولم تكونوا شيئًا صفة تعظيم والتعليل خلق النعل سواها وقدرها بالقياس ﴿**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ**﴾[298] فإن المشركين يقدرون من

---

[287] البقرة 21

[288] النساء 36

[289] النحل 75

[290] النحل 93

[291] ص 41

[292] الإسراء 3

[293] الحجر 42 والإسراء 65

[294] ص 83 والحجر 40

[295] البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه مع اختلاف يسير

[296] فصلت 46

[297] الشعراء 22

[298] الزمر 38

عند جهلهم آلهة متعددة بقوة لفظ الإله فقدروا إلهًا كبيرًا وهو الله الخالق الغالب على أمره فأبطل لهم زعمهم وحصر لهم العبادة في الخالق الغالب على أمره فهو الحق وغيره باطل ﴿وَ﴾ خلق ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ وهو كل موجود قبل الكل فقد تقرر عندهم أن الله هو الخالق للجميع ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ راجين أن تدخلوا في سلك المتقين الفائزين بالهدى المستحقين جوار الله فهي منتهى درجات السالكين وهو التبري من كل شيء سوى الله فنبه بالرجاء على ألا يغتر أحد بعبادته بل يخاف ويرجو[299] ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[300] ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾[301] فلعل هنا للتحقيق فبين أن طريق السعادة العلم بالله وباستحقاقه للعبادة فالنظر بصنعه والاستدلال بأفعاله فلا يستحق العبد على ربه ثوابًا فالعبادة أوجبت عليه شكرًا والشكر يستلزم نعمه فهو كأجير أخذ أجرته قبل تمام العمل فالعبادة بما أمرنا به واجتناب ما نهانا عنه. فأحببت هنا أن أجلب في كل باب مأمورًا ومنهيا لتكون على بصيرة في العلم والعمل والأدب والإخلاص فإن سوق المقربين على أبلغ الإحسان وهو أنهم حرموا على أنفسهم أن يضيع لهم نفس واحد من أنفاس تكليفهم أربعة وعشرون ألف نفس في كل يوم وسبعون ألف خاطر في القلب في كل يوم فلا يخطرون غير طاعة ربهم ولا يتمنون على ربهم شيئًا بحيث يسندون كل نفس وخاطر إلى دليل شرعي كالأكل إلى ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾[302] ﴿فَانْكِحُوا مَا طَابَ﴾[303] ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾[304] في معرض الامتنان

---

[299] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة يرجوا

[300] السجدة 16

[301] الإسراء 57

[302] البقرة 187 والأعراف 31

[303] النساء 3

[304] الفرقان 47

وهو حكم و﴿**سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ**﴾[305] ﴿**وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً**﴾[306] ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ**﴾[307] إلى آخر الأدلة الشرعية فالمباح بنية الواجب أو المندوب وهو حكم شرعي فتتبع شمائله صلى الله عليه وسلم كان صلى الله عليه وسلم يفعل كذا إلى آخر كيفيات عبادته لربه فلا عادة له كغيره من ورثته فإن الموسم ليس للعادات وإنما هو للجد والاجتهاد في طلب معرفة ربنا وحمده بأسمائه وشكر نعمه وآلائه فلا يحل لك في سوق العارفين أن تغفل عن الدليل وامتثاله نفسًا واحدًا

فخواطر العارفين ربانية كلها فمن دونهم على أربعة: شيطانية علامتها الخفة والالتهاب كالنار أصلها، وبشرية فعلامتها الثقل كالتراب أصلهم، وملكية وعلامتها السوق إلى الطاعات، وربانية فعلامتها العكوف على الطاعات إخلاصًا وامتثالاً واستحقاقا لأن يعبد ومحبة فيه وطلبًا لأن يحبه تعالى وقهرًا إن وصل معاينة الشؤون من يده تعالى فلا يريد ولا يتمنى ولا يختار ولا يرى نفسه فوق ذرة لمشاهدة نفسه هالكا إن لم يرحمه ربه لمعاينة فعل الله وصولة قهره ولو نبيًا فلا يأمن على نفسه فإنه قهّار فعّال لما يريد: **تريد وأريد ولا يكون إلا ما أريد**[308]، فيكون في قلبه ابن الأزل وفي تكليفه ابن الشرع فما أحبه الله إظهارًا أحبه وما أظهر بغضه أبغضه فلا يحاقق مع ربه فإنه الملك الحق يتصرف في ملكه كيف شاءَ فالمقصود أن تسند كل حركة إلى الدليل فتتحرك للدليل لا لنفسك فإنه خلقك له لا لك فأعط لكل ذي حق حقه فلا تضيع

---

[305] النحل 81

[306] النحل 8

[307] الجمعة 10

[308] ذكره أبو حامد الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين ولم ينسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن قال: "ويروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام"

حقًا لتلبسك بحق وهو في طوقك بالنية لا بالعمل: **نية المؤمن خير من عمله**[309] يدرك المؤمن بنيته ما لا يدركه بعمله، فأول ما يجب تعلمه أن يحسن الإنسان أخلاقه.

فكل ما ذكرته بعد فهو حديث وإلا بينته قال صلى الله عليه وسلم: إن حسن الخلق نصف الدين[310] إن الخلق وعاءُ الدين[311]؛ إن الله حف الإسلام بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[312] الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله الا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق[313]؛ أشرف الإيمان أن يأمنك الناس وأشرف الإسلام أن يسلم الناس من لسانك ويدك[314]؛ المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب[315]؛ أفضل الإيمان أن تحب للناس ما تحبه لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك وأن تقول خيرًا أو تصمت[316]؛ من سرته حسناته وساءته سيئاته فذالكم المؤمن[317]؛ لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه[318]؛ **ليس بمؤمن من لا**

---

[309] الديلمي في مسند الفردوس عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه وأبو نعيم في حلية الأولياء عن سهل الساعدي رضي الله عنه

[310] الديلمي في مسند الفردوس عن أنس بن مالك رضي الله عنه

[311] الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه

[312] القلم 4

[313] مسلم وأبو داوود عن أبي هريرة رضي الله عنه

[314] الطبراني في الصغير عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

[315] بن ماجه عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه

[316] البيهقي في الشعب عن معاذ بن جبل رضي الله عنه

[317] النسائي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

[318] البخاري ومسلم والترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه

يأمن جاره غوائله[319]؛ أحسنكم إيمانا أحسنكم أخلاقا إن من كمال الإيمان حسن الخلق؛ علوّ الهمة من الإيمان؛ الدين المعاملة؛ لا عبادة كالتفكر[320]؛ من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدًا[321]، كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش[322]؛ تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة[323]؛ إصلاح ذات البين خير من عامة الصلاة والصيام[324]؛ نظر الرجل إلى والديه حبًا لهما عبادة؛ من مشى في حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاها أو لم يقضها خير له من اعتكاف شهرين[325]؛ إن صبر أحدكم ساعتين في مواطن الإسلام خير له من أن يعبد الله أربعين يومًا؛ العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في طلب الحلال[326]؛ عالم ينتفع بعلمه خير من ألف عابد[327]؛ قال تعالى ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آَتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآَخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾[328] ﴿**رَبَّنَا آَتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآَخِرَةِ حَسَنَةً**﴾[329] إن أهل المعروف في

---

[319] البيهقي في الشعب عن أنس بن مالك رضي الله عنه بصيغة بوائقه والسيوطي في الجامع الصغير بصيغة غوائله

[320] البيهقي في الشعب عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

[321] الطبراني عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما مع اختلاف في اللفظ لم يزدد بصلاته

[322] النسائي وبن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه

[323] بن حبان في كتاب العظمة عن أبي هريرة رضي الله عنه والديلمي في مسند الفردوس عن أنس بن مالك رضي الله عنه مع اختلاف في اللفظ

[324] أبو داوود والترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه مع اختلاف في اللفظ

[325] الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرك على الصحيحين عن بن عباس رضي الله عنهما مع اختلاف في اللفظ

[326] الديلمي في مسند الفردوس عن أبي هريرة رضي الله عنه

[327] الديلمي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه كما في الجامع الصغير للسيوطي.

[328] القصص 77

[329] البقرة 201

الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة وإن أول أهل الجنة دخولاً الجنة أهل المعروف[330]؛ احرث لدنياك كأنك تعيش أبدًا واحرث لآخرتك كأنك تموت غدًا؛ احرث المال تعش أبدًا؛ اعمل عمل امرئٍ يظن أن لن يموت أبدًا واحذر حذر امرئٍ يخشى أن يموت غدًا[331]؛ إنما الأعمال بالنيات[332]؛ ائت المعروف واجتنب المنكر وانظر ما يعجب أذنك أن يقول القوم إذا قمت من عندهم فأْته وانظر الذي تكره أن يقول لك القوم إذا قمت من عندهم فاجتنبه[333]؛ إذا أردت أن تذكر عيوب الناس فاذكر عيوب نفسك[334]؛ أحب للناس ما تحب لنفسك[335] ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله بنفسك إذا خلوت[336] ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾[337] استفت قلبك وإن أفتاك المفتون[338]؛ الدال على الخير كفاعله والدال على الشر كفاعله[339]؛ على كل مسلم صدقة فإن لم يجد فيعمل بيده فينفع الناس فيتصدق فإن لم يستطع فيعين ذا الحاجة الملهوف فإن لم يفعل فيأمر بالخير فإن لم يفعل فيمسك عن الشر فإنه له صدقة[340]؛ كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته والرجل راع في أهله وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة

---

[330] الطبراني في الأوسط عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها مع اختلاف في اللفظ

[331] البيهقي واللفظ له وبن المبارك في الزعد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

[332] صحيح البخاري

[333] البخاري في الأدب المفرد عن حرملة بن عبد الله رضي الله عنه.

[334] البخاري في الأدب المفرد عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

[335] الترمذي في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه

[336] ابن حبان عن أسامة بن شريك رضي الله عنه

[337] البقرة 44

[338] أحمد والدارمي باختلاف يسير عن وابصة بن معبد الدارمي رضي الله عنه

[339] الطبراني في الأوسط عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه

[340] البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه

عن رعيتها والخادم راع في مال سيده وهو مسؤول عن رعيته والولد راع في مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته[341]؛ الفضل أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عن من ظلمك[342] ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾[343] نفسك مطيتك فارفق بها؛ إن لجسدك عليك حقًّا[344]؛ المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف[345]؛ النظافة من الإيمان أخرجوا منديل الغمر من بيوتكم فإنه مبيت الخبيث ومجلسه[346]؛ إذا وقع الطاعون بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها فرارًا منه وإذا وقع بأرض ولستم بها فلا تهبطوا عليها[347]؛ الدواءُ من القدر وقد ينفع بإذن الله[348]؛ إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داءٍ دواءً[349]؛ اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر[350]؛ سافروا تصحوا[351]؛ أحسنوا لباسكم وأصلحوا رحالكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس[352] ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[353] بني الإسلام على النظافة[354]؛ النظافة من الإيمان[355]،

[341] البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

[342] السيوطي في الجامع الصغير عن عطاء بن أبي رباح رضي الله عنه

[343] الرعد 22 والقصص 54

[344] البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما

[345] مسلم وبن ماجه والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه

[346] الديلمي في مسند الفردوس عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

[347] البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أسامة بن زيد رضي الله عنه مع اختلاف في اللفظ

[348] الطبراني في الكبير عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

[349] أبو داوود في سننه عن أبي الدرداء رضي الله عنه

[350] البيهقي في الشعب والحاكم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

[351] البيهقي والديلمي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

[352] الطبراني والحاكم عن سهل ابن الحنظلية الأنصاري رضي الله عنه

[353] المدثر 4

[354] محمد بن عبيد الله الطرسوسي في ((جزئه)) كما في ((الجامع الصغير)) للسيوطي.

[355] الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مع اختلاف في اللفظ

الطهور شطر الإيمان[356]؛ طهروا هذه الأجساد طهركم الله[357]؛ مضمضوا من اللبن فإن له دسمًا[358]؛ السواك مطهرة للفم مرضاة للرب[359]؛ تخللوا فإنه نظافة والنظافة تدعو إلى الإيمان والإيمان مع صاحبه في الجنة[360]؛ إن اتخذت شعرًا فأكرمه[361]؛ إن الله يبغض الوسخ الشعث[362]؛ ما تم دين إنسان قط حتى يتم عقله[363] ومن لا عقل له لا دين له[364] ﴿**هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[365] ﴿**عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾[366] ﴿**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾[367] العلم حياة الإسلام وعماد الدين[368]؛ كونوا للعلم وعاة ولا تكونوا له رواة[369]؛ من عمل بما علم أورثه ما لم يعلم[370] ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا**

[356] مسلم والنسائي والترمذي عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه

[357] الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

[358] بن ماجه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

[359] بن حبان في صحيحه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها

[360] الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

[361] عبد الرزاق في مصنفه عن سعيد بن عبد الرحمن الجحشي

[362] البيهقي في الشعب عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها مع اختلاف في اللفظ

[363] البيهقي في الشعب عن أنس بن مالك رضي الله عنه

[364] أخرجه أبو الشيخ في ((الثواب)) وابن النجار كما في ((الجامع الصغير)) للسيوطي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

[365] الزمر 9

[366] العلق 5

[367] طه 114

[368] أخرجه أبو الشيخ كما في ((الجامع الصغير)) للسيوطي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما مع اختلاف في اللفظ

[369] السيوطي في الجامع الصغير عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

[370] أبو نعيم من طريق أحمد بن حنبل عن أنس بن مالك رضي الله عنه

بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[371] ويل لأمتي من علماء السوء[372]؛ أكرموا العلماء فإنهم ورثة الأنبياء[373]؛ إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة[374]؛ أقرب الناس من درجة النبوءة أهل العلم والجهاد[375]؛ لكل شيءٍ طريق وطريق الجنة العلم[376]؛ الناس رجلان عالم ومتعلم ولا خير فيما سواهما[377]؛ من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ومن أرادهما معا فعليه بالعلم، اطلب العلم ولو بالصين[378]، إذا جاء الموت لطالب العلم وهو على هذه الحالة مات وهو شهيد[379]، حسن السؤال نصف العلم[380]، تناصحوا في العلم ولا يكتم بعضكم بعضًا فإن خيانة في العلم أشد من خيانة في المال[381] تواضعوا لمن تتعلمون منه العلم وتواضعوا لمن تعلمونه العلم ولا تكونوا جبابرة العلماء[382]، الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى تجلسه

[371] الرعد 11

[372] أخرجه الحاكم في ((تاريخ نيسابور)) كما في ((الجامع الصغير)) للسيوطي مختصراً، والديلمي في ((الفردوس)) عن أنس بن مالك رضي الله عنه

[373] والخطيب في ((تاريخ بغداد)) وابن الجوزي في ((العلل المتناهية)) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

[374] أخرجه أحمد واللفظ له، والديلمي في ((الفردوس)) عن أنس بن مالك رضي الله عنه

[375] أخرجه أبو نعيم في ((فضل العالم العفيف)) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

[376] الديلمي في مسند الفردوس عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

[377] الطبراني في المعجم الكبير عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

[378] البيهقي في المدخل وفي الشعب عن أنس بن مالك رضي الله عنه بلفظ اطلبوا

[379] البزار عن أبي ذر وأبي هريرة رضي الله عنهما كما في الجامع الصغير للسيوطي

[380] الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

[381] الطبراني وابن أبي الدنيا وأبو نعيم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

[382] الخطيب البغدادي عن أبي هريرة رضي الله عنه كما في الجامع الصغير للسيوطي

مجلس الملوك[383]، الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها[384]، خذ الحكمة لا يضرك من أي وعاءٍ خرجت[385]، اطلب العلم من المهد إلى اللحد. كلام النبوءة: العقل نور في القلب يفرق به بين الحق والباطل، ما اكتسب المرءُ مثل عقل يهدي صاحبه إلى الهدى أو يرده عن رديء[386] لكل شيءٍ دعامة ودعامة عمل المرءِ عقله فبقدر عقله تكون عبادته لربه[387] ﴿**لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾[388] إن الأحمق العابد يصيب بجهله أعظم من فجور الفاجر وإنما يرتفع الناس في درجات الزلفى من ربهم على قدر عقولهم[389]، أفلح من رزق لبًا[390]، ليس الأعمى من يعمى بصره وإنما الأعمى من تعمى بصيرته[391]، كاد الحليم أن يكون نبيًا[392]، الحليم سيد في الدنيا سيد في الآخرة[393]، الحليم العاقل الوقور ﴿**وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾[394] ﴿**وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ**﴾[395] ﴿**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾[396] ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ**

---

[383] بن حبان وأبو نعيم عن أنس بن مالك رضي الله عنه

[384] الترمذي وبن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه مع اختلاف في اللفظ فحيثُ وجدها فهو أَحَقُّ بها

[385] الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عمر رضي الله عنهما

[386] الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

[387] الديلمي في مسند الفردوس عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

[388] الملك 10

[389] الترمذي في النوادر مختصرا عن أنس بن مالك رضي الله عنه

[390] البخاري في التاريخ والبيهقي في الشعب عن قرة بن هبيرة رضي الله عنه

[391] البيهقي في الشعب عن عبد الله بن جراد رضي الله عنه

[392] الحطيب البغدادي عن أنس رضي الله عنه كما في الجامع الصغير للسيوطي

[393] الديلمي والخطيب البغدادي عن أنس رضي الله عنهكما في الجامع الصغير للسيوطي

[394] لقمان 17

[395] النساء 25

[396] الأنفال 46

أَيِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾[397] **﴿كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾**[398] الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد[399]، الصبر ستر من الكروب وعون على الخطوب، إن الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية[400]، آفة الشجاعة البغي[401]، الصبر عند الصدمة الأولى[402]، لا تغضب لا تغضب ولك الجنة[403]، ألا أدلكم على أشدّكم[404] أملككم[405] لنفسه عند الغضب[406]، وجبت محبة الله لمن غضب فحلم[407]، من يغفر يغفر الله له ومن يعف يعف الله عنه ومن يكظم الغيظ يأجره الله[408] من يكظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنًا وإيمانا[409]. إذا غضب أحدكم فليسكت[410]. ألا إن الغضب جمرة توقد في جوف ابن آدم فإذا وجد أحدكم شيئًا من ذلك فالأرض الأرض[411] يطبع المؤمن على كل خلق إلا الخيانة والكذب[412]. لا تجتمع خصلتان في

---

[397] السجدة 24

[398] الصف 4

[399] الديلمي في مسند الفردوس عن أنس بن مالك رضي الله عنه

[400] ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج

[401] الطبراني والبيهقي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

[402] البخاري ومسلم عن أنس رضي الله عنه

[403] الطبراني وابن أبي الدنيا عن أبي الدرداء رضي الله عنه

[404] وردت في الطبعة الأولى بصيغة أشركّم

[405] وردت في الطبعة الأولى بصيغة أهلككم

[406] الطبراني في مكارم الأخلاق عن أنس رضي الله عنه كذا في الجامع الصغير للسيوطي

[407] الديلمي في مسند الفردوس عن عائشة رضي الله عنها

[408] البيهقى فى الدلائل، وابن عساكر عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه

[409] البخاري في تاريخه الكبير عن أبي هريرة رضي الله عنه

[410] البخاري في الأدب المفرد والطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما

[411] مسلم، وأبو داود مختصراً، والترمذي والنسائي مفرقا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

[412] البيهقي في الشعب عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مع اختلاف في اللفظ

مؤمن البخل والكذب[413]. آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان[414]. كبرت خيانة أن تحدث أخاك هو لك به مصدق وكنت له كاذبا[415]. عليكم بالصدق فإنه من البر وهما في الجنة وإياكم والكذب فإنه من الفجور وهما في النار[416]. أعظم الخطايا اللسان الكذوب[417]. أحب الحديث إلى الله أصدقه[418]. ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له ويل له[419]. إياكم والكذب فإن الكذب لا يصلح في الجد ولا الهزل ولا يعد الرجل صبيه ثم لا يفي له[420]. أما إنك لو لم تعطه كتبت عنك كذبة[421]. الحياءُ شعبة من الإيمان[422]. الحياءُ نظام الإيمان. الحياءُ والإيمان مقرونان فإذا سلب أحدهما تبعه الآخر[423]، قلة الحياء كفر[424]. لكل دين خلق وخلق الإسلام الحياء[425]، إذا لم تستحي فافعل ما شئت[426]. استحي من الله استحياءك

[413] الترمذي، والبخاري في ((الأدب المفرد)) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مع اختلاف في اللفظ

[414] البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه

[415] أبو داوود في السنن عن سفيان بن أسيد الحضرمي رضي الله عنه مع اختلاف في اللفظ

[416] ابن ماجه عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه

[417] ابن لال فى مكارم الأخلاق عن ابن مسعود رضي الله عنه وابن عدي عن ابن عباس رضي الله عنهما كذا في الجامع الصغير للسيوطي

[418] البخاري في صحيحه عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم رضي الله عنهما

[419] أبو داود، والترمذي، والنسائي في ((السنن الكبرى)) عن معاوية بن حيدة القشيري رضي الله عنه

[420] ابن ماجه عن ابن مسعود رضي الله عنه

[421] أبو داوود عن عبد الله بن عامر بن ربيعة رضي الله عنه مع اختلاف في اللفظ

[422] مسلم والبخاري في الأدب المفرد عن أبي هريرة رضي الله عنه

[423] الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

[424] رواه الترمذي في المنهيات عن أبي هريرة رضي الله عنه

[425] البيهقي في الشعب عن يزيد بن طلحة بن ركانة والديلمي في مسند الفردوس عن أبي هريرة رضي الله عنه

[426] البخاري في صحيحه عن أبي مسعود عقبة بن عمرو رضي الله عنه

من ذي الهيبة من قومك[427] ﴿**وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ**﴾[428] ﴿**يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ**﴾[429] ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**﴾[430] إن الأمل رحمة من الله للأمة لولا الأمل ما أرضعت أم ولدها ولا غرس غارس شجرًا[431] ﴿**ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾[432] ﴿**وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ**﴾[433] ﴿**يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا**﴾[434] إن الله كتب عليكم السعي فاسعوا[435]. إن الله يعطي العبد على قدر همته ونهمته[436]. لا تقولوا هذا فإنه إن كان يسعى على ولده صغارًا فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعي على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعى على نفسه ليعفها فهو في سبيل الله وإن كان خرج يسعى رياء مفاخرة فهو في سبيل الشيطان[437]. البطالة تقسي القلب[438]. إذا قصر العبد في العمل ابتلاه الله

---

[427] البيهقي في الشعب عن علقمة بن علاثة رضي الله عنه

[428] الحجر 56

[429] الزمر 53

[430] الكهف 46

[431] الخطيب البغدادي عن أنس رضي الله عنه كما في الجامع الصغير للسيوطي

[432] الحجر 3

[433] الحديد 14

[434] النساء 120

[435] الطبراني وأبو نعيم عن تملك الشيبية العبدرية رضي الله عنها

[436] أبو نعيم في الحلية عن الزبير بن العوام رضي الله عنه

[437] الطبراني عن كعب بن عجرة رضي الله عنه

[438] القضاعي في مسند الشهاب عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما كما في الجامع الصغير للسيوطي

بالهمّ[439]. أخشى ما خشيت على أمتي كبر البطن ومداومة النوم والكسل[440]، سافروا تصحوا وتغنموا[441]. اعملوا فكل ميسر لما خلق له[442]. اعقل وتوكل[443]. أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل[444]. أشد الناس عذابا يوم القيامة المكفي الفارغ[445]. أفضل الكسب الزراعة فإنها صنعة أبيكم آدم. احرثوا فإن الحرث مبارك[446]. ما من مسلم يزرع زرعًا أو يغرس غرسًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة[447]. ما من رجل يغرس غرسًا إلا كتب الله له من الأجر قدر ما يخرج من ثمر ذلك الغرس[448]. ما من امرىءٍ يحي أرضا فيشرب منها ذو كبد جرى أو نصيب منه عافية إلا كتب الله به أجرًا[449]. من أحيا أرضا ميتة ثقة بالله واحتسابا كانت حقا على الله أن يعينه وأن يبارك له فيه[450]. إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها[451]. اطلبوا الرزق في خبايا الأرض[452]. النخل والشجر بركة على أهله وعلى

[439] الديلمي في مسند الفردوس عن الحكم بن عتيبة مرسلا

[440] الدارقطني عن جابر بن علد الله رضي الله عنهما كما في الجامع الصغير للسيوطي

[441] ابن حبان والطبراني في الأوسط عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

[442] الطبراني عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه

[443] الترمذي وأبو نعيم في الحلية عن أنس بن مالك رضي الله عنه

[444] البخاري ومسلم عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

[445] الديلمي في مسند الفردوس عن أنس بن مالك رضي الله عنه

[446] أبو داوود في المراسيل عن علي بن الحسين بن علي مرسلاً كذا في الجامع الصغير للسيوطي

[447] البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه

[448] الطبراني عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه

[449] الطبراني عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها

[450] الطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

[451] البخاري في الأدب المفرد عن أنس بن مالك رضي الله عنه

[452] النسائي وبن حبان عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

عقبهم[453]. من الله لا من رسوله لعن قاطع السدر[454] اتخذوا الغنم فإنها بركة[455]. الحرفة أمان من الفقر إن الله يحب العبد المحترف[456]. أطيب الكسب عمل الرجل بيديه[457]. من أمسى كالاً من عمل يديه أمسى مغفورًا له[458]. أكرموا الخياطين والخطاطين فإنهما يأكلان من أعماق عيونهما. لأن يأخذ أحدكم حبلا ثم يغدو إلى الجبل فيحتطب فيبيع فيأكل ويتصدق خير له من أن يسأل الناس[459]. طلب الحلال واجب على كل مسلم[460]. إن فلانا يصوم النهار ويقوم الليل ويكثر الذكر فقال ص أيكم يكفيه طعامه وشرابه قالوا كلنا يا رسول الله فقال كلكم خير منه. إن الله يحب أن يرى عبده تعبا في طلب الحلال[461]. من بات كالا من طلب الحلال بات مغفورًا له[462]. إن من الذنوب ذنوبا لا تكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج تكفرها الهموم في طلب المعيشة[463] كلكم حارث وكلكم همام. العبادة عشرة أجزاء تسعة في طلب المعيشة وجزءٌ في سائر الأشياء[464]. الكاسب حبيب الله. طلب الحلال جهاد[465]. نعم المال

---

[453] الطبراني عن الحسن بن علي رضي الله عنه مرفوعا

[454] الطبراني في المعجم الأوسط عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

[455] بن ماجه عن فاختة بنت أبي طالب أم هانئ رضي الله عنها وقد ورد تكرار كلمة الحرفة في الطبعة الأولى بدرب غلف

[456] البيهقي في الشعب والطبراني في الأوسط عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مع اختلاف في اللفظ

[457] البخاري في التاريخ الكبير عن سعيد بن عمير رضي الله عنه مع اختلاف في اللفظ

[458] الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

[459] البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه

[460] الطبراني في الأوسط والديلمي في مسند الفردوس عن أنس بن مالك رضي الله عنه

[461] الديلمي في مسند الفردوس عن عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه

[462] بن عساكر في تاريخ دمشق عن أنس بن مالك رضي الله عنه كذا في الجامع الصغير للسيوطي

[463] الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه

[464] الديلمي في ((الفردوس)) كما في ((الجامع الصغير)) للسيوطي.

[465] الطبراني في الأوسط والديلمي في الفردوس عن أنس بن مالك رضي الله عنه

الصالح للرجل الصالح[466]. من طلب الدنيا حلالاً استعفافا عن المسألة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر[467]. إذا صليتم الفجر فلا تناموا على أرزاقكم باكروا في طلب الرزق والحوائج فإن الغدو بركة ونجاح[468]. أجملوا في الطلب فإن كلا ميسر لما كتب له[469]. أيها الناس اتقوا الله وأجملوا في الطلب فإن نفسا لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم[470]، الجالب مرزوق والمحتكر ملعون[471]. بيس العبد المحتكر إن أرخص الله الأسعار حزن وإن أغلاها فرح[472]. ليس من المروءة الربح على الإخوان[473]. من اشترى سرقة وهو يعلم أنها سرقة فقد شرك في عارها وإثمها[474]. التاجر الجبان محروم والتاجر الجسور مرزوق[475] سافروا تصحوا وترزقوا[476]. رحم الله امرءًا كسب طيبًا وأنفق قصدًا وقدم فضلا ليوم فقره وحاجته[477] ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا**﴾[478] من اقتصد أغناه الله ومن بذر أفقره الله[479]. ما

[466] البخاري في الأدب المفرد وبن حبان عن عمرو بن العاص رضي الله عنه

[467] الطبراني وابن أبي الدنيا باختلاف يسير عن أبي هريرة رضي الله عنه

[468] الطبراني في الأوسط وبن حبان عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها

[469] الحاكم وبن ماجه وأبو نعيم مع اختلاف في اللفظ عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه

[470] بن ماجه وبن حبان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

[471] بن ماجه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

[472] الطبراني والبيهقي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه

[473] الديلمي في مسند الفردوس عن معاوية بن حيدة رضي الله عنه

[474] الحاكم والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه

[475] الديلمي في مسند الفردوس عن أنس رضي الله عنه

[476] البيهقي في الشعب عن محمد بن عبد الرحمان بن ثوبان مرسلا

[477] بن النجار عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها كما في الجامع الصغير للسيوطي

[478] الفرقان 67

[479] الطبراني في الأوسط عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنه مع اختلاف في اللفظ

عال من اقتصد[480] التدبير نصف المعيشة[481]. لعن عبد الدرهم لعن عبد الدينار[482]. إذا آتاك الله مالاً فلير عليك فإن الله يحب أن يرى أثره على عبده حسنًا ولا يحب البؤس ولا التباؤس[483]. أقلل من الدين تعش حرًا[484]، الغفلة في ثلاثة أشياء غفلة الرجل عن نفسه في الدين حتى يركبه[485]، من باع دارًا أو عقارًا فلم يردد ثمنه في مثله فذلك مال قمن أن لا يبارك له فيه[486]، كل نفس من بني آدم سيد فالرجل سيد أهله والمرأة سيدة بيتها[487]، ارجعوا إلى أهلكم فعلموهم[488]، خياركم خياركم لنسائهم وبناتهم[489]، خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي[490]، إن من أحسن المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقًا وألطفهم بأهله[491]، خير الرجال من أمتي الذين لا يتطاولون على أهلهم ويحسنون إليهم ولا يظلمونهم. كان صلى الله عليه وسلم أرحم الناس بالصبيان والعيال[492]: من كان له صبي فليتصاب له[493]، أنا من حسين وحسين مني أحب الله من

[480] الطبراني في الأوسط عن أنس رضي الله عنه

[481] الديلمي في مسند الفردوس عن أنس بن مالك رضي الله عنه

[482] الترمذي في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه

[483] الطبراني وأبو نعيم في الحلية عن زهير بن أبي علقمة رضي الله عنه

[484] البيهقي في الشعب عن عمرو بن العاص رضي الله عنه

[485] الطبراني والبيهقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما

[486] بن حبان وبن ماجه عن سعيد بن حريث المخزومي رضي الله عنه

[487] الديلمي في مسند الفردوس عن أبي هريرة رضي الله عنه

[488] بن حبان عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه

[489] أبو داوود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

[490] الترمذي في سننه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها

[491] الترمذي في سننه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها

[492] البخاري في الأدب المفرد عن أنس بن مالك رضي الله عنه

[493] الديلمي في مسند الفردوس عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما

أحب حسينًا[494]. كان صلى الله عليه وسلم لا يكاد يدع أحدًا من أهله في يوم عيد إلا أخرجه[495]: مشيك إلى المسجد وانصرافك إلى أهلك في الأجر سواءٌ، ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله[496]، شر الناس المضيق على أهله[497]، أول ما يوضع في ميزان المرء إنفاقه على أهله[498]، أطعم زوجك إذا طعمت واكسها إذا اكتسيت ولا تقبح الوجه ولا تضرب[499]، الويل كل الويل لمن ترك عياله بخير وقدم على ربه بشر[500]، النكاح سنتي ومن رغب عن سنتي فليس مني[501]، امرأة ولود أحب إلى الله من امرأة حسناء لا تلد إني مكاثر بكم الأمم[502] **﴿وَمِنْ أَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾**[503] التمسوا الرزق في النكاح[504]، من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله في الشطر الآخر[505]، تزوجوا ولاتطلقوا فإن الطلاق يهتز منه العرش[506]، أبغض الحلال إلى الله الطلاق[507]، ما حلف

---

[494] بن حبان عن يعلى العامري رضي الله عنه

[495] بن عساكر في تاريخ دمشق عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما كما في الجامع الصغير للسيوطي

[496] الديلمي في مسند الفردوس عن جبير بن مطعم رضي الله عنه

[497] الطبراني في الأوسط عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه

[498] الطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

[499] أبو داوود والنسائي عن معاوية بن حيدة القشيري رضي الله عنه

[500] الديلمي في مسند الفردوس عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

[501] بن ماجه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها

[502] الطبراني وبن حبان عن معاوية بن حيدة القشيري رضي الله عنه مع اختلاف في اللفظ

[503] الروم 21

[504] الديلمي في مسند الفردوس عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

[505] الطبراني والحاكم والبيهقي عن أنس رضي الله عنه

[506] الديلمي في مسند الفردوس عن أبي هريرة مع اختلاف في اللفظ

[507] أبو داوود عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما

بطلاق مؤمن ولا استحلف به إلا منافق[508]، بيت لا صبيان فيه لا بركة فيه[509]، ريح الولد من ريح الجنة[510]؛ الولد من ريحان الجنة[511]، أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم فإن أولادكم هدية الله إليكم[512]، حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية وألا يرزقه إلا حلالاً طيبًا[513]؛ أيما امرأة قعدت على بيت أولادها فهي معي في الجنة[514]؛ إن الله يحب أن تعدلوا بين أولادكم حتى في القبل[515]؛ ساووا بين أولادكم في العطية فلو كنت مفضلا أحدًا لفضلت النساء[516]؛ لا تكرهوا البنات فإنهن المؤنسات الغاليات[517]؛ رحم الله والدًا أعان ولده على بره[518]، أعينوا أولادكم على بركم[519]، من شاء استخرج العقوق من ولد[520]، إنما سماهم الله الأبرار لأنهم بروا الآباء والأمهات والأبناء كما أن لوالديك عليك حقا كذلك لولدك [521]، لا يعد الرجل صبيه ثم لا يفي

[508] بن عساكر في تاريخ دمشق عن أنس رضي الله عنه كما في الجامع الصغير للسيوطي

[509] الديلمي في مسند الفردوس عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

[510] بن حبان والطبراني عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

[511] الحكيم الترمذي عن خولة بنت حكيم أم أمية السلمية كما في الجامع الصغير للسيوطي

[512] بن ماجه عن أنس رضي الله عنه مع اختلاف في اللفظ

[513] البيهقي في الشعب عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم

[514] ابن بشران في أماليه عن أنس رضي الله عنه كما في الجامع الصغير للسيوطي

[515] بن النجار والطبراني والبيهقي عن النعمان بن بشير مع اختلاف في اللفظ

[516] الطبراني عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

[517] أحمد وبن أبي الدنيا والطبراني عن عقبة بن عامر رضي الله عنه

[518] أَبُو الشَّيْخ ابْن حبَان فِي كتاب الثَّوَاب من حَدِيث عَلّي بن أبي طَالب وَابْن عمر رضي الله عنهم

[519] الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه

[520] الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه

[521] الطبراني عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

به[522]، عرامة[523] الصبي في صغره زيادة في عقله في كبره[524]، إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له[525]، إن الرجل لترفع درجته في الجنة فيقول أنى لي هذا فيقال له باستغفار ولدك[526]، إن من لا يرحم لا يرحم[527]؛ رضى الرب في رضى الوالدين وسخطه في سخطهما[528]؛ طاعة الله طاعة الوالد ومعصية الله معصية الولد[529]؛ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين[530]. إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه[531]؛ ما بر أباه من شد إليه الطرف من غضب[532]؛ رفقًا بالقوارير[533]؛ بر أمك ثم أباك واختك ثم أخاك ثم أدناك فأدناك[534]؛ أمك ثم أمك ثم أمك ثم أباك ثم الأقرب فالأقرب[535]. الجنة تحت أقدام الأمهات[536]. إذا دعاك أبواك فأجب أمك[537]. حق كبير

---

[522] بن ماجه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

[523] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بلفظ عرام

[524] الْحَكِيم الترمذي عَن عَمْرو بن معدي كرب وأَبُو مُوسَى الْمَدِينِيّ فِي أَمَالِيهِ عَن أنس رضي الله عنه كما في الجامع الصغير للسيوطي

[525] مسلم وبن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه

[526] بن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه

[527] البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه

[528] الترمذي وبن حبان عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما

[529] الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه

[530] البخاري عن أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه

[531] البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما

[532] الطبراني والبيهقي عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

[533] الديلمي في مسند الفردوس عن أنس رضي الله عنه مع اختلاف في اللفظ

[534] النَّسَائِيّ من حَدِيث طَارق الْمحَاربي، وَأَحْمد وَالْحَاكِم من حَدِيث أبي رمثة رضي الله عنه

[535] أبو داوود والترمذي عن معاوية بن حيدة القشيري رضي الله عنه

[536] الديلمي في مسند الفردوس عن أنس رضي الله عنه

[537] الديلمي عن جابر رضي الله عنه

الإخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده[538]. الخالة والدة[539]. برّوا آباءكم تبرّكم أبناءكم[540]. كل الذنوب يؤخر الله ما شاء منها إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فإن الله يعجله لصاحبه في الحياة الدنيا قبل الآخرة[541]. إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت[542]. إنما النساء شقائق الرجال[543]. استوصوا بالنساء خيرًا[544]. ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهانهن إلا لئيم[545]. خيركم خيركم للنساء[546]. خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساءُ إليه وأنا وكافل اليتيم في الجنة[547]. أحب بيوتكم إلى الله بيت فيه يتيم مكرم[548]. شر المآكل مال اليتيم[549]. من ضم يتيمًا له أو لغيره حتى يغنيه الله عنه وجبت له الجنة[550]. الجماعة رحمة والفرقة عذاب[551]. من فرق فليس منا[552]. يد الله على الجماعة وإنما يأكل الذيب من الغنم القاصية[553]. لا تختلفوا فإن من كان قبلكم

---

538 الديلمي في مسند الفردوس عن سعيد بن عمرو بن العاص

539 الطبراني في الكبير عن أبي مسعود عقبة بن عمرو رضي الله عنه

540 الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

541 أبو داوود والترمذي وابن ماجه عن أبي بكرة نفيع بن الحارث

542 بن حبان عن عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

543 أبو داوود عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها

544 البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

545 ابن عساكر في تاريخ دمشق عن عليّ كرم الله وجهه كما في الجامع الصغير للسيوطي

546 ابن حبان والحاكم عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

547 البخاري في الأدب المفرد والطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه مع اختلاف في اللفظ

548 البيهقي في الشعب عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

549 الديلمي في مسند الفردوس عن عقبة بن عامر رضي الله عنه

550 الطبراني في الأوسط عن عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه

551 رواه الإمام أحمد عن النعمان بن البشير رضي الله عنه

552 الطبراني في الكبير عن معقل بن يسار رضي الله عنه

553 أبو داوود والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه مع اختلاف في اللفظ في أول الحديث

اختلفوا فهلكوا[554]. اثنان خير من واحد وثلاثة خير من اثنين وأربعة خير من ثلاثة فعليكم بالجماعة فإن الله لن يجمع أمتي إلا على هدى[555]. لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله[556]. المؤمنون كرجل واحد إذا اشتكى رأسه اشتكى كله[557] **﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾**[558] **﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾**[559] أفضل الصدقة إصلاح ذات البين[560]. ما عمل ابن آدم شيئًا أفضل من إصلاح ذات البين[561]: الخلق كلهم عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله[562]. خير الناس أنفعهم للناس[563]. رأس العقل بعد الإيمان التحبب إلى الناس واصطناع الخير إلى كل بر وفاجر[564]. لا تباغضوا ولا تدابروا ولا تنافسوا وكونوا عباد الله إخوانًا[565]. من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت أخوته[566]. الإنسان أخ الإنسان أحب أم كره. اعزلوا الأذى عن طريق المسلمين[567]. أفضل الأعمال أن تدخل

---

[554] البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

[555] الإمام أحمد عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه

[556] مسلم وأبو داوود عن ثوبان رضي الله عنه

[557] مسلم وأحمد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه

[558] آل عمران 103

[559] الأنفال 46

[560] الطبراني عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما

[561] البخاري في تاريخه والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة رضي الله عنه

[562] الطبراني في مكارم الأخلاق عن أنس رضي الله عنه

[563] الطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

[564] الطبراني في الأوسط عن علي كرم الله وجهه

[565] البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

[566] الديلمي في مسند الفردوس عن الحسين بن عليّ رضي الله عنهما

[567] مسلم في صحيحه عن أبي برزة الأسلمي نضلة بن عبيد رضي الله عنه

على أخيك المؤمن سرورًا وتقضي عنه دينًا[568]. لا ضرر ولا ضرار في الإسلام[569]. المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف[570] أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطي لمن حرمك وتصفح عمن ظلمك[571] ما تحابا إثنان إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حبا لصاحبه[572]. اصنع المعروف إلى من هو أهله وإلى غير أهله فإن أصبت أهله أصبت أهله وإن لم تصب أهله كنت أنت أهله[573] إن الله أمرني بمدارات الناس كما أمرني بإقامة الفرائض[574]. إن الله يبغض المعبس في وجوه إخوانه[575]. إن الله يحب إغاثة اللهفان[576]. إن الله يحب المداومة على الإخاء القديم فداوموا عليه[577]. بُلّوا أرحامكم ولو بالسلام[578]. تعافوا تسقط الضغائن في قلوبكم[579]، من أصبح لا يهتم بالمسلمين فليس منهم[580]. من أراد أن تجاب دعوته وتكشف كربته فليفرج عن معسر[581]. إن أحبكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون وإن أبغضكم إلى الله المشاءون

---

[568] البيهقي في الشعب عن أبي هريرة رضي الله عنه

[569] مالك في الموطأ عن يحي المازني وأحمد في المسند عن بن عباس رضي الله عنهما

[570] ابن حبان والطبراني في الأوسط عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

[571] أحمد عن معاذ بن أنس رضي الله عنه والطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه مع اختلاف في اللفظ

[572] الطبراني في الأوسط عن أبي الدرداء رضي الله عنه

[573] الخطيب البغداداي في رواة مالك عن بن عمر رضي الله عنهما وابن النجار عن عليّ كرم الله وجهه كما في الجامع الصغير

[574] الديلمي في مسند الفردوس عن عائشة رضي الله عنها

[575] الديلمي في مسند الفردوس عن عليّ كرم الله وجهه

[576] بن عساكر في تاريخ دمشق عن أبي هريرة رضي الله عنه كما في الجامع الصغير للسيوطي

[577] الديلمي في مسند الفردوس عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

[578] البيهقي في الشعب عن أنس بن مالك رضي الله عنه

[579] البزار عن بن عمر رضي الله عنهما كما في الجامع الصغير للسيوطي مع اختلاف في اللفظ

[580] البيهقي في الشعب عن أنس بن مالك رضي الله عنه

[581] أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

بالنميمة المفرقون بين الإخوان[582] ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّوَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[583] انصر أخاك ظالمًا أو مظلوما[584]، من نصر أخاه بظهر الغيب نصره الله في الدنيا والآخرة[585]، المؤمن أخو المؤمن لا يدع نصيحته على كل حال[586]، المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم[587]، أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم[588]، أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يومًا ما وأبغض بغيضك هونًا ما عسى أن يكون حبيبك يومًا ما[589]، يا أبا عمير ما فعل النغير[590]، زوجك الذي في عينه بياض، الهوا والعبوا فإني أكره أن يرى في دينكم غلظة[591]، أتأكل التمر وبك رمد[592]، اللهم أحيني مسكينًا وأمتني مسكينًا واحشرني في زمرة المساكين[593]، في كل ذي كبد رطبة أجر[594]، ما خففت عن خادمك في عمله فهو أجر لك في موازينك يوم القيامة[595]، واعلم يا أبا

---

[582] الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه مع اختلاف في اللفظ

[583] المائدة 2

[584] البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه

[585] البيهقي في سننه عن أنس بن مالك رضي الله عنه

[586] ابن النجار عن جابر رضي الله عنه كما في الجامع الصغير للسيوطي

[587] الترمذي وابن ماجه والطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما كما في الجامع الصغير للسيوطي مع اختلاف في اللفظ

[588] البخاري في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

[589] البخاري في الأدب المفرد عن عليّ كرم الله وجهه

[590] البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه

[591] البيهقي عن المطلب بن عبد الله بن حنطب رضي الله عنه

[592] ابن ماجه عن صهيب بن سنان رضي الله عنه

[593] الترمذي عن أنس رضي الله عنه

[594] البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

[595] ابن حبان عن عمرو بن حريث رضي الله عنه

مسعود أن الله أقدر عليك من هذا الغلام[596]، اعطوا الاجير أجره قبل أن يجف عرقه[597]، استوصوا بالأسارى خيرًا[598]، لكل شيءٍ مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراءِ[599]، الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله[600]، لا تطعموا المساكين مما لا تأكلون[601]، الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء[602]، خاب عبد وخسر لم يجعل الله في قلبه رحمة للبشر[603]، لا يدخل الجنة إلا رحيم[604]، من رحم ولو ذبيحة عصفور رحمه الله يوم القيامة[605] اتقوا الله في البهائم المعجمة فاركبوها صالحة وكلوها صالحة[606]، إذا ركبتم الدواب فاعطوا لها حظها[607] من المنازل ولا تكونوا عليها شياطين[608]، إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته[609]، لعن الله من مثل بالحيوان[610]، نهى صلى الله عليه وسلم عن التحريش

---

[596] مسلم عن أبي مسعود رضي الله عنه

[597] البيهقي في السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه

[598] الطبراني عن أبي عزيز بن عمير رضي الله عنه

[599] ابن حبان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

[600] الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رضي الله عنه

[601] أحمد عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

[602] الترمذي في سننه عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما

[603] أبو نعيم الأصبهاني في معرفة الصحابة عن عمرو بن حبيب رضي الله عنه

[604] البيهقي في الشعب عن أنس رضي الله عنه

[605] البخاري في الأدب المفرد عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه

[606] أبو داوود في سننه عن سهل ابن الحنظلية الأنصاري رضي الله عنه

[607] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة حقها

[608] الدارقطني عن أبي هريرة رضي الله عنه كما في الجامع الصغير للسيوطي

[609] الترمذي في سننه عن شداد بن أوس رضي الله عنه

[610] النسائي وابن حبان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

بين البهائم[611]، نهى صلى الله عليه وسلم عن ذبح ذوات الدر[612]. اليد العليا خير من اليد السفلى[613]، خير الصدقة ما كان عن ظهر غنًى وابدأ بمن تعول[614]، خير الناس مؤمن فقير يعطي جهده[615]، إذا أتاكم السائل فضعوا في يده ولو ظلفا محرقًا[616]، اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة[617]، ويل للأغنياء من الفقراء[618]، إنما يستظل المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته[619]، الصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماءُ النار[620]، الزكاة قنطرة الإسلام[621]، كل مال أديت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفونًا تحت الأرض وكل مال لا يؤدى زكاته فهو كنز وإن كان ظاهرًا[622]، لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له[623]، إن حسن العهد من الإيمان[624]؛ المسلمون عند شروطهم؛ من غش فليس منّا، المكر والخديعة والخيانة في النار؛ أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك[625]؛ إن الله يقول أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما

---

[611] أبو داوود في سننه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه

[612] ابن ماجه والحاكم عن عليّ كرم الله وجهه

[613] ابن حبان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

[614] البخاري والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه

[615] الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عمر رضي الله عنهما

[616] ابن عدي عن جابر رضي الله عنه كما في الجامع الصغير للسيوطي

[617] ابن حبان في صحيحه عن عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه

[618] الطبراني في الأوسط والديلمي في الفردوس عن أنس رضي الله عنه

[619] الطبراني والبيهقي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه

[620] ابن ماجه عن أنس رضي الله عنه

[621] الطبراني في الأوسط عن أبي الدرداء رضي الله عنه

[622] الطبراني في الأوسط عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

[623] الطبراني عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

[624] الطبراني في الكبير عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها

[625] أبو داوود والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

صاحبه فإذا خانه خرجت من بينهما[626]؛ الأمانة غنًى[627]؛ الأمانة تجلب الرزق والخيانة تجلب الفقر[628]؛ من أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد في غيره فقد خانه[629]. المستشار مؤتمن[630] فإذا استشير أحدكم فليشر بما هو صانع لنفسه[631]؛ إنما يتجالس المتجالسان بأمانة الله فلا يحل لأحدهما أن يفشي على صاحبه ما يخاف[632]، إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهي أمانة[633]، المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس سفك دم حرام أو استحلال عرض حرام أو اقتطاع مال بغير حق حرام[634]، اتقوا الحجر الحرام في البنيان فإنه أساس الخراب[635]؛ ترك السلام على الضرير خيانة[636]؛ لا تزال أمتي بخير ما لم تر الأمانة مغنمًا والصدقة مغرمًا[637]. إذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له أنك ظالم فقد تودع منها[638]. قل الحق ولو كان مرًا ولا تخف في الله لومة لائم[639]؛ أحب الأعمال إلى الله كلمة حق تقال عند سلطان جائر[640]؛ من رآ منكم منكرًا

---

[626] أبو داوود في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه

[627] القضاعي في مسند الشهاب عن أنس رضي الله عنه كما في الجامع الصغير للسيوطي

[628] الديلمي في مسند الفردوس عن أنس رضي الله عنه

[629] أبو داوود في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه

[630] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة مؤمن

[631] الطبراني في الأوسط عن عليّ كرم الله وجهه

[632] البيهقي في الشعب عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم

[633] الطبراني في الأوسط عن جابر رضي الله عنه

[634] أبو داوود في سننه عن جابر رضي الله عنه من غير لفظ حرام في آخره

[635] البيهقي في الشعب عن ابن عمر رضي الله عنهما

[636] الديلمي في مسند الفردوس عن أبي هريرة رضي الله عنه

[637] الترمذي عن عليّ كرم الله وجهه

[638] الطبراني في الأوسط عن جابر رضي الله عنه

[639] أبو نعيم في حلية الأولياء عن أبي ذر رضي الله عنه مع اختلاف اللفظ

[640] أحمد وابن ماجه والطبراني عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه مع اختلاف في اللفظ

فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان[641] طلب الحق غربة[642]؛ طوبي للغرباء أناس صالحون في أناس سوء من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم[643]؛ مثل الذي يعين قومه على غير الحق مثل بعير تردى وهو يجر بذنبه[644]؛ نعمت الميتة أن يموت الرجل دون حقه[645]. ما من مسلم يظلم مظلمة فيقاتل فيقتل إلا قتل شهيدًا[646]؛ دعه فإن لصاحب الحق مقالاً[647]؛ اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة[648]، لو بغى جبل على جبل لدك الباغي[649]. اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب[650]. اتق دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة[651]. دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجرًا ففجوره على نفسه[652]. انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا تحجزه عن الظلم فإن ذلك نصره [653]. من أعان ظالمًا سلطه الله عليه[654]. الغل والحسد يأكلان الحسنات كما تأكل النار الحطب[655] المؤمن يغبط والمنافق

---

[641] مسلم وأبو داوود والترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

[642] ابن عساكر في تاريخ دمشق عن عليّ كرم الله وجهه كما في الجامع الصغير للسيوطي

[643] أحمد والطبراني والبيهقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما

[644] أبو داوود عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

[645] أبو نعيم في حلية الأولياء عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مع لفظ نعم عوض نعمت

[646] البيهقي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما

[647] الطبراني في الصغير عن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه

[648] مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

[649] ابن حبان عن أنس بن مالك رضي الله عنه

[650] البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

[651] الحاكم والديلمي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه

[652] أحمد وبن أبي شيبة عن أبي هريرة رضي الله عنه

[653] البخاري عن أنس رضي الله عنه

[654] ابن عساكر في تاريخ دمشق عن ابن مسعود رضي الله عنه كما في الجامع الصغير للسيوطي

[655] أبو الشيخ الأصبهاني عن أنس رضي الله عنه

يحسد[656]. دب إليكم داءُ الأمم قبلكم البغضاءُ والحسد هي الحالقة حالقة الدين لا حالقة الشعر والذي نفس محمّد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أنبئكم بأمر إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم[657]. ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾[658] إذا نظر أحدكم إلى من فضّل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه[659]. المؤمن ليس بحقود. أفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة أن تصل من قطعك وتعطي من منعك وتعفو عمن ظلمك[660]. أحب الأعمال إلى الله حفظ اللسان[661]. طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس[662]. ليردك عن الناس ما تعلمه من نفسك[663]. أربى الربى شتم الأعراض وأشد الشتم الهجاءُ والرواية أحد الشاتمين[664]. أعظم الناس فرية شاعر يهجو القبيلة بأسرها[665]. اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم[666]. مهلا إياك والغيبة[667]. أترعون عن ذكر الفاجر أن تذكروه اذكروه يعرفه الناس[668]. ليس مني ذو

---

[656] هو من قول الفضيل بن عياض كذلك رواه ابن أبي الدنيا في ذم الحسد

[657] الترمذي وأحمد عن الزبير بن العوام رضي الله عنه

[658] المؤمنون 96 وفصلت 34

[659] البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

[660] البيهقي في الشعب عن ابن أبي حسين

[661] البيهقي في الشعب عن وهب بن عبد الله السوائي أبو جحيفة رضي الله عنه

[662] ابن حبان والبيهقي عن أنس رضي الله عنه

[663] ابن حبان في صحيحه عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه

[664] البيهقي في الشعب عن عمرو بن عثمان مرسلا

[665] ابن حبان في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

[666] الترمذي وأبو داوود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

[667] ابن وهب في الزهد وابن أبي الدنيا في الصمت عن عائشة رضي الله عنها

[668] الطبراني والبيهقي عن معاوية بن حيدة القشيري رضي الله عنه

حسد ولا نميمة[669]. إني لم أؤمر أن أنقب على قلوب الناس ولا أشق عن بطونهم[670]. إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم[671]. كادت النميمة أن تكون سحرًا[672]. من أرى الناس فوق ما عنده من الخشية فهو منافق[673]. أشد الناس عذابًا يوم القيامة من يرى الناس أن فيه خيرًا ولا خير فيه[674]. إن الله حرم الجنة على كل مراءٍ[675]. أخاف على أمتي زلة العالم وجدال المنافق[676]. إذا مررتم ببلد ليس فيها سلطان فلا تدخله[677]. إنما السلطان ظل الله في الأرض[678]. إذا خرج ثلاثة في سفر فليأمروا واحدًا منهم[679]. أحسنوا إذا وليتم[680]. كل راع مسؤول عن رعيته[681]. أيما رجل استعمل رجلا على عشرة وقد علم أن في العشرة من هو أفضل منه فقد غش الله والرسول وجماعة المسلمين[682]. أيما والي ولي شيئًا من أمر أمتي فلم ينصح لهم ولم يجتهد كنصحيته واجتهاده لنفسه كبه الله على وجهه يوم القيامة في النار[683]. أوصي الخليفة من بعدى بتقوى الله

---

[669] الطبراني عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه

[670] البيهقي في السنن عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

[671] أبو داوود في سننه عن المقدام بن معد يكرب وأبي أمامة الباهلي رضي الله عنهما

[672] ابن لال في مكارم الأخلاق عن أنس رضي الله عنه كما في الجامع الصغير للسيوطي

[673] الديلمي في مسند الفردوس عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه

[674] الديلمي في مسند الفردوس عن بن عمر رضي الله عنه

[675] أبو نعيم في الحلية والديلمي في مسند الفردوس عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

[676] الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء رضي الله عنه

[677] البيهقي في الشعب عن أنس رضي الله عنه مع اختلاف في اللفظ

[678] البيهقي في الشعب عن أنس رضي الله عنه

[679] أبو داوود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

[680] الخرائطي في مكارم الأخلاق، والديلمي عن أبي سعيد رضي الله عنه

[681] البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

[682] أبو يعلى عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه كما في الجامع الصغير للسيوطي

[683] الطبراني عن معقل بن يسار رضي الله عنه

وبجماعة المسلمين أن يعظم كبيرهم ويرحم صغيرهم ويوقر عالمهم وألا يضر بهم فيذلهم ولا يوحشهم فيكفرهم وألا يغلق بابه دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم[684]، لست أخاف على أمتي غوغاءَ تقتلهم ولا عدوًا يجتاحهم ولكني أخاف عليهم أيمةً مضلين إن أطاعوهم فتنوهم وإن عصوهم قتلوهم[685]، ما أنا بأحق بهذه الوبرة من رجل منكم[686]، من أخون الخيانة تجارة الوالي في رعيته[687]، كيف يقدس الله أمة لا يأخذ ضعيفها حقه من قويها وهو غير متعتع[688]، ويل للوالي من الرعية إلا واليًا يحوطهم من ورائهم بالنصيحة[689]، كيفما تكونوا يولى عليكم[690]، اسمعوا وأطيعوا وإن ولي عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة[691]، عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهكك وأثرة عليك[692]، السمع والطاعة حق على المرء فيما أحب أو كره ما لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة[693]، إنما الطاعة في المعروف[694]، إذا استنصح أحدكم أخاه فلينصحه[695]، إذا وجد أحدكم لأخيه نصحًا في نفسه

---

[684] البيهقي في السنن الكبرى عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه

[685] الطبراني عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه

[686] أحمد في مسنده عن عليّ كرم الله وجهه

[687] الطبراني في مسند الشاميين عن رجل من الصحابة

[688] البيهقي عن بريدة رضي الله عنه

[689] الروياني عن عبد الله بن معقل كما في الجامع عند السيوطي

[690] الديلمي عن أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه

[691] البخاري وابن ماجه عن أنس رضي الله عنه مع اختلاف في اللفظ

[692] مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

[693] البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما

[694] البخاري عن عليّ كرم الله وجهه

[695] البخاري والطبراني عن أبي السائب مولى هشام بن زهرة رضي الله عنه

فليذكره له[696]، إن أحدكم مرآة أخيه فإذا رآ به أذًى ليغمضه عنه[697]، الدين النصيحة لله ولرسوله ولأيمة المسلمين وعامتهم[698]، لا تتمنوا لقاء العدو وإذا لقيتموه فاصبروا[699]، من لقي الله بغير أثر جهاد لقي الله وفيه ثلمة[700]، أقرب العمل إلى الله الجهاد في سبيل الله[701]، الجنة تحت ظلال السيوف[702]، السيوف مفاتيح الجنة[703]، رباط شهر خير من صيام دهر[704]، عينان لا تمسهما النار أبدًا عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله[705]، كل ميت يختم على عمله إلا إذا مات مرابطًا في سبيل الله فإنه ينمو عمله إلى يوم القيامة[706] علموا بنيكم الرمي فإنه نكاية العدو[707]، أحب اللهو إلى الله إجراءُ الخيل والرمي[708]، ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي[709]، ما من رجل ينقي لفرسه شعيرًا ثم يعلفه عليه إلا كتب الله له بكل حبة حسنة[710]، الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة[711] الأجر

---

[696] ابن عدي عن أبي هريرة رضي الله عنه كما في الجامع الصغير للسيوطي

[697] الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

[698] ابن حبان عن تميم الداري رضي الله عنه

[699] البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

[700] الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه

[701] البخاري في تاريخه عن فضالة بن عبيد الأنصاري رضي الله عنه

[702] مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه

[703] الحاكم عن يزيد بن شجرة الرهاوي رضي الله عنه

[704] الطبراني عن أبي الدرداء رضي الله عنه

[705] الترمذي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه

[706] ابن حبان عن فضالة بن عبيد رضي الله عنه

[707] الديلمي في مسند الفردوس عن جابر رضي الله عنه

[708] ابن عدي عن ابن عمر عن ابن عمر رضي الله عنهما كما في الجامع الصغير للسيوطي

[709] مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه

[710] ابن ماجه عن تميم الداري رضي الله عنه

[711] مسلم وأبو داوود عن أبي هريرة رضي الله عنه

والمغنم، وإن المنفق[712] عليها كالباسط يده في الصدقة[713]، خذل عنا فإن الحرب خدعة[714]، مثل الذين يغزون ويأخذون الجعل يتقوون به على العدو كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها[715]، إن من أخلاق المؤمن قوة في دين وحزما في لين وإيمانا في يقين وحرصًا في علم وشفقة في مقة وحلمًا في علم وقصدًا في غنى وتجملاً في فاقة وتحرجًا عن طمع وكسبًا في حلال وبرًا في استقامة ونشاطًا في هدى ونهيا عن شهوة ورحمة للمجهود وإن المؤمن من عباد الله لا يحيف على من يبغض ولا يأثم في من يحب ولا يضيع ما استودع ولا يحسد ولا يطعن ولا يلعن ويعترف بالحق وإن لم يشهد عليه ولا يتنابز بالألقاب في الصلاة متخشعًا إلى الزكاة مسرعًا في الزلازل وقورًا في الرخاء شكورًا قانعًا بالذي له لا يدعي ما ليس له ولا يجمع في الغيظ ولا يغلبه الشح عن معروف يريده يخالط الناس كي يعلم ويناطقهم كي يفهم وإن ظلم وبغي عليه صبر حتى يكون الرحمن هو الذي ينتصر له[716]، تبسمك في وجه أخيك صدقة وأمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر وإرشادك الرجل في أرض الضلال صدقة وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق صدقة وإفراغك من دلوك في دلو أخيك صدقة[717]، تعوذوا بالله من ثلاث فواقر جار سوءٍ رآ خيرًا كتمه وإن رآ شرًا أذاعه وزوجة سوءٍ إن دخلت عليها لسنتك وإن غبت عنها خانتك وإمام سوءٍ إن أحسنت لم يقبل وإن أسأت لم يغفر[718]، ثلاث ليس لأحد من الناس فيهن رخصة بر الوالدين مسلما كان أو كافرًا والوفاءُ بالعهد

---

[712] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة المتفرق

[713] الطبراني في الكبير عن سهل ابن الحنظلية رضي الله عنه

[714] الديلمي عن نعيم الأشجعي رضي الله عنه

[715] أبو داوود والبيهقي عن جبير بن نفير رضي الله عنه

[716] الترمذي عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه

[717] الترمذي وابن حبان عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه

[718] البخاري في تاريخه والبيهقي في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه

لمسلم كان أو كافر وأداءُ الأمانة إلى مسلم كان أو كافر[719]، ألا أعلمك خصلات ينفعك الله بهن عليك بالعلم فإن العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قيمه والرفق أبوه واللين أخوه والصبر أمير جنوده[720]، قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان وجعل قلبه سليمًا ولسانه صادقًا ونفسه مطمئنة وخليقته مستقيمة وأذنه مستمعة وعينه ناظرة[721]، اللهم اجعل سريرتي خيرًا من علانيتي واجعل علانيتي صالحة اللهم إني أسألك من صالح ما تؤتي الناس من المال والأهل والولد غير الضال ولا المضل[722]، فكوا العاني وأجيبوا الداعي وأطعموا الجائع وعودوا المريض[723]، إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوءُ كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحا خبيثة[724]، إذا أراد الله بقوم خيرًا أكثر فقهاءهم وأقل جهالهم فإذا تكلم الفقيه وجد أعوانًا وإذا تكلم الجاهل قهر وإذا أراد الله بقوم شرًا أكثر جهالهم وأقل فقهاءهم فإذا تكلم الجاهل وجد أعوانا وإذا تكلم الفقيه قهر[725]. آفة الظرف الصلف وآفة الشجاعة البغي وآفة السماحة المن وآفة الجمال الخيلاءُ وآفة العبادة الفترة وآفة الحديث الكذب وآفة العلم النسيان وآفة العلم السفه وآفة الحسب الفخر وآفة الجود السرف[726]. اجتنبوا السبع الموبقات الشرك بالله والسحر

---

719 البيهقي في الشعب عن عليّ كرم الله وجهه

720 الحكيم الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما

721 أحمد والطبراني وأبو نعيم عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه

722 الترمذي في سننه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

723 البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه

724 البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه

725 الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عمر رضي الله عنهما

726 الطبراني والبيهقي عن عليّ كرم الله وجهه

وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربى وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات[727]. خمس من قواصم الظهر عقوق الوالدين والمرأة يأمنها زوجها فتخونه والإمام يطيعه الناس ويعصي الله ورجل وعد عن نفسه خيرًا فأخلف واعتراض المرءِ في أنساب الناس[728]. سبع يجرى للمرءِ أجرهن وهو في قبره بعد موته من علم علما أو أجرى نهرًا أو حفر بئرًا أو غرس نخلا أو بنى مسجدًا أو ورث مصحفا أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته[729]. ستة تحبط الأعمال الاشتغال بعيوب الخلق وقسوة القلب وحب الدنيا وقلة الحياء وطول الأمل وظالم لا ينتهي[730]. العدل حسن ولكنه في الأمراء أحسن السخاءُ حسن ولكنه في الاغنياء أحسن الورع حسن ولكنه في العلماءُ أحسن الصبر حسن ولكنه في الفقراءِ أحسن التوبة حسن ولكنها في الشباب أحسن الحياءُ حسن ولكنه في النساءِ أحسن[731]. كن ورعًا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس وأحب للناس ما تحبه لنفسك تكن مؤمنًا وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلمًا وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب[732]. ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة مع ما يدخر له في الآخرة من قطيعة الرحم والخيانة والكذب وإن أعجل الطاعات ثوابا صلة الرحم حتى أن أهل البيت ليكونون فجرة فتنمو أموالهم ويكثر عددهم إذا تواصلوا[733]. من اقتصد أغناه الله ومن بذر

---

[727] أبو داوود في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه

[728] البيهقي في الشعب عن أبي هريرة رضي الله عنه

[729] أبو داوود وابن حبان عن أنس رضي الله عنه

[730] الديلمي في مسند الفردوس عن عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه

[731] الديلمي في مسند الفردوس عن علي رضي الله عنه

[732] الترمذي وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

[733] أبو داوود والترمذي عن أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه

أفقره الله ومن تواضع رفعه الله ومن تجبر قصمه الله[734]. من كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فليحسن لجاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت[735]. طوبى لمن تواضع في غير منقصة وذل في نفسه من غير مسكنة وأنفق من مال جمعه في غير معصية وخالط أهل الفقه والحكمة ورحم أهل الذلة والمسكنة[736]. عليك بالإياس مما في أيدي الناس وإياك الطمع فإنه الفقر الحاضر وإياك وما يعتذر منه[737]. خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره وشركم من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره[738]. ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لابد له من معاشرته حتى يجعل الله له من ذلك مخرجا[739] ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أعز وأكثر ممن يعمله ثم لم يغيروه إلا عمهم الله منه بعقاب[740]. من المروءة أن ينصت الأخ لأخيه إذا حدثه ومن حسن المماشاة أن يقف الأخ لأخيه إذا انقطع شسع نعليه[741]. من شهد شهادة يستباح بها مال امرىء أو يسفك بها دمه فقد أوجب النار[742]. من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد[743]. كل أمتي معافًى إلا المجاهرين وإن من الإجهار أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله تعالى فيقول قد

---

[734] الطبراني في الأوسط والبزار عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه مع اختلاف في اللفظ

[735] البخاري ومسلم عن أبي شريح العدوي خويلد بن عمرو رضي الله عنه

[736] الطبراني والبيهقي عن ركب المصري رضي الله عنه

[737] الحاكم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

[738] الترمذي في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه

[739] البيهقي في الشعب عن أبي فاطمة الإيادي رضي الله عنه

[740] أبو داوود في سننه عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه

[741] الديلمي في مسند الفردوسس عن أنس رضي الله عنه

[742] الطبراني في الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما

[743] الترمذي في سننه عن سعيد بن زيد رضي الله عنه

عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله تعالى عنه[744]. يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا[745] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ قضية معلومة تنبيها منه للمتنبه للفاعل والاعتراف به عدد خمسة دلائل اثنين من الأنفس خلقهم وخلق أصولهم وثلاثة من الآفاق جعل الأرض فرشا ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ وما اجتمع منها من إنزال الماء وإخراج الثمرات بسببه فأقرب الأشياء للإنسان نفسه ثم ما نشأ منه ثم الأرض مكانه ثم قبة مضروبة عليه ثم ما ينشأ من الازدواج بين أرض مقلة وسماء مضلة من مطر والإخراج به من بطن الأرض أولادًا من ربيع وثمار فكل أدلة في السماوات والأرض حاصل في الإنسان بزيادة الحياة والقدرة والشهوة والعقل فله قدمه في الذكر لأبلغية الأدلة فيه فالفرش ما يفرش كالمهاد لما يمهد فلا يلزم التسطيح فلا يتم الافتراش منبسطة أو كورة إلا بالسكون في حيزها الطبيعي ومن وسط الأفلاك فإن الأثقال بالطبع تميل إلى تحت كالخفيف للفوق طبعا فالفوق ما يلي العلو والتحت ما يلي المركز فلا ترفع الأرض إلى السماء ولا تهبط إلى الأسفل فإنه علو أيضًا للسماء ككورة إن دارت انقلب أسفلها أعلاها وأعلاها أسفلها فلا يمكن أن يحيط بالحقائق إلا الله فيكفيها ما طبعت عليه من الوسط بالسكون المركوزة عليه بالله ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾[746] فلا تحتاج إلى دعامة ولا علاقة فوقها فلم يجعلها غاية الصلابة كالحجر ولا اللين والانغمار كالماء ليسهل النوم عليها والمشي والزراعة والأبنية وحفر الآبار وإجراءُ الأنهار ولم تخلق في غاية اللطافة لتستقر الأنوار عليها يتسخر منها فيمكن جوازها فأبرزها أعني بعضها من الماء مع أن طبعها الغوص لتعيش الحيوانات البرية فظهر ما ظهر منها وهو قريب من ربعها لأنها لم تخلق

---

[744] مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه

[745] مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه

[746] فاطر 41

صحيحة الاستدارة بل خلقت هي من الماء بحيث إذا انجذب الماءُ بطبعه إلى الانخفاض بقي شيءٌ منها مكشوفًا فصار مجموع الأرض والماء بمنزلة كورة واحدة فلا يعلم تفاصيل الأرض إلا الله فاختلفت أجزاءها بحسب اختلاف الأغراض ﴿**وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ**﴾[747] ومنها اختلاف ألوانها ﴿**وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ**﴾[748] ومنها انصداعها بالنبات ﴿**وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ**﴾[749] وجذبها للمطر ﴿**وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ**﴾[750] والعيون والأنهار ﴿**وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا**﴾[751] والكرم تأخذ واحدة وترد سبع مائة ﴿**كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ**﴾[752] وحياتها وموتها ﴿**وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا**﴾[753] والدواب المختلفة ﴿**وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ**﴾[754] والنباتات المتنوعة ﴿**وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**﴾[755] فالكل دلالة على موجدها وقوت البشر والبهائم ﴿**كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ**﴾[756] والطعام والإدام والدواء والفواكه وكسوة البشر نباتية كالقطن وحيوانية كالشعر والجلود والأحجار المختلفة للتزين ولغيره كالأبنية وما يخرج منه النار مع كثرته والياقوت مع عزته وما أودع الله فيها من المعادن كالذهب فاستنبط البشر الحرف الرقيقة والصنائع الجليلة فبها استخرجوا السمك في قعر

---

[747] الرعد 4

[748] فاطر 27

[749] الطارق 12

[750] المؤمنون 18

[751] ق 7

[752] البقرة 261

[753] يس 33

[754] البقرة 164

[755] ق 7

[756] طه 54

بحر واستنزلوا الطير من أوج الهواء فأعز الله الذهب والفضة بالقلة مع كثرته لينتفع به فلو كثر لزالت منفعته وعليه فمن طلب المال بالكيمياء أفلس فإن الله لم يرد كثرته بل قلته ومنها الخشب للسقف والنار فإن اعتبرت اعترفت بالمدبر الحكيم فالدنيا بيت لأضيافه تعالى فالإنسان عبد ضيف لربه وهي تقلك والسماءُ سقف تظلك أسمكها لك بسبع طباق وعلق فيها مائة ألف وأربعة وعشرين ألف قنديل كمسجد مثلا فالأرض كلها مسجد فبعض بانفراده فبعض مجتمع كالثريا وخلق لك نجمًا كبيرً ساترًا لأنوار الكواكب نهارًا خلق للمعاش لاحتياجك الاستضاءة جدًا كالنجارة والكتابة ومسح على القمر الذي هو خليفة الشمس لينتقص ضوءُه عن ضوءِ النهار للنوم وللحرف الليلية من عبادة كمعرفة موضع سجود ونوم بالاستضاءة بضوء القمر والنجوم مع خفة الضوء وجعل في الأرض مائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبي كالنجوم وختمهم بمحمّد صلى الله عليه وسلم كالشمس التي تغطي الكواكب وجعل عيسى عليه السلام كالقمر يخلفه في أواخر اليوم المحاذي لليوم الآخر فجعل أصحاب محمّد على أقدام الأنبياء فهم كالنجوم فاستخلفوا العلماء ورثتهم في كل مقام وقدم وجعل القطب بدلا عن شمسه صلى الله عليه وسلم وخليفته بدلا عن قمر عيسى عليه السلام إلى قيام الساعة وهو انبجاس حقائق الحقائق في حضرة موجدها فأنت في الأرض شجرة الإيمان متفرعة في الآخرة في دار الإحسان وخلق في الأرض شجرة الكفر ممتدة في الآخرة مثمرة كل منها ما يناسب الإحسان والانتقام فشجرة الكفر شجرة الانتقام لأسماء جلاله تعالى وشجرة الإيمان لأسماء جماله فحكم أن كل من تعلق بواحدة كماله نال غلتها فالجنة الحسنى ثمرة واحدة من ثمار الإيمان فلا تقنع بها فقط فإنها باعتبار جنة المزيد قليلة فطباق جهنم السبع إنما هي ثمرة واحدة من ثمار الكفر

فهي قليلة باعتبار أنواع غضب الله عليهم ﴿**فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ**﴾[757] وإنما ذكر لنا الله تعالى أنه يعذب بنوع واحد من ثمارها فما بالك بذرات أنواعها أعيذ أمة الرسول صلى الله عليه وسلم من غلاتها فلا تعدوا على أحد منهم وهو رجاءنا فيه وإن دخلها بعض المسيئين تكن لهم بردًا وسلاما: جز يا مؤمن فإن نورك أطفأ لهبي[758]، فبالله حصنت أمة المختار ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**﴾[759] فلا أرضى وواحد يعذب من الأمة: فليظن بي خيرًا، فقد ظننت بربي خيرًا ﴿**وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ**﴾[760] فكل ما ذكره علماء التنجيم من السعد والنجس كالسوائع والأيام المرعية بالطوالع باطل باطل وإنما ندين بالقرآن وإنما سماها مصابيح يستضاءُ بها ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر وترجم بها الشياطين وتزين بها سماؤنا التي هي عين سقف بيتنا الذي هو الأرض أمنا المشفقة علينا أكثر من الأم الحيوانية فإنها تطعم بالحليب وهي تطعم بأنواع ﴿**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ**﴾[761] إرشادًا لبطون أمنا ﴿**وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ**﴾ إرشادًا إلى رجوع الفرع لأصله ﴿**وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ**﴾ إشارة إلى البطن الثاني والنبات الأخير فالله يكافىء عنا أمنا بأتم إحسان وإعزاز وإكرام فالعبد المسمى بالإنسان الكامل هو الملك الذي تدور عليه الأفلاك والأحكام ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾[762] حيث سخر له كل نعمه خلقها بأيدي أسماء جماله وجلاله فما فيه منفعة أباحه له وما فيه مضرة جسده أو عقله أو دينه أو تغيير بعض المؤمنين حرّمه عليه فهو عروس المملكة ومحل نظر الله أسجد له ملائكته وصيره خليفة عنه حيثما كان إلهًا فهو خليفته عليه فالأرض بيت والعبد ملك

---

[757] البقرة 175

[758] الديلمي في مسند الفردوس عن يعلى بن أمية رضي الله عنه

[759] الضحى 5

[760] الملك 5

[761] طه 56

[762] الإسراء 70

البيت في البيت كل ما يحتاج إليه فالسماءُ مرفوعة كالسقف والأرض ممدودة كالبساط والنجوم منضودة كالمصابيح وضروب النبات مهيئة للملك لمصالحه والحيوان منصرفة فهذه جملة واضحة على أن العالم مخلوق بتدبير كامل وتقدير شامل وحكمة بالغة وقدرة غير متناهية فضل البعض السماء لأنها متعبد الملائكة فلم يعص في بقعة فلما فعل آدم ما فعل أهبط إلى الأرض محل الطاعات والمخالفات فالسماءُ تقدم في القرآن عن الأرض غالبًا والحق خلافه إن السماءَ سقف الأرض فالأرض مخدومة والسماءُ خادمة فالأرض محل الخلافة لا غيرها فالخلافة سبب إنزال آدم تعظيمًا له لموضع الخلافة لا إهانة له: لا يسكن في جواري من عصاني[763]، بحب الخلد في غير موضع الخلافة فالأرض إيوان الحق محل أحكامه ومعرفته فلا توازي معرفة الخليفة معرفة غيره أبدًا فهو مظهر الذات فلا يحمل الخليفة إلا الناسوت فلو بقي الخليفة زمن الخلافة في الجنة وتجلى فيه ربه بالأحكام الشرعية العدلية لاضمحلت الجنة فإنها ليست محلا لدولة الأحكام الملكية الشرعية وإنما هي كم واحد من أكمام شجرة الإيمان الذي محله الناسوت فالملكوت والجبروت والملك عوالم نشأت من أجساد المؤمنين في علم الله فهم الأفلاك والكواكب والشموس والأقمار فمنبت الكون من عرقية روح سيدنا محمّد الإنسان الكامل اضطربت فصارت بحرًا فخلقت الأرض من قوة الماء المتموج المزبد بالله فخلقت السماوات من بحار الماء الفائض من عرقيته صلى الله عليه وسلم فاجتمعت قوة العرقية في الكعبة فسميت يمين الله فخلقت السماوات والبيت المعمور في طياتها محاذية للكعبة التي هي باطن باطن الإنسان الكامل صلى الله عليه وسلم فهو العرش العظيم والملك الكريم وبه افتخرت العوالم كلها فهو أشرف العوالم وأكرم خلق الله على الإطلاق إجماعًا فقد

[763] ذكره الرازي في تفسيير القرآن

وصف الله بقاع الأرض بالبركة ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾[764] ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾[765] ﴿مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ فالقفار مساكن الوحوش التي خلقت لبني آدم ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾[766] وخلقت الأنبياء من الأرض ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾[767] فجعل الله للإنسان الكامل من كل وجه باعتبار إنسانيته فكماله بإقباله على ربه وإدباره عما سواه: جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا[768] فالأرض مسجده صلى الله عليه وسلم فلم يثبت أنه صلى في غيرها ففي الإسراءِ صلى في المقدس فأسري به إلى محل أنواره وأعوانه لتعرفه العوالم كلها وتتشرف به ذرات العلويات والسفليات فالأرض بيضة أودع فيها آدم وبنوه فالمح خلق منه الناسوت له والبياض خلق منه الملك والملكوت والجبروت فله طلب العلو فما خلق من المح ثقيل ومن الأبيض بارد خفيف يطلب العلو محل البرودة فالعرش إنما هو صوانه والجبروت قوته وسلاطين الملائكة أعوانه فالأعلون المهيمون في جماله تعالى خلقوا من هيام الإنسان الكامل يا آدم لا أحوجك إلى شيءٍ غير هذه الأرض التي هي لك كالأم، ﴿إِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾[769] ﴿وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾[770] يا عبدي إن أعز الأشياء عندك الذهب والفضة فلو خلقت الأرض منهما لم تخرج منفعتهما خلقتها في الدنيا مع أنها سجن لك فكيف الحال في الجنة فلا يتوعد الإنسان بأمه فـ﴿مِنْهَا

---

[764] القصص 30

[765] الإسراء 1

[766] الذاريات 20

[767] طه 56

[768] أحمد والبيهقي والطبراني عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه

[769] عبس

[770] البقرة 22

خَلَقْنَاكُمْ﴾[771] تعليم بأمنا وإرشاد إلى بروزها بطاعات ربنا عليها وفيها كالأم الصغرى فأنت في بطن الأم الصغرى تسعة أشهر بلا مس جوع ولا عطش والرحم أضيق الأشياء ومعه لم تمت فلو غممت بسد أنفك بعد الخروج ساعة مت فسبحان المدبر الحكيم العلام فكما كنت عليه في أجزاءِ الدنيا وفي قرار مكين فكن بعد تخلصك بالله منهما فلا تعرف غير ربك ولا تره ولا تحس إلا به ولا تهتم إلا به ولا تعتمد إلا عليه تكن أرفع الأشياء وأخص الناس به تعالى فقد دعاك إلى الخروج فأجبت برأسك من الأم والآن قد دعاك إلى صلاة فأجبه فما ولدتنا أمنا إلا لطاعة ربنا فخلق الله سبب النبات ومحله وهو المطر والدنيا فأخرج بالأسباب ما أراد والكل بقدرته ﴿وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ فمن ابتداءِ الغاية فالسماء كل علو فالمطر ماءٌ يخرج من تحت العرش فينزل من سماء إلى سماءٍ حتى يجتمع في سماءِ الدنيا فيجيءُ السحاب السود فتدخله فتشربه فيسوقها الله حيث شاء فكيفية إنزاله عند ربنا فالكشف يقتضي أن البحر المحيط الذي خلقت الدنيا منه ووضعت عليه كالحصيرة فخرج عظيمه تحتها فتخرج ريح بالقدرة فتضرب البحر فيعلو في كل جهة حتى يجتمع فوق كرة الأرض فتصير الأرض في وسطه وهو البحر المكفوف صار كأصابع مشتبكة فوق الأرض فكلف به ملك عظيم يقال له الروج[772] في السماء والأرض فيفرق المطر بمقدار بالمعصرات الإلهية فالسحاب يجيءُ بالمطر فينعقد الماءُ ثلجًا بالله وتمتص السحاب من اضاءِ الأرض ماء ينزل بردًا فالبرد من أبحر الأرض والمطر من البحر المحيط فهذا البحر الذي نعاينه ليس هو المحيط فإنه له قاع وإنما هو إضاءات الأرض فقط وهو من جملة الأرض فالمحيط خارج عن جبل قاف وهو أصل الأرضين والسماوات والأفلاك والعرش

[771] طه 56

[772] هكذا وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف ولعل أصل الكلمة الروح والله أعلم

والكرسي وغيره ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**﴾[773] وهو البحر المحيط بالحقائق من حيث هي والألف واللام للعهد المعلوم لرسوله صلى الله عليه وسلم فإنه خلق من نقطة عرقية لروحه صلى الله عليه وسلم فتلك النقطة هي أصل أصيل لكل من أوجده الله فلا يخرج شيءٌ أي كان عنها فمنها تموجت الخلائق أجمعون فإذا علمته علمت أنه صلى الله عليه وسلم عين رحمة الوجود ومنه انبجس الوجود فهو محل دولة الله ومحل نظره وهو مظهر الله تعالى وخليفته وأصل كل من نفذت فيه قدرة الله وعليه فنور رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المطر والسماءُ والأرض والعبد اللهم صل وسلم لنا على أصل وجودنا وبقائنا فلو تجلى الحق بذاته في غيره صلى الله عليه وسلم لزال الكون فلم يرده الله فله وجدنا وبقينا بالله في حضرته صلى الله عليه وسلم فتحصل أن التفضيل إنما يكون بالله فإنه خلق الكون كله من نفس واحدة وهي الحقيقة المحمّدية فمطلبها الناسوت الأرض فاعلم قدر أمك ﴿**فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ**﴾ لسببه بعض الثمرات التي سبق في علمه أنه يخرجها رزقًا حلالًا في ظاهر الشرع أو حرامًا فهو ما ينتفع به مطلقا فعادة الله أنه يخرج النبات من الأرض الممزوجة بالماء كما يخرج الحيوان من نطفة المني ترتيبًا لمملكته لا غير فكما أوجد الأسباب بلا واسطة قادر على إيجاد المسببات بلا أسباب لكن فعله لنعقل الوسائط لترتيب الشرائع فلولا الأسباب ما ظهرت الشرائع فلولا الشرائع ما احتيج إلى الدنيا التي هي محل معرفة الله وإنما يعرف بالشرائع المترتبة على الأسباب فمن لم يعقل سببًا لا يعقل مسببًا فهو تعالى يعلمنا نفسه بأسبابه وأن السبب مفتقر إلى الله كمسببه فمن الأولى للابتداءِ والثانية للتبعيض والبيان والجمع أطلق على الكثرة ﴿**فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا**﴾ شركاء في العبادة فالند المماثل المخالف من ند ندودًا فر فلم يعتقد أحد من

[773] الأنبياء 30

طوائف الكفر أن لله ندًا وضدًا بل علموا كلهم أن الله ذات مخالف للذوات والصفات فلا يشاركه أحد في صفته ولا في فعله بل انفرد بالإيجاد لكن لما أقبلوا على الأصنام والأوثان زاعمين أنهم ينفعونهم عند الكبير المتعال فعبدوا الآلهة الصغار عندهم لتقربهم إلى الله سفّههم الله وتهكم بهم فقال لهم أين عقولكم فقد جعلتم لي أندادًا لا أولادًا فقط من حيث لا تعقلون فلا ينفعكم الجهل مع كمال فطانتكم وعقولكم فيما بينكم فما تزعمونه هو عين الشرك لله في الأفعال فحالتكم شابهت من يعتقد المماثلة في الذات والصفة والفعل فلا ينفعكم ما تزعمونه فإن الإله واحد فقد ركز في عقولكم أن الله واحد أحد فرد صمد لا شريك له في خلقكم ولا ند له لا سيما مكان الحرام

فاعلم أنه ليس في العالم أحد يثبت لله شريكًا يساويه في الوجوب والعلم والقدرة والحكمة غير أن الثنوية يثبتون زعمًا إلهين حكيمًا يفعل الخير وسفيها يفعل الشر أما اتخاذ معبود سوى الله فكثير فالفريق الأول عبدة الكواكب وهم الصابئة قالوا الله خلق الكواكب مدبرات للعالم فنعبدها ونعبد الله تعالى والفريق الثاني عبدة المسيح صلى الله عليه وسلم والثالث عبدة الأوثان فدينهم الباطل أقدم إنما أرسل نوح عليه السلام للرد عليهم ﴿**وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا**﴾[774] فبقي دينهم إلى الآن فمن صمم على مثل هذا الدين الأعصر المتطاولة لا ينفك منه غالبًا إلا بقوة إلهية لكن إذا نظر إلى نفسه وإلى حجرة صنمه تتبين له بالبداهة أنه ليس هو خالقه ولا خالقًا للعلويات والسفليات فكيف يطبق الجمع العظيم على هذا الفساد والخلل وهم يعقلون الأمور فما ذاك إلا أنهم لهم غرض غيره فأحد أوجه أغراضهم يعلم بأن أهل الصين والهند كانوا يقولون بالله وملائكته واعتقدوا أن الله في زعمهم الباطل ذو صورة أحسن ما يكون من الصور كالملائكة

---

[774] نوح 23

وقالوا حجبتنا السماوات عن صورهم فوجب علينا أن نصوغ التماثيل أنيقة المنظر على صورة ما زعمنا وظننا من صورة الإله وملائكته فنعكف على عبادتها لطلب القرب إلى الله وإلى ملائكته فعبدوا الصور تشبيهًا بصورة الله فهذا اعتقاد التشبيه فنعوذ بالله منه والوجه الثاني أنهم رأوا تغيرات الدنيا متعلقات بالكواكب فاعتقدوا أن السعيد والنحس بكيفية وقوعها في طوالع الناس فبالغوا في تعظيمها فمنهم من اعتقد أنها واجبات الوجود لذاتها فهي التي خلقت العوالم ومنهم من اعتقد أنها مخلوقة لله الأكبر لكنها هي التي خلقت غيرها فهي واسطة بين الله والبشر فعبدوها وخضعوا لها فلما استترت عنهم في بعض الأوقات اتخذوا لها صورًا منحوتة أصنامًا فعبدوا تلك الصور قاصدين التقرب بها إلى الكواكب العاليات الغائبات فلما طالت المدة تركوا الكواكب وذكرها وعبدوا الأصنام لذاتها فهم في أصلهم عباد الكواكب وثالث الأوجه أن أصحاب الأحكام يرتقبون أوقاتًا في السنين المتطاولة نحو الألف والألفين فزعموا أن من اتخذ طلسما في ذلك الوقت على وجه خاص انتفع به في سائر الأزمان سعادة وخصبا ودفعا وجلبا فعظموا الطلسم لأنه في زعمهم نافع فأفرطوا في تعظيمه فصار كالعبادة فنسوا مبدأ الأمر فقصدت عبادته ورابع الأوجه عندهم أنه متى مات رجل صالح عندهم تستجاب دعوته وشفاعته عند الله اتخذوا صنمًا على صورته وعبدوها على أن صاحبها يشفع لهم يوم القيامة عند الله ﴿**وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ**﴾[775] وخامس الأوجه أنهم اتخذوا الصور قبلة لصلاتهم وطاعتهم ويسجدون إليهم لا لهم كما أنا نسجد إلى القبلة لا لها فلما طال الأمر ظن الجهال وجوب عبادتها وسادس الأوجه أنهم مجسمون فاعتقدوا جواز حلول الرب فيها فعبدوها فلما عظموها وسموها آلهة أشبهت حالهم من يعتقد أنها آلهة مثله تعالى قادرة على مخالفته

---

[775] يونس 18

ومضادته فقال لهم متهكمًا عليهم بلفظ الند الذي لم يقل به أحد من أصول الفرق مشنعًا عليهم ومستفظعًا شأنهم بأن جعلوا أندادًا كثيرة لمن لا يصح أن يكون له ند واحد عقلا فلا يفيد في طريق الله إلا الحنيفية والإخلاص ورفع البين والوسائط فلا يعبد إلا الله ﴿**لَا تَتَّخِذُوا إِلَـٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ**﴾[776] ردًا لمن يزعم وجود الآلهة الصغار مع الإله الكبير فالأنبياءُ مطاعون بالله فلا يعبدون كالأولياء والعلماء والأمراء وإنما يطاعون في الطاعة فما سوى الله من الأسباب والوسائط والمظاهر والآلات مخلوق لا تقصد عبادته ولا تعظيمه تعظيمًا زائدًا عن أصله العبد فاليونانيون قبل الإسكندر يعبدون الهياكل معروفة لهم بأسماء القوى الروحانية والأجرام النيرة فاتخذوها معبودة لهم على حدة فهيكل العلة الأولى الأمر الإلهي عندهم وهيكل العقد الصريح وهيكل السياسة وهيكل النفس والصور مدورة كلها فهيكل زحل مسدس وهيكل المشتري مثلث وهيكل المريخ مستطيل وهيكل الشمس مربع وهيكل الزهرة مثلث في جوفه مربع وهيكل عطارد مثلث في جوفه مستطيل وهيكل القمر مثمن فلما ترأس زيد بن عمرو بن لحي العربي وولي أمر البيت الحرام سافر إلى البلقاء فرآهم يعبدون الأصنام فقالوا له هم أوثان نستنصر بها ونستسقي بها فنسقى فأعطوه الصنم هبل فوضعه في الكعبة وأمر بتعظيمه فعظموه ومن الأصنام غمدان الذي بناه الضحاك على اسم الزهرة بصنعاء وخربه عثمان ابن عفان ومنها نوبهر الذي بناه متوجهير الملك على اسم قمر فللعرب ود ودومة لكانت وسواع لبني هذيل ويغوث لمذحج ويعوق لهمدان ونسر لحمير لذي الكلاع واللات بالطائف لثقيف ومنات بيثرب للخزرج والعزى لكنانة بنواحي مكة وإساف ونائلة على الصفا والمروة وكان جد رسول

[776] النحل 51

الله صلى الله عليه وسلم قصي ينهاهم عن عبادتها ويدعوهم إلى عبادة الله كعمر بن نوفل حين فارق قومه فقال

أربًا واحدًا أم ألف رب * * أدين إذا تقسمت الأمور
تركت اللات والعزى جميعًا * * كذلك يفعل الرجل البصير

ولما قرر الوحدانية وبين الطريق الموصل إلى العلم بها ذكر الحجة على نبوة محمّد صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم المعجز بفصاحته الغالبة كل بليغ مع كثرتهم وإفراطهم في المضادة وتهالكهم على المغالبة فقال ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ في شك ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾ محمّد أنه من عند الله ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾ فالقرآن المنزل نزل منجمًا شيئًا فشيئًا على حسب الوقائع فشابه لهم الخطب والأشعار في التنجيم فرابهم فقالوا ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾[777] فتحداهم[778] بإزالة هذه الشبهة الراسخة في عقولهم فقال تحديًا إن ارتبتم بتنجيمه فأتوا بسورة وهي طائفة من القرآن أقلها ثلاث آيات التي لها أول وآخر فحكمة تقطيع القرآن سورًا إفراد الأنواع وتلاحق الأشكال وتجاوب النظم وتنشيط القاري وتسهيل الحفظ فإن ختم سورة فرج عنه كربة فانتقل بالهمة إلى غيرها وظن أنه أخذ بحظ وافر من الكتاب كالمسافر إن قطع مثلا ميلاً ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾ بسورة كائنة من مثله أي المنزل فمن للتبعيض أو البيان فالكلام في المنزل لا في النبي المنزل عليه لأن القرآن معجز بنفسه ﴿لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾[779] فالإعجاز إنما يكون بالذوق السليم لمن وصل نهاية الفصاحة والبلاغة فهو الذي يعرف وجه إعجازه ذوقا ضروريًا بحيث إذا

---

[777] الفرقان 32

[778] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة حداهم

[779] الإسراء 88

سمعه الفصيح والبليغ علم أنه لم يأت على أسلوب الخلق فيذعن له قهرًا إن فارقه العناد فهو معجز معنًى ولفظًا وخطاً فأساليب القرآن على غير أسلوب العرب فاللفظ عربي وأسلوبه معجز فلا يقدر عربي سليم أن يعارضه لعلمه أنه لا يطاق فإنه جاء على أساليب ألسنة العرب من كناية واستعارة وحقيقة ومجاز وزيادة النظم الغريب الذي يعلم البليغ أنه ليس في طوق مخلوق أن يأتي بأقل منه لا أن الله صرفهم على المعارضة مع قيام القدرة فيهم فليس بشيءٍ بل نظم القرآن محير الفصحاء والبلغاء ويصيرهم عاجزين عن أساليبه فكلام الله صفته وهي في غاية الكمال ونهاية الجلال فالقرآن في غاية البلاغة والكمال والجلال فالحاكم هو الذوق فقط فلما أعجز أهل زمان نزوله أعجز الكل فجميع العلوم الكلامية وغيرها إنما تستفاد من القرآن فالقرآن صدق وقالوا أحسن الشعر أكذبه فلما أسلم لبيد بن ربيعة وحسان بن ثابت ترك شعرهما فلا يتفق الفصيح إلا في بيت أو بيتين فالقرآن كله فصيح فالقرآن اقتصر على إيجاب الواجبات وتحريم المنكرات والحث على مكارم الأخلاق والزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة وهو كله حقائق شرعية فضاق عطن البلاغة في هذه المواد فشعر امرء القيس قوته في النساء وصفة الخيل وشعر النابغة عند الحروب وشعر الأعشى عند الطرب ووصف الخمر وشعر زهير عند الرغبة والرجاء فالقرآن فصيح في كل فن من فنون الكلام فهو أصل كل علم من فقه ونحو وبيان وتصريف إلى آخر العلوم كلها وقال على عبدنا إشارة إلى أنه استكمل العبودية فقول النبي فأْتوا بسورة هو التحدي ومعناه إني خصصت من الله بمزيد كرامة وجعلني واسطة بينكم وبين هدايتكم ف﴿**اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾[780] وإن ارتبتم فانظروا ما أقدرني الله عليه فلم تقدروا عليه لعدم إقداره تعالى لكم لتعرفوا أني خصصت بمزيد الإفضال عند ربي وهو آية صدقي

[780] غافر 38

فيما أقول فمن شرح الله صدره للخير آمن به واتبعه ومن ضيق الله صدره وحرجه صار كأنما كلف أن يصعد إلى السماء فلا يؤمن ولا يسمع ولا يسلم له فالقلوب كلها بيد الله تعالى فإلى المشيئة يستند كل شيءٍ ولا تسند هي إلى شيءٍ فمن خلقه لدولة أسماء جماله انشرح صدره ومن خلقه لدولة أسماء جلاله انقبض وانعكس وطرد وخذل فهذا بحر الحقيقة التي يرجع إليها بعد صدور ما أوقعه الله بالعبد ومنه تعلم أنا لم نكلف إلا بالظواهر فالعبد مختار ظاهرا يختار أي طريق شاء فلا تعرف الحقائق إلا بعد وقوع الحكم على العبد بصدور ما يسعده أو يشقيه فيقال له بعده لم فأنت عليه سعيد أو شقي

ثم إن كل ما يجوز أن يكون معجزة لنبي جاز أن يكون كرامة لوليّ فيتحدى بولايته المكتسبة من نبيه فلا تشترط المقارنة والفرق بين الولي والنبي أن الولي يتحدى بولايته والنبي بنبوته فهذا الفرق لا غير كما يجوز أن يعلم الله نبيا بأنه نبي كذلك يجوز أن يعلم الله وليًا أنه ولي فالولاية لا تزاحم النبوة أبدًا فلا يتصور فالولي يأتي بفهم جديد من الشريعة معناه أن الله يلبس حكمه وكلامه بألباس غيره أن تصل العامة جميع أسراره لئلا يمتهن ويبتذل عند كل أحد فيزيل الله بعض الألباس لبعض أحبابه الأولياء وهو الكشف لا غير فيخبر به وهو علم الباطن من الدليل المشرف بتلك الالباس فإذا أزال كل ألباس على دليل واحد لمن أحبه قدر بالله أن يحيي بما أدركه في دليل واحد الأحكام الشرعية فيفوه بما لا تفهمه منه الأجلة الأعلام فينكرون عليه بوجه الجهل بما أدركه وسلمه له من أراد الله أن يواليه ويصافيه فلا يسلم للأولياء إلا من كان منهم في علم الله فالشقي في علم الله لا يصفو له نفس واحد بينه وبين ربه وإن كان يصلي بل يحرج صدره ويضيق بما سمعه من كلام الأنبياء والأصفياء الأولياء فمن صفي له نفس واحد في عمره علم قطعًا أنه سعيد ولي الله فإذا علمت بأن الله هو

الملك الخالق المالك القاهر الفاعل وبأن غيره مفعوله نعمته ومقهوره وأن الكون من حيث هو مقبوض بقبضة يديه وبأنه لا تدرك ماهيته تعالى على الإحاطة وأنه أحد واحد صمد ﴿**لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾[781] وأن الأمر بيده تعالى وأن نبينا سيدنا محمّد رسوله الكريم وبأن ما أنزل عليه حق من ربه فلم يحصل لك فيه شك ولا وهم ولا ظن بل صدق كله وعلم كله وفرح كله وانشرح صدره بحب ربه ونبيه وحكمه فامتثل ظاهرًا وباطنًا ورضي بحكم ربه دل ذلك على أنه ولي الله تعالى وصفيه ويجوز أن يعلمه ربه على أيدي أنوار نبوة رسوله بأنه ولي فيتحدى بها جوازًا أو ندبًا أو وجوبًا كقصد إبطال شبه خدام الشياطين لنصرة دين الإسلام أو لنصرة مسلم: من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل[782]، فالنفع مأذون فيه بما أمكن والضرر منهي عنه بما أمكن فالتحدي سبب أجراه الله علامة على تصديق أصفيائه فالله قادر على أن يوصل بلا سبب لكن تفضل بالأسباب لتنطبق عليها الشرائع فلا يستلزم أن تكون للعبد قدرة مستقلة يقع التحدي عليها لا حول ولا قوة لأحد أيًا كان إلا بقدرة الله فقدرة العبد منفية استقلالا ومثبتة بالله فالعبد قادر بالله على ما أقدره الله عليه لا على غيره ﴿**وَادْعُوا**﴾ للمعارضة من حضركم أو رجوتم معونته من إنسكم وجنّكم وادعوا آلهتكم التي تعبدونها غير الله وتزعمون أنها تشهد لكم يوم القيامة فاستعينوا بهم على أن تأتوا بمثل أقصر سورة كالكوثر فلا تجدون عند غير الله نفعا ولا ضرًا فارتدعوا وتوبوا مما توهمتم من القدرة والاستعانة بغير الله فالشهيد الحاضر من تحت الله وهو كل خلقه دونه رتبة وهو الفاعل ودونه مقهور بحكمه ﴿**إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ في أن محمّدا صلى الله عليه وسلم إنما يقوله من عند نفسه وإن آلهتكم

[781] الإخلاص 3 و4

[782] مسلم والنسائي وابن ماجه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما

تشهد بذلك ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ أبدًا فإن القرآن معجز أبدًا كل خلق الله ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ اجعلوا بينكم وبين النار وقاية الإيمان والأعمال الصالحات ﴿الَّتِي وَقُودُهَا﴾ ما تتقد بها ﴿النَّاسُ﴾ الكافرون ﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ الأصنام المنحوتة المعبودة فكل معبود من غير الله في النار إهانة للعابدين وتعذيبهم بهم حيث كانوا لهم حطبًا لنارهم فيزيد عذابهم ونكالهم وفساد ماهم عليه ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾[783] إلا الصالحين من عيسى والعزير وكل مؤمن فالمعبودات وإن كانت في النار لا تعذب ولا تمتهن كزبانية النار مثلا فإنهم الملائكة الكرام لا يتعدى إليهم العذاب كالسجان للملك مثلا فإن ما هو عليه خطة سلطانية لا غير فلا إهانة فيها وإنما عذبوا بمنشإ جرمهم كما عذب الكانز بكنزه فالجزاءُ من جنس العمل كصبي مثلا أوقد نارًا للإفساد يكوى بها لينزجر كما يعذبون بأحجار الكبريت فأل في النار للعهد من سورة التحريم وهي ﴿نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[784] ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ جعلت معدة وعدة وهي مخلوقة الآن لا أنها تخلق لهم في المستقبل فلم يعارض أحد القرآن فما اختلقه المتنبئون لم يقصدوا به المعارضة بل قصدوا أهواء نفوسهم فسموه كتابًا منزلاً عليهم فافتضحوا به فلم ينقل أنه قصد جني ولا إنسي معارضة لقوة صولة فصاحته وبلاغته فلو أتى أحد بجملة واحدة لضحكت الكفار ففي الآيتين دليلان على نبوته صلى الله عليه وسلم فتحديه على الجد يوجب أنه علم أنه نبي لئلا يفتضح لكثرة فصحاءِ قومه والثاني أنه علم بالله غيبًا أنه لا يقدر أحد أن يعارضه ولا أن يقصده وهو أدل دليل على نبوته وصدقه فلو شك في نفسه لما بالغ في التحدي وطلب المبارزة فمن علم أنه فشل في الحرب لا يطلب مبارزًا فعلمنا بالتواتر أن العرب تعاديه وتقصد

[783] الأنبياء 98

[784] التحريم 6

إخماد دينه فأحجموا عن المعارضة لما دهمهم من صولة أساليبه فظهر كونه معجزًا وكونه نبيًا فقد قرعهم بـ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ دليل على تمام عقله فلو ضعف عقله لدهش في مثله فسبب قوته على التقريع قوة إيمانه أنه نبي وأنه من الله وأن الله غالب على أمره ناصر لدينه ولنبيه فلن تفعلوا يدل على أن القرآن معجز إلى قيام الساعة وهو إخبار بالغيب فجملة ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ اعتراضية ثم شفع الترغيب بالترهيب تنشيطا لاكتساب ما ينجي وتثبيطًا عن اقتراف ما يردي بقوله ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الطاعات ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ حدائق ذات أشجار ومساكن فالبشارة الخبر السار للأول فلو قال من بشرني بقدوم ولدي أعتقته عتق الأول فلو قال من أخبرني فأخبروه عتقوا جميعا أمر الله النبي وعلماءه إلى قيام الساعة أن يفرحوا المؤمنين فالإنذار لا يستحقه إلا كافر فلم يقل أبشروا إيذان منه تعالى بأنهم أحقاءُ أن يبشروا ويهنئوا بما أعد لهم كالعروس إذا بني فإنه يهنأ بما أكرم به من الله فإذا سرت النفس انتشر الدم في العروق انتشار الماء في الشجرة ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[785] تهكم إن لم يكن مطمئنا بفعل ربه ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[786] تهكم باعتباره عند ربه في نظر خلقه وباعتباره مع قومه فهو عزيزهم وكريمهم وإن نظرت الحقائق فقط فالكل مقدس بالله لكن كلفنا بالشريعة وإن نظرت إلى الخلق بعين الحقيقة عذرتهم وبعين الشريعة مقتهم فالكل بالله فلا يستعذر المكلف بالحقيقة فإنها بنت الشريعة فالأم مقدمة على الولد فالجنة والنار مخلوقتان الآن فمنها خرج آدم قال صلى الله عليه وسلم: رأيت الجنة فتناولت منها عنقودًا ورأيت النار فلم أر كاليوم منظرًا قط[787]، وهو دليل وجودهما فلا يستحق العبد على ربه ثوابا ولا عقابا وإنما هو امتنان وعدل وعليه

---

[785] آل عمران 21 والتوبة 34 والانشقاق 24

[786] الدخان 49

[787] البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه

الأشاعرة والماتريدية رؤساء أهل السنة بعدهم استحقاقا عقليًا وفحول المعتزلة على أن العبد يستحق إن لم يبطله بالكفر والكبائر وبالندم على صدور الطاعة منه ومن ترك المعصية كمن ضاهاهم [قلت] لعل وجه شبهتهم أنه ركز بالأدلة الشرعية في نفوس الخلق أنه يثيب من أطاعه ويعاقب من عصاه إن لم يعف ولم يتب حتى صار كالدليل العقلي ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[788] فلا يحبط الطاعة إلا الكفر فحذفه هنا للعلم به فمن أحال الإحباط بالكفر بطل مذهبه فإن الأمور بخواتمها: إن العبد ليعمل عمل أهل النار وهو من أهل الجنة ويعمل عمل أهل الجنة وهو من أهل النار[789]، فالإيمان أس والعمل بناءٌ فقل انفرادهما فلا تتم الفائدة إلا بهما فالعمل غير الإيمان إذ لا يعطف الشيءُ على نفسه ولا على ما هو داخل فيه. فجمع الجنات لأنه عن ابن عباس سبع جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفي كل مراتب ودرجات متفاوتة على حسب العمال والأعمال فـال في الصالحات للجنس فلايستغرق المؤمن كل طاعة إلا بالنية فاللام في لهم لاستحقاق الإيمان والأعمال ذلك فلا يستحق المؤمن لذاته شيئا فإن نعمة الإيجاد والإمداد والتوفيق لا يعادلها شيءٌ لكنه وعد من الله إن استمر عليه للموت ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾[790] فلعلمه من هذه لم يقيدها تعالى ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا﴾ تحت أشجارها ومساكنها ﴿الْأَنْهَارُ﴾ جمع نهر بالفتح أو بالسكون وهو المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر والإسناد مجازي وهي تجري في غير أخدود وهو الشق المستطيل هم ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا﴾ فابتداءُ الرزق

[788] الزمر 65

[789] البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه

[790] البقرة 217

من الجنة وابتداؤه من الجنة من ثمرة **فمن** للابتداء أو للبيان كرأيت منك أسدًا ونكر الثمرة ليعم جنس الثمار

﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ فالمحل محل الحقائق لا المجاز ولا الكذب فيفيد هذا عينية النعمة ذاتا وصفة ولونا وطعما فإن نعم الجنة على خرق عوائد نعم الدنيا ﴿**لَا مَقْطُوعَةٍ**﴾ من محلها ﴿**وَلَا مَمْنُوعَةٍ**﴾[791] من الاقتطاف والأكل فالآكل يأكل حبة عنب وانتفع بها وهي باقية بذاتها في محلها فله لا تؤثر في الآكل وتخرج حشاء وعرقا غير سائل به هو ريح طيبة كالزوجة يفتضها وهي بكر أبدًا لا تزيد ولا تنقص فلا زيادة ولا نقص ولا تغير في العوالم التي خلقت للخلود كالجنة فلو قبلت التغير لخرجت عن الخلود وما ورد من تبديل النعم إنما هو باعتبار نظر الراءي فمن تمنى لباس ثوب دخله وخرج به وهو في محله ثابتا أبدًا فهذا هو عين الخلود فلا يعدل عن الحقيقة إلا لمانع لا وجود له هذا الذي نص في عدم تغير نعم الجنة فإن مراتب الجنة إنما هي أخلاق المؤمن والنعم أعماله في الدنيا فكلها ثابتة بالموت لا تزول فالجنة ثمرة واحدة من شجرة الإيمان وفي وسط زمن الإيمان أخلاق وأعمال ونيات فليس عين ما يفهمه الناس من أنها تؤكل نعمة فتضمحل بالأكل فتنبت أخرى في وقته كالأندلس مثلاً فنساءُ الجنة لا يمكن شرعًا أن ترى رجلاً غير زوجها للحجاب الإلهي كما حجب بيننا وبين الأرواح والملائكة كالرجل لا يمكن أن يرى زوج غيره البتة ولو جلس في حجرها مثلا وحجرتها فيجلس الرجل في وسط دولته ومعه ما لايعلمه إلا الله من نسائه فهو ينظر إليهن ويتمتع بجميعهن نظرًا وجماعًا في نفس واحد ويجد لكل واحدة لذة ما لا يجد للأخرى ويتمتعن به كل واحدة بانفرادها ولا ترى واحدة شريكتها البتة بل كل واحدة تزعم أنها مختصة به إزالة للغيرة وسترًا للحقائق فالمؤمن الكامل إيمانه كالإنسان الكامل

[791] الواقعة 33

يستغل نعم الجنة من حيث هي غير ما اختص وانفرد به أهل مراتب الأخلاق فإن خلق زيد لا يكون خلق عمرو أبدًا فالحقائق لا تتبدل ولا تتكرر أبدًا للأسماء الإلهية فإن كل اسم غير الآخر فهذا لا يراه كذلك إلا المكاشف من الدليل فالألباس الموضوعة على هذا الذي هو ما تجلى به الحق من فهم التشبيه لئلا تنفر العامة مما لا يألفون ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ يعني في أزمنة الخلد أو هذه النعم مرتبة على ما رزقنا من الإيمان والأعمال في الدنيا فهذه النعمة هي عين أعمالنا لبدوّ الحقائق به فالآخرة دار ترتبت عن الدنيا فهي ليست عينها ولا غيرها ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾[792] كما تبدل ذواتنا غير ذواتنا وهي في الأصل عينها: فالآخرة أقرب إليك من شراك نعلك، فعملك الممزوج بنيتك الصالحة أقرب إليك لأنه صدر وثبت من إنسانيتك والشراك مفصول عنك فالجنة بالفضل وتقسم بالعمل فالأخلاق هي الأبنية والأعمال هي النعم فالجنة فضاء أعدت لبناء المتقين وغرسهم والنار فضاءٌ ممتلىءٌ نارًا أعدت لبناء وغرس الكافرين فتدخل بالعدل وتقسم بالأعمال والأخلاق ويخلد فيهما بالنيات فالمؤمن لا ينوي المعصية ولا الإصرار عليها فله ألا يخلد فيها وإن دخلها تطهيرًا له وتشريفًا ليصلح لدار القدس فمن طهر نفسه زمن التكليف بالتوبة نجى منها ومن لا طهر بالنار لا غير فلم يقصد في المؤمن إلا تطهيره فإنه لا يتصور أن يقصد مخالفة ربه فلا يعصي إلا الدليل لا الله إلا بعد تأويل بعيد لا ينفعه وهو أن الله غفور رحيم فيعد نفسه بالتوبة ﴿وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ يأتي الولدان والملائكة بالمرزوق متشابهًا متناسبًا يشبه بعضه بعضًا لونًا وصورة لا طعمًا فالخير الصادر من العبد في الدنيا ذات واحدة كله خير طاعة فبقدر تنوع الطاعات تتنوع أذواق نعم الجنة فالجنة واحدة والطاعة واحدة فوجه التشابه والتناسب من حيثية جنس الطاعة فاللون واحد والطعم مختلف بحسب لذات

---

[792] الرعد 48

معرفة الله في الطاعات قال صلى الله عليه وسلم: **والذي نفس محمّد بيده إن الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي واصلة إلى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها**[793]، فمكان النعمة ذات العبد ومثلها طاعة أخرى فالنعم من أنواع الطاعات فالعبد الكامل لا يضيع له نفس واحد وهو ﴿**فَإِذَا فَرَغْتَ**﴾ من الأحكام واستنباطها في الأدلة ﴿**فَانْصَبْ**﴾[794] فاتعب في الاستغراق والانقطاع لربك بالطاعات والنيات والتهجد والتبتل بترتيل آياته وترتيب أدلته وبالإقبال إليه بالإدبار عن الكونين تعويلا واعتمادًا وميلا وشوقًا فاتعب في حضرة الفناء الصرف وهو: لي ساعة لا يسعني فيها غير ربي، وهي ساعة النصب وهي ساعة تفانت فيها المألوفات والمحدثات وتبرجت فيها حقيقة من لا مناسبة بينه وبين العبد إلا الإفضال فقط فكما لا يتصور انقطاع طاعات العبد الكامل كذلك نعمه لا مقطوعة ولا ممنوعة فنخل الجنة نضيد من أصلها إلى فرعها وثمرها أمثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى والعنقود اثني عشر ذراعًا فإنه في الدنيا كلما فرغ من طاعة ﴿**وَلَهُمْ**﴾ في الجنة ﴿**أَزْوَاجٌ**﴾ حور وآدميات فالآدميات أجمل من نساء الجنة يعني الحور كل رجل يزوج بأربعة آلاف بكر وثمانية آلاف أيم ومائة حوراء كما ورد يعني أقلهم بدليل الكلية فلا نهاية لا على المؤمنين مرتبة ﴿**مُطَهَّرَةٌ**﴾ مما يستقذر كالحيض والغائط والبول والصنان وغيره ودنس الطبع وسوء الخلق وهن مقدسات ومنزهات فلا يعرض لهن لأنهن في حضرة القدس والخلد فمطاعم الجنة ومناكحها وسائر أحوالها إنما تشارك الدنيا في بعض الصفات والاعتبارات والأسامي استعارة وتمثيلا لا في حقيقتها حتى تستلزم ما يتأثر من نعم الدنيا فالجنة موجودة مسورة فيها أبنية وأشجار وقيعان تقبل الزيادة بالأعمال

---

[793] الطبراني والحاكم عن ثوبان رضي الله عنه

[794] الشرح 7

الصالحات فما من مؤمن ولا كافر إلا وله موضع في الجنة والنار أي صالح لهما فإذا دخل مؤمن الجنة أعطي محل كافر أو أكثر فإذا دخل كافر النار أعطي محله ومحل مؤمن أو أكثر من النار فالأعمال هي التي يبني بها في الدارين وهي كاللبن من فضة أو ذهب أو ياقوت فنعم الجنة متلذذ بها فقط لا أنهم مضطرون كنعم الدنيا لها فكل ما يضطر له بحيث إن لم يفعله تضرر فإنما هو دواءٌ لا لذة عند العقلاءِ كنعم الدنيا من كل مشروب ومأكول ومركوب ومنكوح إلى آخرها فإنما يقصد بها دفع ضرر كزاد مسافر قصد به الاستعانة على السفر فقط فالدنيا كلها سفر للآخرة كمستظل تحت شجرة حتى يستريح فيسافر فاللذة في الدنيا محصورة في معرفة الله بوجدان العلم بالله تعالى فله تجد العارف العاقل لا يميز بين نعم الدنيا فكل ما وجده حلالا تناوله بالله لله فكل ما على التراب تراب فالدنيا إنما هي موسم معرفة الله بالتغيرات ﴿**لَا أُحِبُّ الْآَفِلِينَ**﴾[795] فالسماوات والأرضون وأهلها آفلات فالمحبوب هو الله فقط وتحب أفعاله لذاته وتكره تبعا للأمر والنهي ظاهرا وأما في الحقيقة فالكل مراد لله محبوب له من حيث الإيجاد فالجنة والنار مخلوقتان بعد الدنيا بتسعة آلاف سنة فدليل وجودهما ﴿**أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[796] و﴿**أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾[797] وسكنى آدم الجنة مع زوجه وخروجهما منها إلى دار الخلافة أفضل منها لكونها دار عمل ومعرفة بالتغيرات. يفتح للمؤمن في قبره كوة فينظر فيها إلى الجنة ويدخل عليه من روحها ونعيمها ويفتح للكافر كوة إلى النار فيدخل عليه من حرها وسمومها كحديث: **لما خلق الله تعالى جنة عدن بيده ودلى فيها ثمارها وشق فيها أنهارها قال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون**[798]، وكحديث

---

[795] الأنعام 76

[796] آل عمران 133

[797] آل عمران 131

[798] الطبراني في الأوسط عن ابن عباس رضي الله عنهما

رأيت الجنة والنار في عدة أحاديث لكنه لا يكمل بناؤها إلا بانتهاء زمن التكليف فإنما يبنيان من أعمال المكلفين خيرًا وشرًا: **إن الجنة عذبة الماء طيبة التربة وإنها قيعان وغراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**[799]، فالقيعان موضع البناء بالأعمال فمن نظرها خارج السور قال كاملة ومن دخلها رآها ناقصة إلى تمام التكليف: **من صلى كل يوم اثني عشر ركعة بنى الله له بيتًا في الجنة**[800]، فالدنيا أكمل نشأة من الآخرة فهي دار تمييز واختلاط وتكليف والآخرة دار تمييز فقط فلا تشريع فيها والبرزخ من الموت إلى القيامة وإلى دخول الدارين له وجهان وجه إلى الدنيا فيثاب على أعماله كأهل سجدة الأعراف أمروا بها فترجحت بها موازينهم إلى الجنة ووجه إلى الآخرة فلا يعاقبون إن تركوا صلاة مثلا في قبورهم ومنشرهم وأثيبوا فيها إن صلوا فتحصل أن العبادة فيها ندبية أثيب ولا عقاب فالدنيا أم نبينا وأم الأنبياء وأمنا جميعا فتعين به البرور بطاعتها بطاعة الرب فيها وتعظيمها بعدم سبها ولعنها فما أطاع أمنا إلا القليل فالدنيا ملعونة ملعون قلب من اشتغل بها عن ربها وإنما هي مطية المؤمن ساجنة له عن الهوى بحيث يشتغل بكسبها لينفقها في مرضاة الله تعالى وإنما لعنت في حق كافر فلا تساوي عند الله جناح بعوضة كغيرها من الحقائق لاستواء المفعولية في نظرنا عند النسبة إلى الله فمن لعن الدنيا أمه فقد عق الأم الأصلية كمن سب حواء ظانًا أنه لا يضره فهو حمق الحديث: **الدنيا مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر**، ففيها أنزل الله الأوامر الإلهية المسمات بالشرائع فلا يفتح الطفل عينه إلا على أمه فيحبها ويميل إليها طبعًا فلا تحب الدنيا انتساب أولادها إلى الآخرة فإنها لم تلدهم ومن العقوق نسبة الشرور لها والانكاد فهي أحوالنا لا أحوالها كنسبة الخير إلى الآخرة

[799] الطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه

[800] الطبراني عن أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها

على أنهم ما عملوا إلا في الدنيا أمنا فمصيبة أولادها عليها فإنها الأم فالنار سجن الله في الآخرة يسجن فيها المعطلة والمشركين والكافرين والمنافقين أبد الأبدين ودهر الداهرين

﴿**وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا**﴾[801] وأما أهل الكبائر من الموحدين فيسجنون ما شاء الله تطهيرًا لهم ثم يخرجون فسميت جهنم لبعد قعرها بئر جهنام إذا بعد قعرها وهي مشتملة على حرور وزمهرير وهو البرد على أقصى درجاته وبين أعلاها وأسفلها خمس وسبع مائة من السنين فحرها هواءٌ محرق لا جمر سوى الكفار والأصنام ﴿**وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾[802] فالجن لهيها فطبعها الجوع والعطش فإنها خلقت من تجلي جعت فلم تطعمني ومرضت فلم تعدني وظمئت فلم تسقني[803] فتجبرت على الجبارين وقصمت المتكبرين فآلامها من صفة الغضب فلا تحمل الآلام إلا بعد دخول الكفار لها وقبله فلا ألم في نفسها ولا في نفس ملائكتها بل هي وزبانيتها في رحمة الله متمتعون متلذذون يسبحون الله لا يفترون فالكافر منذ خلق كحجرة ملقاة في جهنم يصل محلها مع عمره فهو عليه الآن يتجرجر فيها حتى يموت فعذابها من أعمال الداخلين لا منها فالنار من الكافر وبأعماله يوقدها فطبع الكافر الآن هارب ومعه ينشها فحدها بعد الحساب من مقعر الفلك فلك الكواكب الثابتة إلى أسفل سافلين زيادة على ما هي عليه الآن حيث لا مخلوق فيها فما ذكره الشارع أنه ينضم للجنة فذاك وإلا فهو ينضم إلى جهنم ﴿**وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ**﴾[804] أوقدت نارًا سجرت التنور أوقدها فأشد المعذبين إبليس أحرقه الله بأصله بقدرته فدرجات الجنة مائة

---

[801] الإسراء 8

[802] التحريم 6

[803] مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه

[804] التكوير 6

كدرجات النار فلكل درك آلام مخصوصة فيختص الله برحمته من يشاءُ ولم يرو أنه يختص بغضبه من يشاءُ ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾[805] للأيمة المضلين وهو ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَ أَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾[806] فأبوابها سبعة باب الجحيم وباب سقر وباب السعير وباب الحطمة وباب لظى وباب الحامية وباب الهاوية فبين في كتابه أهلها ففي باب الجحيم الذين يكذبون بيوم الدين ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾[807] ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾[808] ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾[809] وفي أهل لظى ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَوَتَوَلَّى﴾[810] ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾[811] ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾[812] فأول طعام أهل الجنة كبد الحوت في المرج من الجنة وأول طعام أهل النار طحال الثور فيكرم الله العصاة من الموحدين بالإماتة ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ دائمون أحياءً لا يموتون فالخلود هنا الدوام الأبدي بإجماع من الآيات والسنن فالخلود عند أهل السنة الثبات المديد دام أم لا وعند المعتزلة الدوام وإنما أحوج أهل السنة إليه ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾[813] فخافوا أن يكون أبدًا تأكيدًا لا تأسيسا فالأصل التأسيس فالنشأة الدنيوية قابلة للتمزق والانفكاك والنشأة الآخرة قواها القدير فلا تقبل إلا الخلود فإنها ما خلقت إلا له فمعظم اللذات الحسية على المطاعم والمشارب

---

[805] النحل 88

[806] العنكبوت 13

[807] المدثر من 42 إلى 45

[808] الملك 5

[809] الهمزة 1

[810] المعارج 17

[811] الملك 6

[812] القارعة 9

[813] النساء 57

والمناكح والمساكن فله بشر الله المؤمنين بها خلودًا لئلا يتنغصوا بخوف الزلازل فلما ضرب مثلا بالذباب والبعوض قالت اليهود ضرب المثل به مما يستحي منه ظانين وجود الحقير في مصنوع الله وتقدم لنا أن كل ذرة عليها اسمه تعالى فعظم أمرها بالأسماء فالأسماءُ كلها عظيمة ولا حقير في مقدوره تعالى فله قال ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ لا يترك فأطلق الاستحياءُ على لازمه الترك مجازًا وأطلق الضرب على الجعل فما حرف منبه عن وصف لائق بالمحل صغيرًا فما فوقه إن الله لا يترك أن يجعل مثلا شيئًا صغيرًا بعوضة وهي النمس فالبق يطلق على الأحمر المنتن وعلى النمس فالنمس عجيب الخلقة له ستة أرجل وأربعة أجنحة وخرطوم طويل وذنب ويقتل الجمل بمنقاره وهو قاتل النمروذ ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ كالجمل والحبل ردًا لليهود حيث قالوا إن الرجل منا يستحي أن يضرب مثلا بعوضة وذبابًا لخسة ذلك رائمين أنه ليس من عند الله بل كذب عن الله فبعوضة مفعول ثان ليضرب بمعنى جعل أي أن يجعل مثلا بعوضة أو بدل من مثلا فلا يوجد في كتاب الله زائد فمعناها عند من أطلقها إفادة معنى زائد يراد فيه مع ما بعده وهو هنا إرادة الوصف اللائق بالمحل وهو صغير في نظر الأصاغر كبير في نظر الأكابر فإن البعوضة مع صغرها اشتملت على ما اشتمل الفيل وأعظم منه فإتقان الصنع فيها أبين للأكابر فهي وطب التمييز والعلم والإلهام الرباني وله قال تعالى ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾[814] أوصل له العلم بسرعة وخفاء فتتقن ما لا يتقنه فيل وغيره فالحقائق من حيث هي مظاهر أسماء الله فهي للأسماء كالكراسي العظام ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾[815] فالاسم الواحد أعظم من الكون فادخل هنا في مخدع معرفة ربك

[814] النحل 68

[815] البقرة 255

فالحياءُ كغيره من الحقائق له دلالتان حقيقة في الله ومجاز في الحادث ففي حق الله الترك الذي هو لازم حياء الحادث وفي حق الخلق انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم وهو الوسط بين الوقاحة وهي الجراءة على القبائح وعدم المبالات بها وبين الخجل وهو انحصار النفس عن الفعل مطلقًا: **إن الله يستحي أن يعذب ذا شيبة في الإسلام**[816]، أي يترك عذابه وهو حقيقة فيه لعموم الترك فيه تعالى: **إن الله حي كريم يستحي إذا رفع العبد يديه اليه أن يردهما صفرًا حتى يضع فيهما خيرًا**[817]، كالرحمة حقيقة في إيصال الخير لغيره والغضب حقيقة شرعية في إيصال المكروه للغير فالمكروه في حق المنتقم فيه لا في حق الله فإنه مراده ومحبوبه فلو ذاقه الغير لانقلب فعل الله له محبوبًا اللهم عرفنا إياك فالمعنى الصرف إنما يدركه العقل مع منازعة الوهم في البعض فبالمثل يتضح المقام باصطلاح الوهم مع العقل حيث أسعفه بالمحسوس فطبع الوهم الميل للحس والمحاكات فقد فشت الأمثال في الكتب الإلهية وعبارات البلغاء وإشارة الحكماءُ مثل في الإنجيل على الصدر بالنخالة وقساوة القلب بالحصاة ومخالطة السفهاء بإثارة الزنابير ونصه: **لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويمسك النخالة** كذلك أنتم تخرجون الحكمة من أفواهكم وتبقون الغل في صدوركم قلوبكم كالحصاة التي لا تطبخها النار ولا يلينها الماءُ ولا ينسفها الريح لا تثيروا الزنابير فتلدغكم فكذلك لا تخالطوا السفهاء فيشتموكم. فمن كلام العرب أعز من مخ البعوض لمن يكلف الأمور الشاقة حديث: **لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها جرعة ماء**[818] ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ في الجنة كالذباب والكلب والحمار ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ ضرب المثل به ﴿الْحَقُّ﴾ الثابت

---

816 السيوطي في الجامع الكبير عن عائشة رضي الله عنها

817 ابن ماجه عن سلمان الفارسي رضي الله عنه

818 الترمذي في سننه عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه

الذي لا يجوز إنكاره عينًا أو فعلاً صائبًا أو قولاً صادقًا ثوب محقق محكم النسج مهما يك من شيءٍ فأما للشرط والتفصيل والتوكيد أخرت الفاءُ للخبر كراهية اجتماع أدات الشرط والجواب ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في علم الله ﴿فَيَقُولُونَ مَاذَا﴾ ما أي شيءٍ الذي ﴿أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ فما استفهامية وذا موصول وهو وصلته خبر ما فالإرادة صفة ذاتية زائدة عن العلم تخصص الممكن بأحد طرفيه فالقدرة موجدة ما خصصته الإرادة وهما إنما يتعلقان بالممكن مثلا تمييز أو حال معناه أي فائدة في ذلك ﴿يُضِلُّ بِهِ﴾ يحير به ﴿كثيرًا﴾ وهو كل كافر في علمه ﴿وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ وهو كل مؤمن في علمه تعالى فالمؤمن وإن قل عددا فهو أكثر قوة وعدة فالكريم الواحد كألف فالعالم يعدل سبعين قبيلة نفعًا فكونه تعالى مريدًا مجمع على جواز إطلاقه عليه تعالى فاختلفوا في معناه فزعم النجار أنه سلبي بمعنى غير ساه ولا مكره فقيل أمر ثبوتي ثم اختلفوا فالجاحظ والكعبي وأبو الحسن البصري معناه علمه تعالى باشتمال الفعل على المصلحة أو المفسدة وسموا هذا العلم بالداعي أو الصارف فالأشاعرة وأبو علي وأبو هاشم وأتباعهما أنه صفة زائدة عن العلم فهي إما ذاتية على قول آخر للنجار وإما معنوية فالمعنى إما أن يكون قديما للأشعري أو محدثًا وهو إما أن يكون قائمًا بالله للكرامية أو قائمًا بجسم آخر فلم يقل به أحد أو موجودًا لا في محل لأبي علي وأبي هاشم وأتباعهما

﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ أسند الإضلال إلى الله لأنه مسبب الأسباب فالفاسق الخارج هنا عن حد الإيمان ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[819] صرف عقولهم عن حكمة المثل إلى حقارة الممثل به فالفاسق في الشرع الخارج عن أمر الله بارتكاب كبيرة أو إصرار على صغيرة ولم تغلب طاعته على معصيته فلا يكفر إلا

[819] التوبة 67

باستحلالها كبيرة أو صغيرة فجعل المعتزلة الفاسق قسمًا ثالثًا ليس بمؤمن ولا بكافر لمشاركة كل منهما في بعض الأحكام وعند الخوارج كافر لعله كفر نعمة فيعامل عند المعتزلة معاملة الإسلام فهو كالكافر في الذم واللعن وعداوته والبراءة منه وعدم قبول شهادته مالك والزيدية لا تجزءُ الصلاة خلفه جاء في القرآن الفسق بمعنى المعصية والكفر ﴿**بِيسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ**﴾، ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[820] ﴿**الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ**﴾ إما عهد عقلي وهو ما نصبه الله من الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده ووجوب وجوده وصدق رسله ﴿**وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ**﴾[821] وإما المأخوذ بالرسل على الأمم إذا بعث إليهم رسولا مصدقا بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا أمره ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ**﴾[822] فالعهود ثلاثة عهد بوساطة العقل أن يقروا بربوبيته والثاني بواسطة الملك على النبيئين أن يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه والثالث بواسطة الرسل على العلماء أن يبينوا الحق لا يكتموه ﴿**مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ**﴾ توثقه مصدر كالميلاد فالضمير للعهد فأضيف للمفعول أو إلى الله فأضيف إلى الفاعل من بعد توثقة الله عليهم أو من بعد ما وثق الله به عهده ﴿**وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَاللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ**﴾ وهو الرحم قطعوا رحمه صلى الله عليه وسلم بالعداوة وقطعوا كل مأمور به كالإعراض عن المؤمنين والتفرقة بين الأنبياء والكتب وترك الجماعات وسائر ما فيه رفض خير وتعاطي شر فالأمر الطالب للفعل من العالي وإن يوصل بدل من الضمير بأن يوصل ﴿**وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ**﴾ بالمعاصي وتعويق الناس عن الإيمان بالرسول والاستهزاء بالحق وقطع الوصل الذي به نظام العالم ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ بفوات التوبة والمصير إلى العقوبة بإهمال العقل عن النظر

---

[820] التوبة 67

[821] الأعراف 172

[822] آل عمران 187

واقتناص ما يقيدهم الحياة الأبدية واستبدال الإنكار والطعن في آيات الله بإيمان بها واشتروا النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والعقاب بالثواب ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ أخبروني على أي حال تكفرون فالضمير عام لكل كافر فهذه الآية لبيان التعجب من حال الكفرة فكيف السؤال عن الحل أفي حال العلم بالله أم في حال الجهل تكفرون فلا يمكن تصور كفر الكافر بالصانع مع الذهول عن كونه عالمًا بالله أو جاهلا به ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ نطفا في الأصلاب والترائب والأرحام وعلقة ومضغة وغير مخلقة ومخلقة ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ في الأرحام بخلق الأرواح ونفخها فيكم ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ عن وفاء أجلكم وهو معلوم بالضرورة ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للبعث ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾[823] وللسؤال في القبور ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ تردون بعد البعث فيجازيكم بأعمالكم فهذا لا يعلم إلا من الشرع بدءُ الخلق وإعادته سيان في قدرته فما أعجب كفركم مع علمكم بحالكم من الأدلة الشرعية التي يقبلها العقل السليم فلا سلامة للعقل إلا بالشرع فالموت نعمة يتوصل بها إلى الراحة الخلودية الأبدية ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآَخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾[824] فالخطاب لمؤمن وكافر فكيف يتصور من المؤمن العاقل الكفر بعد أن تحقق بالأدلة الشرعية كيفية بدء الخلق وإعادته فهو ثابت الإيمان لا يتزلزل لما شاهده من قوة قدرة الله فقد أمات الله الخاصة ثلاث مرات ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾[825] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾[826]، ﴿كَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾[827]، ﴿وَآَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾[828] فالآية تدل على الصانع وتدل على ألا

---

[823] الأنعام 73

[824] العنكبوت 64

[825] البقرة 259

[826] البقرة 56

[827] الكهف 19

[828] الأنبياء 84

قدرة لغير الله على الإحياء والإماتة فبطل قول الدهري ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾[829] وتدل على صحة الحشر والنشر مع التنبيه على الدليل العقلي فإن الإعادة أهون من البدءِ وتدل على التكليف والترغيب والترهيب وتدل على الزهد في الدنيا وهو ترك ما حرمه الله وترك الطمع فيما لا مطمع له فيه مما لم يرده الله فالله أحيا بعد الموت وصور أحسن صورة وجعله بشرًا سويًا وأكمل عقله وبصره بأنواع المضار والمنافع وملكه الأموال والأولاد والدور والقصور ثم إنه يزيل ذلك بالموت فهو عبرة

ثم أومأ إلى مشيئته وقدرته ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ لأجلكم وانتفاعكم في دنياكم لاستيفاء مصالحكم كالأدوية والأطعمة وفي دينكم بالاستدلال على خالقكم وهو نعمة عظيمة وما في الأرض نعم فالأرض هنا جهة السفل كالسماء جهة العلو فدخلت الأرض بما فيها فالسلام في لكم لعلة وحكمة تفضلا فلا تعلل أفعال الله فالله حكيم فكل ما صدر منه حكمة فلا يتصور فيه العبث فلا تنفذ القدرة إلا في معلوم والمعلوم هو عين الحكمة فلا يقال فعل كذا لحكمة وإنما يقال حكمة فعله كذا فلا تكون الغاية علة لفاعله فإلى المشيئة يستند كل شيءٍ فهي عين الحكمة فالفاعل الحادث هو الذي يفعل لحكمة كذا لتتكمل فاعليته بالحكمة فالكامل الفاعل يوجد الأشياء ذوات الغاية من غير أن يرتب إيجاده عليها فافهمه ﴿جَمِيعًا﴾ حال من ما ويحتمل من الذي فإنه تعالى خلق الأرض بما فيها لآدم وبنيه أجمعين فما فيه منفعة له أباحه وما فيه مضرة منعه عليهم فإنه حكيم فالموذيات خلقت للاعتبار فيها فالمحرمات خلقت للبلاءِ ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[830] بالمباح والممنوع فالمباح هل يشكر والمحرم هل ينكفّ جاعلا في فيه لجام الشرع ويؤخذ أن الأصل

---

[829] الجاثية 24

[830] هود 7

الإباحة قبل أن يرد نص الشرع فالشرع حكم غرضي بعروض التكليف ويزول بزواله فحكم الأصل هو حكم أهل الآخرة في الدارين فالحال في الضمير يفيد استواء الناس في أن الدنيا صيرت لهم كل فرد فرد منهم وإنما ملك كل واحد نصيبه بالشرع فالحال من ما يفيد استواء النعم في أنها خلقت لكل فرد من أفراد الإنسان فإن كل أثر يدل على خالقه فصار الكون كله شيخًا لكل عاقل فإنه برج يدل على بانيه فلولا الأغيار ما ظهرت الشرائع والأسرار فمن زالت الأكوان في خلده بقوة التجلي فات له من معرفة الله بقدر ما غاب عنه من الحقائق فهو ضعيف فالقوي من أمده بالفيوضات الأقدسيات بعد الفتح فالفتح إنما هو انفتاح أمواج بحر روحه فهو نور فقط يستضاءُ به فالمستضيءُ هو النفس الموجهة نور العقل إلى الاستمداد من الأقدسيات فإذا تجرد العبد من هواه أمد بمعونة من ربه فينظر في الفاعل مفعوله فهو له مرآة للحقائق وفي المفعول الفاعل فهو مرآة لربه فإذا نظر في ربه بربه نظر نفسه وغيره دفعة واحدة فلا يشغله الحق عن الخلق ولا الخلق عن الحق لأنه إنما ينظر بنور ربه فيه فلا تكمل إلا معرفة من يرى بربه كل فرد من أفراد ملكه في كل لحظة ويري بربه ربه في كل ذرة من ذراته فبقدر ما غاب من الكون غاب من معرفة الرب فهو ينادينا تمييزًا لنا منه بأننا غيره ونناديه تمييزًا بأنه غيرنا بل هو ربنا خالقنا فالوصل يستلزم تقدم الانفصال فالانفصال يستلزم تقدم الاتّصال به تعالى فالاتّحاد بلسان الكافرين جهل باطل غير متصور فلا تقبله العربية ولا ذوق العرب فكون الله عين العبد وكون الفاعل عين المفعول خلل وهوس وجهل محض عدم فلا يخطر في بال أبدًا إلا لمن أعمى الله بصيرته من الكافرين فالحلول عدم جهل محض فالحقائق لا تتبدل أبدًا عقلا فإنه يؤدي إلى فساد نظام العقل ولا شرعًا ﴿**لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ**﴾[831] فقول

---

[831] الروم 30

صاحب الحال أنت أنا وأنا أنت إنما يشير إلى النيابة وهو **كنت سمعه**[832] فكنت سمعه مؤذن بامتياز العبد من الرب فمعناه أغيّب نعوته بنعوتي مع بقاء نعوته فإذا انجلت الحقائق بقي العبد وظهر أنه هو العبد المخلوق الضعيف لولا قوة ربه ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ**﴾ أجرام العلوية كجهة العلو أي قصد إلى خلقها بإرادته وهو مطلب السواء فأطلق على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الإجزاء على غير الله وهو محال فيه فهي من لوازم الأجسام ﴿**فَسَوَّاهُنَّ**﴾ جعلهن مستويات لا شقوق فيهن ولا تفاوت قدر الأرض في يومين والأقوات في يومين والسماء في يومين والجميع ستة من الأحد ﴿**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ**﴾[833] فتبين تقدم الأرضين بما فيها عن السماوات وإنما تأخر دخول الأرض عنها ﴿**وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا**﴾[834] فالأرض مخدومة والسماءُ خادمة مظلة سقف لها فالسقف متأخر عن البيت فالبيت في أربعة أيام والسقف في اثنين وإنما خلقت العوالم كلها خدمة للأرض أم نبينا والأنبياء دار الخلافة ومظاهر الكتب الإلهية ومنبع الحقائق العرفانية ومنبت الأكوان فالأجرام كلها خادمة لجرمية الأرض فالخلائق كلهم من الملائكة وغيرهم خدام لأهل الأرض من جنسية سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ**﴾[835] فالاستواءُ للحق حقيقة ذاتية لا تدركها الأبصار كالذات وهو إشارة قيامه بملكه من حيث هو فسبحانه من خبير محيط بالحقائق من حيث هي فلا تخفى عليه خافية ولا تعجزه حقيقة فبه انعدم باطل من يقول أنه لا يعلم الجزئيات كجهم ومعبد فلو لم يعلمها ما حصل إتقان الأشياء فإثبات أهل الرصد تسعة أفلاك على ما استقر عليه رأيهم أمر وهمي

---

[832] البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه

[833] الحديد 4

[834] النازعات 30

[835] التوبة 128

حدسي ظني لا مستند له لا عقلا ولا شرعًا فلم يتبين لأحد من الأوائل ولا الأواخر كمية أعداد السماوات والأرض على ما هي عليه عقلا ولا شرعًا فصار أمرهما متشابها فنتبع الشرع لا التخمين فلم يأت لنا نص عن الله بذلك فوجب الإمساك وإنما يخوض فيه الناس ما عليه الجاهلية لا غير من سعد ونحس فعطارد وزحل ألفاظ لرجم الغيب لا غير فلا نعتبر إلا الشرع فنجم كذا نحس أو سعد باطل جريًا على اعتقادات قدامى[836] المشركين فلا يستحسن مؤمن ما بينه المشركون فهم لا يعقلون كيف يصح للعاقل أن يتبع ما حكم الله بعدم عقله فروايتهم غير مقبولة كشهادتهم فلم يتعلق التكليف بذلك تالله إن الاشتغال بما سطروه في الأفلاك لمن الهوس والحمق المبين فكفانا علم نبينا صلى الله عليه وسلم فهو الأسوة ﴿**وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ**﴾[837] فهيآت ملك الله لا يمكن أن يحيط به أحد فإن من أحاط بها اطلع على كنزية سر القدر فإن أحاط به مثلا أدرك العلم منها الذي علقه الله بالحقائق ورزق به عباده فيدرك أنه يكون كذا يوم كذا فترتب عليه استقلال علمه عن علم الله فيخبر بأسرار الله قبل وجودها فيكفر فيقول يقع كذا قطعًا من غير مشيئة الله فيقول الطبيب يبرىء من غير افتقار إلى الله فأصل العلوم التنجيمية الكفر فلا يستغله إلا الكافر باعتقاده فكل من لم يعتقد تأثير الكواكب لا يتسخر له الشيطان فإنه ولي الكافرين يمنيهم ويصور لهم الحقائق خيالات والخيالات حقائق كالسحر فكل من اعتقد تأثير غير الله سعدًا أو نحسًا كفر فيتولاه وليه إبليس فيضحك عليه بالمموهات ﴿**وَاجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ**﴾ فهو مأذون في أسباب الإغواء فكثير أضلته الأفلاك وأحرمته الإقبال على الله فالاستواءُ في كلام العرب لمعان انتهاء شباب الرجل استوى الرجل واستقامة ما

[836] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة اقدمى

[837] المائدة 3

كان منه اعوجاج استوى لفلان أمره والإقبال على الشيءِ بالفعل استوى فلان على فلان بما يكرهه بعد الإحسان والاحتياز استوى بشر على العراق احتوى والعلو والارتفاع استوى فلان على سريره علاه ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾[838] علا ملكه وغلبه وقهره وجعله تحت حيطة تصرفه. فأول ما خلقه الله النور والظلمة فالنور من يمين الحقيقة المحمّدية والظلمة من يسارها ثم ميز بينهما فجعل الظلمة ليلاً أسود مظلمًا وجعل النهار نهارًا مبصرًا مضيئًا ثم سمك السماوات السبع من دخان يعني من فوار الماء الناشئ من نقطة عرقية روحه صلى الله عليه وسلم حتى استقللن ولم يحبكهن وقد أغطش في السماء الدنيا ليلها وأخرج ضحاها فجرى فيها الليل والنهار وليس شمس ولا قمر ولا نجوم ثم دحى الأرض وأرساها بالجبال وقدر فيها الأقوات وبث فيها ما أراد من الخلق ففرغ من الأرض وما قدر فيها من أقواتها في أربعة أيام ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ**﴾[839] فحبكهن وجعل في السماء الدنيا شمسها وقمرها ونجومها ﴿**أَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا**﴾[840] فأكمل خلقهن في يومين ففرغ في خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم في اليوم السابع فوق سماواته ثم قال للناسوت والأرض ﴿**اِيتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾ ﴿**وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ مجملا ومفصلا

واذكر أيها الرسول والمؤمن من حيث هو والمعتبر من حيث هو ﴿**إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ**﴾ فإذا ظرف لما مضى من الزمان ولو دخل على المستقبل صرفه ماضيًا وإذا ظرف مستقبل ولو دخل على الماضي صرفه مستقبلا جمع ملك أصله ملأك والتاءُ

[838] طه 5

[839] فصلت 11

[840] فصلت 12

لتأنيث الجمع وهو مقلوب مألك من الألوكة الرسالة فهم وسائط بين الله والناس فهم رسل الله أو كالرسل لهم لتوسط الأنبياء بينهم وبين الناس فهم ذوات قائمة بأنفسها موجودة فهم أجسام لطيفة شفافة نورانية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة والجن قادرة على ذلك فإن الرسل يرونهم كذلك فالفلسفي الكافر يقول جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة فالنصارى هن النفوس الفاضلة بالعلم والعمل لا الشريرة فالشريرة عندهم الشياطين البشرية الناطقة فالنفس عندهم في الأبدان نفوس فإذا فارقتها كانت شياطين فلا عبرة بأباطلهم وإنما أنبه عنه لئلا يغتر به من لا باع له في العلم ولا مارس أهله فقول الله ﴿**وَإِذْ**﴾ ابتداءُ الإخبار عن كيفية خلق آدم وكيفية تعظيمه إياه فهو النعمة العظمى التي يجب شكرها فنعمة الأب نعمه الإبن كالإبن نعمة الأب فأصل النعمة الرسول صلى الله عليه وسلم فقد شرف الله العالم العلوي بالملائكة كما شرف السفلي بالأنبياء فلما توسطت الملائكة بالوحي قدم الإيمان بهم على الأنبياء في القرآن ﴿**كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ**﴾ مسبب الأسباب ﴿**وَمَلَائِكَتِهِ**﴾ أسباب الوحي والرحمة ﴿**وَكُتُبِهِ**﴾ أسباب السعادة من الملائكة ﴿**وَرُسُلِهِ**﴾[841] أسباب الإيمان بالله ﴿**وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾[842] أسباب النشأة الآخرية فمذهب عبدة الأوثان أن الملائكة هي الكواكب الموصوفة بالإسعاد والنحس وأنها أحياءٌ ناطقة فالمسعدات ملائكة الرحمة والمنحسات ملائكة العذاب فالثنوية[843] يقولون بالنور والظلمة جوهران حساسان مختاران قادران متضادا النفس والصورة مختلفا الفعل والتدبير

---

[841] البقرة 285

[842] النساء 136

[843] الثنوية هم أصحاب الاثنين الأزليين: يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان، بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام، وذكروا سبب حدوثه. وهؤلاء قالوا بتساويهما في القدم، واختلافهما في الجوهر والطبع والفعل والحيز والمكان والأجناس والأبدان والأرواح. موقع الدرر السَّنية، موسوعة الأديان.

فجوهر النور فاضل خير تقي طيب الريح كريم النفس يسر ولا يضر ينفع ولا يمنع ويحيي ولا يبلي وجوهر الظلمة ضد ذلك فالنور يولد الأولياء وهم الملائكة لا على سبيل التناكح بل كتولد الحكمة عن الحكيم والضوءِ من المضيءِ فجوهر الظلمة يولد الأعداءَ وهم الشياطين كتولد السفه من السفيه ومنهم من أثبت الملائكة الأرضية المدبرة لأحوال العالم السفلي خيرها الملائكة وشريرها الشياطين فكلها أباطيل الكفر فنحن أبناءُ الشرع فيه نأتمر وننتهي.

فأما كثرة الملائكة قال صلى الله عليه وسلم: **أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك ساجد أو راكع**[844]. وروي أن بني آدم عشر الجن والجن والإنس عشر عشر دواب البر وهم عشر الطيور وهم عشر حيوانات البحر وهم كلهم عشر ملائكة الأرض الموكلين وهم كلهم عشر ملائكة المساء الدنيا وهم كلهم عشر ملائكة السماء الثانية وعلى هذا الترتيب إلى السماء السابعة فالكل باعتبار ملائكة الكرسي نزر ثم كل عشر ملائكة السرادق الواحد من سرادقات العرش التي عددها ست مائة ألف طول كل سرادق وعرضه وسمكه إذا قوبل بما انضمت عليه السماوات والأرض كان قليلا فما من موضع قدم إلا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم لهم زجل بالتسبيح والتقديس فكلهم باعتبار الحائمين حول العرش كالقطرة في بحر ثم مع هؤلاء ملائكة اللوح الذين هم أشياع إسرافيل والذين هم جنود جبريل وكلهم سامعون مطيعون لا يستكبرون عن عبادة الله ولا يسأمون فأصنافهم حملة العرش ثمانية ومنهم أكابر الملائكة جبريل صاحب الوحي وميكائيل صاحب الرزق وإسرافيل صاحب الصور وعزرائيل صاحب الموت ملكه وملائكة الجنة يدخلون عليهم من كل باب وملائكة النار تسعة عشر والموكلون ببني آدم ﴿**عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ**

---

[844] الترمذي في سننه عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه

قَعِيدٌ﴾[845] ومنهم الموكلون بأحوال هذا العالم ﴿**وَالصَّافَّاتِ صَفًّا**﴾[846] ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ إني مصير في أرض العوالم كلها - فما من عالم إلا وله أرض وسماءٌ - خليفة عني أي خلفاءً واحدًا واحد وهو القطب المدبر وخلفاء بدلا عنكم وهو الذي يقوم بالأحكام الشرعية فقبل آدم لا شريعة فالشريعة أحكام الرب لما اشتملت عليه من الجمال والجلال فالخليفة هو الذي يقيم الحدود ظاهرًا وباطنًا كآدم وداوود وسليمان فليس لكم يا معشر الملائكة إلا التسبب والتوسط بيني وبين خليفتي في كل عصر فهو المخدوم وأنتم الخدام لهم فهو آدم ككل نبي وولي فالله غني عن العالمين لكن تفضل بترتيب مملكته فلما قصر المستخلف عن التلقي من الله بلا وساطة جعل الملك واسطته خادمًا له فكل فرد من أفراد المؤمنين من بني آدم بدل عن الملائكة يتلقى السر بوسط الملك الذي هو العالم المتوسط وحكمته للملائكة أنهم استعظموا أمر إبليس حيث كان حاكمًا عليهم فبين لهم أنه خبيث السريرة وأنه كافر في نفس الأمر فلا تغتروا بالظواهر فالعلم عندي كله وإن كنتم ملائكتي فقد حجبتكم عن أسرار عبادي فاعرفوا قدركم واعترفوا بالعجز وأنه لا يكون إلا ما أريد ففرحت الملائكة الكرام بتعليم ربهم فلما خاطبهم سألوه سؤال استعلام وازدياد بيان لتطمئن به عقولهم قالوا طالبين حقائق العلم هل الأمر بالأعمال أو بالإفضال ﴿**وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾[847]: رب زدني فيك تحيرًا، فإنهم اعتقدوا أن الأمر بالطاعات بالتسبيح والتقديس فتحيروا في خطاب الله ﴿**وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى**﴾[848] متحيرًا فهداك بكمال التحير وإن الأمر لي ليس كما تعقلونه فالحقائق بيدي

---

[845] ق 17

[846] الصافات 1

[847] طه 114

[848] الضحى 7

﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ ما وجه حسن أن تجعل فيها ﴿مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا﴾ فإنه تعالى أعلمهم بأن أهل الأرض منهم من يشكره ومنهم من يكفره بإنكار ربوبيته وأنبيائه فاستعظموا المعصية والفساد الذي شاهدوه ممن سكنها فإن الأرض محل الدولة والدولة لا تتم إلا بالمعاصي والكفر ليظهر الإحسان والانتقام فيظهر مقام الملك الحق تعالى ﴿وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ يريقها ظلما وغيره فإنهم لم يشاهدوا الحدود لعدم الشرع كما فعل بنو الجان فاستعظموا أمر آدم وبنيه ﴿**بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾[849] فلم يعترضوا على الله ولا استنقصوا أهل الأرض ﴿وَنَحْنُ﴾ إنما ﴿نُسَبِّحُ﴾ بما أمرتنا به نقول سبحان الله والحمد لله والله أكبر متلبسين ﴿بِحَمْدِكَ﴾ سبحان الله وبحمده وإنما نحن خلقنا نسبح بما أمرتنا به من نسبة الكمال كله إليك ﴿وَنُقَدِّسُ﴾ ننزهك بنفي النقص من حدوث وغيره من سمات الحادث وليس لنا من العلم إلا ما علمتنا ولا من العمل إلا ما وفقتنا له وهو التسبيح والتقديس فلم تخلقنا للخلافة فالخلافة يا ربنا تستلزم المخالفات فالخليفة هو الرادع والقامع للمخالفين فبين لنا وعلمنا سر المخالفة التي يحكم عليها الخليفة وأي فائدة في خلق من يعصيك فلا نحبه لشدة محبتنا فيك وفي طاعتك فنحن مهيمون في جمالك فأي فائدة في العاصين فأنت غني عنهم فلا علم لنا إلا ما علمتنا فإن كان في الخلافة سر فعلمه لنا فأنت تعلمنا وليس لنا غيرك فما فهمنا من نفوسنا أننا متأهلون للأحكام الشرعية فعلمهم ربهم مقصوده وهو أنه كنز لم يعرف فأحب أن يعرف بوصفي كرمه الإحسان إلى أحبابه بدار الجنة وغيرها والانتقام في عصاته الكافرين فهما تظهر أسمائي وكمال ملكي أقرب من أشاءُ وأبعد من أشاءُ فهو صفة المالك فأنتم إنما خلقتم لتعظيمي فلم تخلق لكم الدنيا ولا الآخرة ولا حظ لكم في الجنة ولا في النار وإنما

---

[849] الأنبياء 26 و27

أنتم سهم الجمال ولا حظ لكم في الجلال فلا يكمل ملكي ظهورًا إلا بالخلفاء الذين يحكمون بالأحكام الشرعية فلم أخلق مرتبة أعلى من مرتبة التكليف بالأحكام الشرعية فلا شرع في عوالمكم ولا شاهية ولا داعية فيكم تطلب مخالفة فإني عصمتكم بعدم خلقي فيكم داعية الهوى واجتبيتكم لحضرة تسبيحي وتقديسي لا غير فلو خلقت فيكم شهوة وابتلاء بالهوى لربما تعذرون الخلفاء فالأنبياء خلقت فيهم شهوة وداعية للهوى لكن منعتهم بالبرهان المعاينة والمشاهدة فهم أعلى منكم بالداعية والمعاينة والأحكام الشرعية فالخلفاءُ ودولتهم مظاهر أسراري في الدارين فلهم خلقت الدنيا والآخرة وليس لكم فيهما نصيب فإني هيمتكم بجمالي فلم تشموا رائحة جلالي فلا تتمنوا ما فضل به بعضكم على بعض فأعظم خلائقي الخليفة عني النائب منابي في تنفيذ أحكامي فاطمأنت الملائكة كلهم بخطاب الله فأذعنوا للخليفة فبايعوه واستغفروا لرعيته عالمين أنهم لا تضرهم المخالفات ولا تقطعهم عن ربهم ما وحدوا ربهم فإن الحسنات يذهبن السيئات فالكافر لا حسنة له ونزعوا بإذن الله باطنًا إبليس المتكبر المتولي عليهم رياسة ظاهرة فلعنوه تبعًا لمرضاة ربهم فعظموا آدم وبنيه وسجدوا له بمعنى أذعنوا لولايته فصارت أرض العوالم كلها كرسي الخليفة ينفذ عليه الأحكام الشرعية بالحق والعدل فتبرجت محاسن العوالم بالخلفاءِ فصارت الملائكة رعية الخليفة يستخدمهم للاستغفار للمكلفين الذين خلقت فيهم داعية التكليف وهي الشهوة الجلية والخفية فاللام في **لك** للتعدية نقدس لذاتك أي ذاتك وصفتك واسمك لذاتك لا لغرض من طمع أو خوف فعبادتنا لذاتك فقط فنحن متبرئون من الأغراض والأعواض فلا حظ لنا في الدارين البتة فحظنا ما كنا عليه من تسبيحك وتقديسك فلا نطلب غيره فمقام الخلافة لأهله ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فأعلم أني خلقتكم لتسبيحي وتقديسي وخلقت الخليفة لظهور ملكي فلا تظهر الرحمة والجلال إلا بالملك العظيم فلا تعلمون قبله أن الخليفة أعظم ولا أن مقام الأحكام أكمل

فالأرض هي محل نظري في ملكي وهي قوة العوالم فهي موسم المعرفة والأعمال والأحكام فهي أم جسد نبيي محمّدا صلى عليه فصلوا عليه فهو أصل وجودكم وبقائكم فلولاه ما خلقتكم ولا رحمتكم ولا غيركم برحمة الظهور فضلا عن التقديس فاستغفروا لأمته وصلوا بصلاتهم وهم الأيمة وأنتم المقتدون المتسخرون لإيصال رحمتي إليهم فلا حرفة لكم بعد تسبيحي وتقديسي إلا القيام بتوصيل نفع مني لهم فأنتم كالعبيد لهم فارحموهم وعظموهم فإنهم مجالي جمالي وجلالي فإنكم لا تقدر ذواتكم على الجلال طرفة عين فاحمدوا ربكم الذي جعلكم خدمة لخليفتي وفي ذرية آدم المطيع والعاصي إكمالاً لمرتبته لا غير فافهموا عني فأنا العليم الخبير قبل نفوذ قدرتي في شيءٍ ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ﴾ كوثرية الأسماء الإلهية من أسمائه الحسنى واسمه الأعظم وأسمائه النازلة التي خلقت بها الحقائق والعالية التي وضعت على مراتب حقائق ملكه تعالى كأسماء التشتيت التي وضعت على كل حقيقة حقيقة من غير تكرير فلا يقبل ملك الله تكرار حقيقة لاتساع الأمر الإلهي كما علمه تعالى الحقائق كلها وأسماءها لغة فأنزل عليه الحروف الهجائية فلقنها له بسرها فاستنبط منها بالله علم ما يكون إلى قيام الساعة ألف لغة وسبعة عشر ألف حرفة فلا تنطق ألسنة بنيه إلا بلغاته ولا تحترف إلا بحرفته فلا تقوم الساعة حتى ينطق بنوه بألف لغة وتستعمل سبعة عشر ألف حرفة فإلى الآن لم تستتم لغاته ولا صنعته فكل لغة نطق هو بها وكل حرفة استعملها بيديه وأظهر فوائدها وصنع صورتها في طين وطبخه وجعله في الكيفان لئلا يضيع فلا يزال بنوه إلى الآن يستكشفون عنها فيحصلون عليها واستعمل فيها شئت عليه السلام ثلاث مائة وإدريس الحكيم العظيم عليه السلام أربعة آلاف وهو الهرميس الأكبر فالغالب في الموجودة مستعملاته كما علمه المسميات المدلولات الحسية والمعنوية فالأسماء تستلزم المسميات فسيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم أبو الأرواح وآدم أبو الأجساد فسيدنا محمّد نقطة الوجود

والنبوة والعلم وكل كمال فما ظهر شيءٌ ولا يظهر إلا من مشكاته فالإلهامات والنبوات والولايات لا تظهر إلا منه فلا يصل شيءٌ إلى أحد إلا منه فمن ادعى أنه وصله شيءٌ من الله بلا وساطته صلى الله عليه وسلم ضل ولبس عليه فعلوم آدم وغيره منه فلا يحل لولي أن يدعي الإلهام كغيره إلا من مشكاته صلى الله عليه وسلم كالأنبياء فهم أصلهم وأصل علومهم فما سفكت دماءٌ من أنبأ عن الله بالإلهام وإظهار العلوم والأسرار إلا بإذن من النبي صلى الله عليه وسلم لخلفائه الفقهاء والأمراء بسبب انتسابهم إلى غيره صلى الله عليه وسلم حيث عقوا أصلهم أباهم رائمين أن يصلوا إلى حضرة الله من غير حضرة الخلافة والنيابة كمن أراد أن يكون ولد آدم من غير وساطة أبوية دنية فهو عقوق وحمق فالرسائل التي تنزل عليهم كالمكالمات إنما هو من ملائكة التسخير الذين خلقوا من نوره لإيصال العلوم والأسرار إلى أيمة أمته كبقيّ وابن العربي والبكري ممن يزعم أنه أنزل عليه من الله بلا واسطة فلا يتصور عقلا ولا شرعًا أن يصل إلى أحد شيءٌ إلا على يد الواسطة أيًا كان نبيًا وغيره فالكون كله كبيضة محاطة بالقشرة التي هي عين الحقيقة المحمّدية فهي محيطة بملك الله إحاطة ميمه فلا يدخل شيءٌ من الله إلا بوساطته وكأبينا آدم باعتبار صور بنيه فلا يتصور وجود صورة إلا منه شرعًا وعقلا فإنه حكم به الله فما حكم به الله استحال عدمه ﴿**مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ**﴾[850]، ﴿**لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ**﴾[851] فالوساطة حكمة الله وترتيب مملكته لا غير فقدرة الله صالحة لأعظم منه لكنه لم يعلمه ولم يرده فما علمه هو عين الابلغية والأصلح فلا يغتر متعقل ولا مكاشف بغيره فإنه لم يرده فآدم أنموذج الكون اندرجت فيه حقائق الكون فالملائكة إنما خلقوا من أنفاسه وهم له كالأجنحة والأيدي فهم معصومون

---

[850] ق 29

[851] الروم 30

بعصمته فلا يتصور منهم الاعتراض على الله ولا تنقيص آدم ولا استعظام نفوسهم بالتسبيح والتقديس فغاية القصة أنهم يتلقون العلوم من ربهم بواسطة سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم فأذن لهم ربهم في الرجوع إليه في المهمات من دعاءٍ وسؤال عما لم يدركوه فسألوه عن حكمة الخليفة فعلمهم بكيفية التعليم لا غير فما ذكره شراح الآية من اعتراضهم واستنقاص آدم وبنيه واستكمال نفوسهم لا يصدر ممن يتصور منهم المعاصي فضلاً أن يصدر من معدن العلم الرباني فإياك من مثله فكل من فسر به مما رووه عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن الصحابة والتابعين باطل لعدم صحته نقلا عنهم بل تخمين لا غير فالقواعد لا تقبله فرواية بعضهم عن البعض يكذب بعضها بعضًا للتناقض في الرواية والمروي فلم يكلفنا الله بمن سكن الأرض قبل آدم حتى ترتب عليه بأنهم شاهدوا من سكن الأرض فكل ما روي فيه غير ثابت فما كلفنا إلا بما ثبت عن رسولنا فهو المركز لا غير فلا نفسر القرآن إلا بما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم فلا يعصي من جميع أجناس الخلق إلا الجن والإنس وأما الملائكة رسل الله إلى أنبيائه فهم معصومون فلا تتصور منهم المعصية عقلا وشرعًا فهم عالم متوسط بين الله وعالم الناسوت فهم خدام للخليفة القطب مدة الأبد فلا تظن غيره فسجدوا كلهم إلا إبليس أبى فإن الملائكة أطلعهم الله قبل الأمر بالسجود بأن آدم الخليفة عنه تعالى وأن إبليس مبلس من رحمة الله فعزلوه وبايعوا بالله آدم قبل وجوده فتحصل أن الملائكة جميعًا بأي نوع كانوا وبأي محل كانوا معصومون وإنما حملهم على سؤال ربهم فهمهم من لفظ الخلافة التنازع والتظالم والتعال والتدابر فلولا المنازعة ما احتاجوا إلى خليفة ولما شاهده رؤسائهم من اللوح المحفوظ ومن ألواح المحو المدلات في السماوات ثلاثمائة وستة وستين لوحا أنزلت الشرائع على مقتضاها وسننها ولما أخبر الله خواصهم بأنه يفسد بعض ذرية الخليفة فاستعظموا أمر الفساد وسفك الدماء فأذن لهم ربهم في السؤال تعلمًا وتفهمًا لا تعنتًا واستنقاصا

لغيرهم فلا يتصور فيهم البتة كرؤية نفوسهم أعلى من حقيقة خلقها الله الحكيم فكل من رآ نفسه فوق ذرة من ذرات الخلق فهو فرعون قومه متكبر جبار ﴿**وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا**﴾[852]، ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ**﴾[853]، ﴿**فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ**﴾[854] فالملائكة معصومون خلقة وإنما سألوا بإذن تعلما فلا مغمز فيه ﴿**ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ**﴾ عرض المسميات فقال تعظيمًا لآدم للملائكة وتبيينا لهم إن لكل أحد حدًا يحده فالملائكة خلقوا للعبادة والتسخير وآدم خلق للنيابة عن الله يحكم بحكم الله من أمر ونهي وزجر وجبر إلى آخر الكتب المنزلة التي أبلغها القرآن فإن ظهر في آدم وبنيه فساد وسفك فإن فيهم صلاحا عظيمًا وهو أنهم يخدمون شجرة الإيمان لا إله إلا الله والرسل أمناء الله على وحيه وخلقه في الدنيا تعلقا وفي الآخرة استغلالا غلتها الجنة الحسنى وزيادة النظر في الله تعالى ذاته من غير إحاطة في الدنيا والآخرة ويخدمون شجرة الكفر تعلقا في الدنيا واستغلالاً في الآخرة فيظهر الله أسماءَ جماله في المؤمنين وأسماءَ جلاله في الكافرين فبه يتم كمال ظهور ملكه وكرمه واقتداره لغيره وهو تعالى غني عن العالمين ﴿**أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ في استنباط الفساد من لفظ الخليفة وفي إطلاقكم على أنفسكم نسبح بلفظ الفعل المفيد للعموم وهو أنكم خلقتم لتسبحوه كماله فكمال التسبيح يستلزم كمال العلم بأسماء الله فأسماء الله لا تجتمع في أحد إلا في الخليفة فالعلوم من الأسماء الإلهية فالتسبيح والتقديس للأسماء ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ**﴾[855] بإثبات لفظ الاسم فالاسم الله يسبح ويقدس فلا يكمل التسبيح والتقديس إلا بمعرفة جميع الأسماء فلا يعرفها إلا الفرد الجامع من النوع

---

[852] لقمان 18 والإسراء 37

[853] القصص 76

[854] الطارق 5

[855] الأعلى 1

الإنساني الذي خلقه الله على صورة الرحمن وطبعه على كمال الأسماء والصفات لله فقد اندرجت فيه صورة الرحمن المسمات بالاسم الأعظم وبكوثرية الأسماء فعلمهم ربهم أن المعرفة تكون على قدر الأسماء والعبادة على قدر العلم فالعلم الفكري مما اختص الخليفة وأولاده كالإحاطة بدائرة الإحاطة التي هي حضرة الأسماء فلا ينبغي لأحد إطلاق عموم التسبيح والتقديس إلا إن كان خليفة فله قال الأشعري يجوز أن يعرف الله تمام المعرفة إن كان خليفة وقال غيره لا يعني إن لم يكن خليفة فالخلاف لفظي فاعترفوا بالعجز ابتداءً وانتهاءً فإنهم لم يدعوا تمام العلم ولا تمام العبادة بل اعترفوا بالعجز والتقصير ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ إياه فصدروا التسبيح تعظيمًا واستعذارًا عن الاستفسار والجهل بحقيقة الحال فإنه لم تكن دولة الأحكام الشرعية زمن نطقهم ﴿إِنَّكَ﴾ وحدك ﴿أَنْتَ الْعَلِيمُ﴾ وحدك فلا يطلق على غيره غالبًا لا تخفى عليك خافية ﴿الْحَكِيمُ﴾ المحكم لمبدعاته الذي لا يفعل إلا ما فيه حكمة فكل معلوم لله حكمة قال تعالى ﴿أَنْبِئْهُمْ﴾ أخبرهم ﴿بِأَسْمَائِهِمْ﴾ فسمى آدم كل شيءٍ باسمه فهو أصل لتدريس العلوم ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ﴾ الله معلما ومهذبا ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾ فيما مضى ﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ما غاب فيها ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ تظهرون من كل شيءٍ شيءٍ ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ من كل شيءٍ شيءٍ كما أظهروه من الطاعة وأسره إبليس من الشقاق والتكبر وسوءِ الطوية لكونه كافرًا في علم الله فلا طاعة له أصلا نفسا واحدًا وإن أطاع ظاهرًا يناقضه الباطن فقد قيل إنه في الجنة يعبد هواه باطنا وربه ظاهرًا مائة ألف عام واثني عشر ألف عام وخمسة وعشرين عاما ومثله في السماء ومثله في الأرض ثم صارت عاقبته إلى ما خلق لأجله ﴿كُلٌّ

يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾[856] وهو من كان مومنا في علم الله لا غير

فلا ينبغي التجاسر على الملائكة والأنبياء في مراتبهم فلا يتكلم في مقامهم إلا العارف بالله من الدليل الصحيح أو من الكشف من الدليل الشرعي فالإجماع لمن يعتد به على عصمتهم فالفلسفي والجبري إن الملك خير محض فلا قدرة له على الشر وأثبت لهم المعتزلي القدرة على الأمرين فقوله أتجعل عنده معصية أو خلاف الأولى واستأنس بقوله تعالى ﴿**وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ**﴾[857] فتقتضي أجورهم وقال ﴿**لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ**﴾[858] فلا يحسن عندهم عدم الاستكبار إلا لو كان قادرًا [**قلت**] فلا يستلزم من يقل منهم ثوابا فإنه على الفرض ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾[859] فلا يعدون نفوسهم كبراء عن عبادة الله بل يعدونهم عبيدًا فلا يستلزم شيئًا وأيضا فمذهبهم وجوب الثواب على الله فالثواب إنما يظهر في الدراين فلم يخلقا لهم بل للجن والإنس وإنما هم سهم العلم الغريزي مع العمل به مع قطع النظر عن الثواب فالثواب مرتب على البشرية مع النيات الصالحات في العمل فالتسبيح تبعد الله عن السوء كالتقديس من سبح في الماء وقدس في الأرض إذا ذهب وأبعد فالتبعيد عن السوء إما في الذات ويحصل بنفي الإمكان المستلزم لنفي الكثرة المستلزمة لنفس الجنسية والعرضية الضد والند وإما في الصفات بأن يكون مبرءًا عن العجز والجهل والتغيرات محيطًا بكل المعلومات قادرًا على كل المقدورات وإما في الأفعال فلا تكون لجلب نفع أو دفع ضر يقول الله تعالى أنا الذي تنزهت عن قول

---

[856] الإسراء 84

[857] الأنبياء 29

[858] الأنبياء 19 والأعراف 206

[859] الزمر 65

الظالمين ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[860] أنا الغني عن الكل ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾[861] أنا كل شيءٍ تحت قهري وتسخيري ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[862] أنا المتنزه عن الصاحبة والولد ﴿سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾[863] أنا أخلق الولد من غير أب ﴿سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[864] أنا المسخر الأنعام القوية للبشر الضعيف ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾[865] أنا الذي أعلم لا بعلم المعلمين ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ أنا الغافر بتوبة ساعة معصية سبعين سنة فسبح ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾[866] فإن أردت رضوان الله فسبح ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾[867] وإن أردت الخلاص من النار فسبح ﴿سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[868] وإن أردت الفرج فسبح ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[869] فواظب أيها العبد على تسبيحي ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[870] وإلا فالضرر يعود عليك ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ

---

[860] الصافات 180

[861] يونس 68

[862] يس 83

[863] النساء 171

[864] مريم 35

[865] الزخرف 13

[866] طه 130

[867] طه 130

[868] آل عمران 191

[869] الأنبياء 87

[870] الأحزاب 42

لَا يَسْأَمُونَ﴾[871] يسبح لي كل موجود ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾[872]، ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[873] فأنا يا عبدي غني عن تسبيح هذه الأشياء ليست من الأحياء أعني في البعض فلا حاجة بها إلى ثواب ومعه فلا أضيع تسبيحهم فأثيبهم وأرجع ثوابهم إليك لأعرفك أن من اجتهد في خدمتي أجعل كل العالم في خدمته وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء اذكرني بالعبودية لتنتفع بي لا أنا ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾[874] فإن ذكرتني في الخلوات ذكرتك في الفلوات ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[875] أقرضني وأنا الغني فأرد إليك عشرة ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ﴾[876] فلا حاجة لي إلى العسكر ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾[877] ولكن إذا نصرتني نصرتك ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾[878] اخدمني أيها العبد ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾[879] لا لأني أحتاج إلى خدمتك فأنا الملك ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[880] فاصرف في خدمتي عمرًا قصيرً لتنال ملكًا كبيرًا وخيرًا كثيرًا ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ

---

[871] فصلت 38

[872] الإسراء 44

[873] الحديد 1

[874] الصافات 180

[875] الأحزاب 35

[876] التغابن 17

[877] محمد 4

[878] محمد 7

[879] البقرة 21

[880] آل عمران 189

مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[881]. فأفضل الكلام ما اصطفاه الله لملائكته سبحان الله وبحمده فالأشعري والجبّائي والكعبي على أن اللغات توقيفية **﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾**[882]، **﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾**[883] فأصحاب أبي هاشم اصطلاحية قالت المعتزلة لا علم إلا بالتعليم أو بنصب الأدلة وقالت الأشاعرة فالكل بالتعليم فالمؤثر في وجود العلم ليس هو الدليل بل النظر فيه المستند إلى توفيق الله وتسهيله فبه استدل أهل الإسلام أنه لا طريق إلى علم المغيبات إلا بالله تعليمًا لا بطرق التنجيم والكهانة فللمنجم أن يقول للمعتزلي فإن فسرت التعليم بوضع الدليل فحركات النجوم دلائل خلقها الله لهذا العالم تبين أحواله فقالت المعتزلة إنباء آدم باللغات معجز يدل على نبوته ورسالته إلى حواء وقته فإنه خرق مع التحدي فالملائكة إن جهلوا اللغات فبما صدقوه وإن علموها فبما أعجزهم **[قلت]** عرفوا صدقه بتصديق الله إياه فحواء لم تعرف التكليف إلا بالنبي آدم فهو نبي ورسول وذلك هو معنى الخلافة والإنباء فالظاهر أنه إلى الملائكة وأولاده بعد فآدم من الأدمة بضم الهمزة أو من الأدمة بالفتح القدوة والأسوة أو من أديم الأرض ظاهر وجهها قال صلى الله عليه وسلم: **إن الله قبض قبضة من جميع الأرض سهلها وحزنها**[884] فالحزن ما غلظ وصلب فصار حيوانًا حساسا بعد أن كان جمادًا فله اختلفت بنوه في الألوان والأخلاق والهيآت فكنيته أبو محمّد وأبو البشر معناه أنه خلقه من أجزاء مختلفة وقوى متباعدة مستعدًا لأنواع إدراك المدركات والمعقولات والمحسوسات والمخيلات والموهومات وألهمه معرفة ذوات الأشياء وخواصها وأسمائها وأصول العلم وقوانين

---

[881] التوبة 72

[882] البقرة 31

[883] البقرة 32

[884] أبو داوود والترمذي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه

الصناعات وكيفية آلاتها فآدم وغيره من الأنبياء معصوم مع قيام الداعية البشرية لكن قمعتهم عصمة المعاينة فلا يغفلون عن الله نفسًا واحدًا من أنفاس أعمارهم دنيا وأخرى فالعصمة ركن حقائقهم فلا يتصور منهم خلاف الأولى فضلا عن المكروه والحرام فكل ما ورد في حقهم يوكل إلى الراسخين في العلم أهل القربة والصديقية يعبرون بمقصود الله فيه فقول الأشعري بجواز الصغيرة من غير قصد في أحد قوله ضعيف لا عبرة به فالعبرة بالقول الآخر الصحيح عنه وهو أنه لا تجوز صغيرة قصدًا وغيره ﴿**ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ**﴾[885] معناه ثم بعد أن أخبرتكم بالقصة أخبركم بعد بأني اجتبيته في حضرة علمي فلا يضره ما أخبرتكم به أنه فعله فإنه مجتبى معتنى به كالمؤمنين من بنيه فإن جوز المعتزلي جواز كبيرة قبل النبوة يعني لولا العصمة فعليه فلا جواز أصلاً فالنبي أعلى وأفضل من أجناس الملائكة بصفة العلم والاجتباء فالمعتزلي يقول بأفضلية الملائكة عن النبي وعليه فلا يرسل المفضول للأفضل ولأن الاستماع من الجنس أقرب

[**قلت**] فلا ينبغي طبعًا تفضيل حقيقة على غير جنسها فلا يقال زيد أفضل من الحمار مثلاً فلا مجال للعقل في التفضيل فهو بالله فلم يرد نص قاطع به وعليه فلا ينبغي التحامل عليه فمعلوم أن آدم أعلم وأكمل وأنه أسوة الملائكة وشيخهم ونبيهم ومعلمهم فهم تلاميذه وأعوانه ولبنيه إلى يوم القيامة فهو غاية ما يدرك والحقائق والخلائق بيد الله في علمه القديم وإنما لاحظ المعتزلي السفارة بينهم وبين ربهم وخفي عنه أنها خدمة لآدم فهو المخدوم للعوالم كلها فلو كان في الإمكان أشرف من العلم لأظهر الله فضل آدم به فأفضلية العلم بالكتاب والسنة وبالعقل منهما فهي في القرآن ما رواه مقاتل: أن الحكمة على أربعة أوجه. أحدها مواعظ القرآن ﴿**وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ**

---

[885] طه 122

مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾[886] وثانيها الحكمة بمعنى الفهم والعلم **﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾**[887]، **﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾**[888] وثالثها بمعنى النبوة **﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾**[889] ورابعها القرآن **﴿يُوتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُوتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾**[890] فكلها راجعة للعلم فله فرق بين سبعة في كتابه **﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾**[891]، **﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾**[892] **﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾**[893] **﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾**[894] فكلها فرق بين العالم والجاهل **﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأمر مِنكُمْ﴾**[895] وهم العلماءُ فالملوك تجب عليهم طاعة العلماء **﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾**[896] يعني علم الله وأدى شهادة ما علمه لمن يعمل بها وهو كل من قامت فيه أهلية العلم والعمل فلا يعلم الله إلا بالله ولا حول ولا قوّة في كل شيء إلا بالله **﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾** علموا بتعليمه وتعريفه وتوفيقه وأدوا شهادتهم لمن يعمل بها **﴿وَأُولُو الْعِلْمِ﴾** علموا بتعليم الله وأدوا شهادتهم لمن يعمل بها في الأصول والفروع والعمل

---

[886] البقرة 231

[887] مريم 12

[888] لقمان 12

[889] النساء 54

[890] البقرة 269

[891] الزمر 9

[892] المائدة 100

[893] الحشر 20

[894] فاطر 19 و20 و21

[895] النساء 59

[896] آل عمران 18

بشهادة العلماء هو مقام التقليد فالعلماء عليه قلدوا شهادة الله فغيرهم قلدوا شهادة العلماء في الرواية والدراية والرعاية فالمتعلم والعالم إنما قلد الشرع فهو الحق وغيره حجاب فاجتنبه فإيمان أمة رسولنا صلى الله عليه وسلم إيمان الشرع فهو مركز العلوم ومنبع أدلة العقل السليم فالعلماءُ في المرتبة الثانية بدليل ﴿**وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾[897] فالواو لا تقتضي ترتيبًا عند بعض ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾[898]، ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[899] يعني بالله وفي الحديث: **من أحب أن ينظر إلى عتقاءُ الله فلينظر إلى المتعلمين فوالذي نفسي بيده ما من متعلم يختلف إلى باب العلم إلا كتب له بكل قدم عبادة سنة وبنى بكل قدم مدينة في الجنة ويمشي على الأرض تستغفر له ويمسي ويصبح مغفورًا وشهدت ملائكة الله أنهم عتقاءُ من النار**[900]، **من طلب العلم لغير الله لم يخرج من الدنيا حتى يأتي عليه العلم فيكون لله ومن طلب العلم لله فهو كالصائم نهاره والقائم ليله وإن بابًا من العلم يتعلمه الرجل خير له من أن يكون له أبو قبيس ذهبًا فأنفقه في سبيل الله**، وهو عن أنس عن الحسن. **من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحي به الإسلام كان بينه وبين الأنبياء درجة في الجنة**[901]. **رحمة الله على خلفاءي الذين يحيون سنتي يعلمونها عباد الله**[902]، **يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يميز العلماء فيقول يا معشر العلماء إني لم أضع نوري فيكم إلا لعلمي**

---

[897] آل عمران 7

[898] المجادلة 11

[899] فاطر 28

[900] أبو الليث السمرقندي في تنبيه الغافلين بحديث سيد الأنبياء والمرسلين عن أنس رضي الله عنه

[901] الديلمي في مسند الفردوس والخطيب البغدادي وابن عساكر عن الحسن عن أنس رضي الله عنه مع اختلاف في اللفظ

[902] الديلمي وأبو نعيم الأصبهاني عن عليّ كرم الله وجهه مع اختلاف في اللفظ

بكم ولا أضع العلم فيكم لأعذبكم انطلقوا فقد غفرت لكم[903]، معلم العلم إذا مات بكى عليه طير السماء ودواب الأرض وحيتان البحر، **من صلى خلف عالم من العلماء فكأنما صلى خلف نبي من الأنبياء**[904]، **فضل العالم على العابد بسبعين درجة بين كل درجة خطو الفرس سبعين عامًا**[905]. وذلك أن الشيطان يضع البدعة للناس فيغيرها العالم ويزيلها والعابد يقبل على عبادته لا يتوجه إليها ولا يتعرف لها **[قلت]** فالبدعة المذمومة ما لم يدخل تحت أصل من أصول الشرع ولا تحتمله القواعد الشرعية لا البدعة اللغوية وهي ما لم تعرفه العرب بألسنتها فما لم يكن في الصدر الأول ودخل تحت حيطة الشرع فهو سنة يكتب ثوابها في صحيفة من استخرجها من الأدلة الشرعية كطرق المجتهدين والمبتكرين للقواعد العلمية وآلات الحروب المتنوعة وآلات الحمل والجلب للبلدان كالمراكب البرية والبحرية إلى آخر المصالح الدنيوية والدينية. **من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة**[906]. فكل ما أحدثته الأمة من أنواع التطوعات كالأحباس والاجتماع على الذكر والإطعام وغيره فإنما قصدوا به مرضاة ربهم وكله مسنون مأمور به فالمنهي عنه مخالفة القرآن والسنة فما تقدم من السنة **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي**[907]. فأثبت لهم سنة فطرائق المجتهدين والصوفية سنن نبوية فصاحب طريقة لا يلزمها على أحد فهي اختيارية **فافعلوا منه ما استطعتم**[908]. قول موسى عليه السلام أمتك لا تطيق ذلك يعني كل فرد من أفرادها وأما أقوياؤها فيقدرون بالله على

---

[903] الطبراني في الأوسط عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه

[904] الرازي في تفسير القرآن عن أنس رضي الله عنه مرفوعا

[905] ابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه

[906] مسلم في صحيحه عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه

[907] أبو داوود والترمذي وابن ماجه عن العرباض بن سارية رضي الله عنه

[908] مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه

أعظم منه. **لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير من حمر النعم**[909] وفي رواية **خير لك مما طلعت عليه الشمس وتغرب**[910]، **من طلب العلم ليحدث الناس ابتغاء وجه الله أعطاه أجر سبعين نبيًا**[911]، **يؤتى بمداد العلماء ودم الشهداء يوم القيامة لا يفضل أحدهما على الآخر**[912] وفي رواية **فيترجح مداد العلماء**[913]، **ألا أخبركم عن النفر الثلاثة: فأما الأول آوى إلى الله فآواه الله وأما الثاني فاستحيا من الناس فاستحيا الله منه وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه**[914] **يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماءُ ثم الشهداءُ**[915]، **إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة صدقة جارية وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له بالخير**[916]، إذا سألتم الحوائج فاسئلوها الناس أهل القرآن فأهل العلم مصابح الوجود [**قلت**] فأهل القرآن لمن يعرف معانيه ويتلوه ويدين به. **كن عالمًا مجتهدًا ومتعلما أو مستمعًا أو محبا ولا تكن الخامس فتهلك**[917] [**قلت**] وعظ رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً فأوحى الله إليه أنه يموت بعد ساعة فأخبره فقال له دلني على عمل أعمله أوفق لي في هذه الساعة فقال اشتغل بالتعلم فاشتغل بالتعلم فقبض قبل المغرب لو كان عمل أوفق له به في هذه الساعة الضيقة من العصر إلى الغروب لأمره به[918] فلا عمل أوفق للجاهل مثل التعلم ولا

---

[909] البخاري في صحيحه عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه

[910] الطبراني عن أبي رافع رضي الله عنه

[911] عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعا

[912] الرافعي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه كما في الجامع الصغير للسيوطي

[913] ابن النجار عن بن عباس رضي الله عنهما كما في الجامع الصغير للسيوطي

[914] البخاري في صحيحه عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه

[915] ابن ماجه عن عثمان رضي الله عنه

[916] النسائي في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه

[917] البيهقي في الشعب عن أبي بكرة نفيع بن الحارث رضي الله عنه

[918] ذكره الرازي في تفسير القرآن

للعالم مثل التعليم. وأما الآثار فقال مصعب ابن الزبير لابنه تعلم العلم فإنه إن يك لك مال كان لك جمالاً وإن لم يكن لك كان لك مالاً. وقال علي كرم الله وجهه لا خير في الصمت عن العلم كما لا خير في الكلام عن الجهل. قيل مثل العالم بالله وبأمر الله كمثل الشمس لا يزيد ولا ينقص وهو الجالس على الحد المشترك بين عالم المعقولات وبين عالم المحسوسات فهو تارة مع الله بالحب له وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة فإذا رجع من ربه إلى الخلق صار كالواحد منهم كأنه لم يعرف الله وإذا خلا بربه مشتغلا بذكره وخدمته فكأنه لا يعرف الخلق فهذا سبيل المرسلين والصديقين ومثل العالم بالله فقط كمثل القمر يكمل تارة وينقص أخرى وهو المستغرق في المعارف غير متفرغ لتعلم علم الأحكام إلا ما لا بد منه ومثل العالم بأمر الله فقط وهو العارف بالحلال والحرام دون أسرار جلال الله كمثل السراج يحرق نفسه ويضيء غيره فالناس في مجلس الأول ثلاثة وهو يفسر عن الله وعن الرسول فمن كذب به كفر ومن ضاق قلبه منه وفهمه منه فهو منافق ومن ندم على ما صنع وعزم على ألا يذنب كان مؤمنًا مخلصًا. ثلاثة من النوم يبغضها الله وثلاثة من الضحك النوم بعد صلاة الفجر وقبل صلاة العتمة والنوم في الصلاة والنوم عند مجلس الذكر والضحك خلف الجنازة والضحك في المقابر والضحك في مجلس الذكر فالعالم أرأف بالتلميذ من الأب والأم فإنهما يحفظانه من نار الدنيا وآفاتها والعلماء يحفظونه من نار الآخرة وشدائده فيؤخذ العلم بلسان سئول وقلب عقول فاسئل مسئلة الحمقى واحفظ حفظ الأكياس.

فالدنيا بستان تزينت بخمسة أشياءَ: علم العلماء وعدل الأمراء وعبادة العباد وأمانة التجار ونصيحة المحترفين. نصب إبليس خمسة أعلام جنب الخمس ركز الحسد في جنب العلم والجور بجنب العدل والرياء بجنب العبادة والخيانة بجنب

الأمانة والغش بجنب النصيحة. قال عليّ كرم الله وجهه: العلم أفضل من المال بسبعة وهو ميراث الأنبياء المال ميراث الفراعنة وهو لا ينقص بالإنفاق والمال ينقص فالمال يحتاج إلى حارس والعلم يحرس صاحبه فإن مات خلف ماله والعلم يدفن معه. المال للمؤمن والكافر والعلم للمؤمن فقط. جميع الناس يحتاجون إلى العالم في دينهم دون صاحب المال العلم يقوي الرجل عند المرور على الصراط والمال يمنعه منه فمن جالس عالمًا وعجز عن التعلم أعطي سبع كرامات فضل المتعلمين والحبس عن الذنوب حاله ونزول الرحمة عليه من خروجه من منزله ونزول رحمة عليه مع المتعلمين في المجلس وحصول نصيب ما دام يستمع ويكتب له طاعة فإن منع فهمًا ضاق قلبه وانكسر. أنا عند المنكسرة قلوبهم لأجلي وإذا رآ إعزاز المسلمين للعالم وإذلال الفاسق نفر عن الفسق ومال إلى طلب العلم فلا يأنف شريف وإن كان أميرًا من ثلاثة قيامه من مجلسه لأبيه وخدمته للعالم والسؤال عما لا يعلم ممن هو أعلم منه. علم سبعة أشياء لسبعة ﴿**عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**﴾[919] علم الخضر علم الفراسة ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا**﴾[920] علم يوسف التعبير ﴿**وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ**﴾[921] علم لداوود صنعة لبوس ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ**﴾[922] علم سليمان منطق الطير ﴿**عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ**﴾[923] علم عيسى علم التوراة والإنجيل علم محمّدا صلى الله عليه وسلم وعلى إخوانه الأنبياء علم الشرع والتوحيد ﴿**وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ**﴾[924] فعلم آدم سبب السجدة له للتحية وعلم الخضر سبب التلمذ مثل موسى ويوشع وعلم

---

[919] البقرة 31

[920] الكهف 65

[921] يوسف 101

[922] الأنبياء 80

[923] النمل 16

[924] النساء 113

يوسف لوجود الأهل والمملكة وعلم سليمان لوجدان بلقيس والغلبة وعلم داوود للرياسة والملك وعلم عيسى لزوال التهمة وعلم محمّد صلى الله عليه وسلم وعلى إخوانه لوجدان الشفاعة فمن علم أسماء المخلوقات وجد آدم تحية الملائكة فمن علم ذات الخالق وصفاته يجد تحية ربه ﴿**سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ**﴾[925] فمن كان عالمًا بتأويل كتاب الله ينجو من حبس الشبهات ﴿**وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[926] عليك بالأدب فإنه دليل على المروءة وأنس في الوحشة وصاحب في الغربة وقرين في الحضر وصدر في المجلس ووسيلة عند انقضاء الوسائل وغني عند العدم ورفعة للخسيس وكمال للشريف وجلال للملك فآفة الأمراء ضعف السياسة وآفة العلماء حب الرياسة فالمعصية لا يرجى برؤها فبالعلم استغفر آدم وبلسان الجهل استكبر إبليس. لما ملك يوسف طلب وزيرًا فعين له الله رجلاً مهملا فقال يا رب كيف وهو سيءُ الحال قال لأنه ذب عنك ﴿**إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ**﴾[927] فشركه الله معه في الملك بالدفاع[928] عنه فكيف يمنع الله الخير لمن يذب عنه وعن شريعته ودينه. طلب أحد خدمة ملك فقال له اذهب حتى تتعلم كيفية خدمتي فلما ذاق حلاوة العلم أرسل إليه بأن صلحت لخدمتي فقال كنت أهلاً لخدمتك حين لم ترني أهلاً فبعده رأيت نفسي الآن أهلا لخدمة ربي فقبل أظن أن الباب بابك والآن أعلم أن الباب باب الله. فالقلب ميت وحياته بالعلم والعلم ميت وحياته بالطلب والطلب ضعيف وقوته بالمدارسة فإذا قوي بالمدارسة احتجب وتظهره المناظرة فإن ظهر بها عقم وينتج بالعمل فإذا زوّج العلم بالعمل توالد وتناسل ملكا أبديًا لا آخر له فنملة واحدة نالت الرياسة

---

[925] يس 58

[926] يونس 25

[927] يوسف 26

[928] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة بادفاع

بمسألة واحدة علمتها ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[929] إشارة إلى تنزيه الأنبياء عن الظلم فلا يخطمون إلا عن سهو فالكلب المعلم يطهر صيده بالعلم فالنفس طاهرة فطرة فإن تنجست بالذنب طهرها العلم. قال الله لموسى في التوراة عظم الحكمة فاني لا أجعل الحكمة في قلب عبد إلا وأردت أن أغفر له فتعلمها ثم اعمل بها ثم أبذلها كي تنال بذلك كرامتي في الدنيا والآخرة. قال لداوود في الزبور قل لأحبار بني إسرائيل ورهبانهم حادثوا من الناس الأتقياء فإن لم تجدوا فيهم تقيًا فحادثوا العلماء فإن لم تجدوا عالمًا فحادثوا العقلاء فإن التقى والعلم والعقل ثلاث مراتب ما جعلت واحدة منهن في أحد من خلقي وأنا أريد هلاكه فلا يوجد تقي بلا علم كالخشية فلا علم إلا بالعقل والعاقل قد لا يعلم فالعقل بذر والعلم شجر والتقوى ثمر. وفي الإنجيل: ويل لمن سمع العلم فلم يطلبه كيف يحشر مع الجهال إلى النار اطلبوا العلم وتعلموه فإن العلم إن لم يسعدكم لم يشقكم وإن لم يرفعكم لم يضعكم وإن لم يغنكم لم يفقركم وإن لم ينفعكم لم يضركم ولا تقولوا نخاف أن نعلم فلا نعمل ولكن قولوا نرجو أن نعلم فنعمل إذ العلم شفيع لصاحبه وحق على الله ألا يخزيه وإن الله تعالى يقول يا معشر العلماء -يوم القيامة- ما ظنكم بربكم فيقولون ظننا أن ترحمنا وتغفر لنا فيقول فإني قد فعلت إني أستودعتكم حكمتي لا لشر أردته بكم بل لخير أردته بكم فادخلوا في صالح عبادي إلى جنتي برحمتي. فالعالم كالنسخة التي أثبت فيه جميع المعلومات بتفاصيلها وأقسامها وهو في عالم الأرواح كالشمس في عالم الأجسام كاملا ومكملا واسطة بين الله وعباده. فالأمور أربعة: قسم يرضاه العقل دون الشهوة كمكاره الدنيا وقسم ترضاه الشهوة دون العقل كالمعاصي وقسم ترضاه الشهوة والعقل وهو العلم والجنة وقسم لا ترضاه الشهوة والعقل وهو الجهل والنار فمن رضي بالجهل فقد رضي

[929] الأعراف 95

بنار حاضرة فمن اشتغل بالعلم خاض في جنة حاضرة كما يعيش يموت وكما يموت يبعث فاللذة إدراك المحبوب فكلما كان المدرك أشرف كانت اللذة أشرف وأتم ومدرك العقل هو الله تعالى وجميع مخلوقاته من الملائكة والأفلاك والعناصر والمواليد وجميع أحكامه وأي معلوم أشرف من ذلك فلا كمال ولا لذة فوق كمال العلم ولذته ولا نقصان مثل ألم الجهل ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾[930] فالغفلة هي الغاية في الخسة وأوصلك إلى غاية الشرف العلم فاستحقاق الإنسان الأكرمية بوصف العلم فهو أشرف عطية وأعظم موهبة ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[931]، ﴿**ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ**﴾[932] فليس أهل الجنة إلا العلماء. فإنما مفيدة للحصر فاللام لمن خشي للاختصاص فمن لم يكن عالمًا بالشيء استحال أن يخافه. فذات العلم لا تكفي إلا بثلاثة: العلم بالقدرة فالملك يعلم باطلاع الرعية على أفعاله القبيحة فلا يخافهم لعدم قدرتهم عليه والثاني العلم بكونه عالمًا فالسارق للسلطان يعلم قدرته لكنه لا يخافه فإنه عنده غير عالم والثالث العلم بكونه حكيما فالمسخرة عند الملك يعلم قدرة الملك وعالميته لكنه يعلم أنه يرضى بما يقوله فلا يخافه. فلا يحصل خوف العبد من ربه إلا إذا علم قدرته وعالميته وأنه غير راض بالمنكرات فالخوف من لوازم العلم فإن كنت مع سلطان مثلا في قهوة وحانة[933] ولم تعرفه فإنك لا تجد منه خوفًا ولا حياء ولا مهابة ولا أنسا إلى آخر صفات الجمال والجلال وسببه الجهل به فإذا سألت عنه وعرفته حصلت لك في قلبك صفات جلال وجمال ومهابة

---

[930] العلق من 1 إلى 5

[931] فاطر 28

[932] البينة 8

[933] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة وحانية

وأنس فببينك وبين العلم السؤال فالجهل حرمان ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[934]، ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[935] فلا يستغني عاقل عن العلم إلى القبر فبالعلم تكلم هدهد أحطت بما لم تحط به خبرًا فالساقط إن تعلم قُبل قوله عند السلاطين: تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة[936]. فالتفكر يوصلك إلى الله والعبادة إلى ثوابه فالتفكر في ذات الله يوصل إلى الكفر. فاطلب أربعة في أربعة: من الموضع السلامة ومن المصاحب الزيادة ومن المال الفراغة ومن العلم المنفعة فالموضع بلا سلامة السجن خير منه فالصاحب بلا زيادة الكلب خير منه فالمال بلا فراغة المدر خير منه فالعلم بلا منفعة الموت خير منه. فلا تتم أربعة إلا بأربعة: الدين بلا تقوى والقول بلا فعل والمروءة بلا تواضع والعلم بلا عمل، فالدين بلا تقوى على الخطر والقول بلا فعل كالهذر والمروءة بلا تواضع كالشجرة بلا ثمر والعلم بلا عمل كالغيم بلا مطر. فقوام الدنيا بأربعة: عالم يعمل بعلمه وجاهل لا يستنكف عن تعلم وغني لا يبخل بماله وفقير لا يبيع آخرته بدنياه فالبصيرة كالبصر فأقل شيء يغيره فإن على بصرك شيئًا وضعت عدم البصر فكيف إن وضعت كرة الدنيا في بصيرتك كيف تبصر فحد العلم ما يعلم به أو ما يصير الذات به عالمًا عند الأشعري والقاضي معرفة المعلوم على ما هو عليه وعند المعتزلة الاعتقاد المقتضي سكون النفس وعند الفلسفي صورة حاصلة في النفس مطابقة للمعلوم فخرج فيه علم الله وفيه مفاسد وإنما أتيت به لئلا يغتر به فالمحقق بديهي لا يحد. فأبين هنا ألفاظا تقرب للعلم: الإدراك هو الوصول فالقوة العاقلة تصل إلى حقيقة المعقول **الثاني** الشعور إدراك بغير استثبات وهو أول مراتب وصول المعقول إلى القوة العاقلة فلا يوصف به الله

---

[934] طه 114

[935] الكهف 66

[936] ينْسب إِلَى السّري السَّقطِي رحمه الله، وينسب إِلَى ابْن عَبَّاس، وَإِلَى أبي الدَّرْدَاء رضي الله عن الجميع

الثالث التصور كأن حقيقة المعقول حلت في العاقلة حلول الشكل في المادة **الرابع** الحفظ تمكن الصورة في العاقلة فلو زالت تمكنت من ردها **الخامس** التذكر استرجاع الصورة المحفوظة وهو التفات النفس إلى عالمها **السادس** الذكر وجدان الصورة الذاهبة في العاقلة.

الله أعلم أني لست أذكره * وكيف أذكره إذ لست أنساه**

فالقول ذكر لسببيته في حصول الصورة في العاقلة ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ**﴾[937] أي المذكر **السابع** المعرفة فقيل إدراك الجزئيات والعلم إدراك الكليات وقيل التصور والعلم التصديق والتحقيق فيها إدراك صورة العلم المتقدمة المنحجبة عنه فيعلم أنه قد أدركها أولا فالروح قبل القارورة الجسمية عالمة بربها على التمام فلما تلطخت بالجسم حجبت فإذا تنورت بالعلم والعمل رجعت الصورة الأولية فهي المعرفة **الثامن** الفهم تصور الشيء من لفظ المخاطب فالإفهام إيصال المعنى باللفظ **التاسع** الفقه العلم بغرض المخاطب من خطابه ﴿**لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا**﴾[938] لا يقفون على المقصود الأصلي من التكاليف **العاشر** العقل العلم بصفة الأشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصها ونفعها وضرها حتى يصير مانعا من الفعل ومن الترك فالعاقل من عقل عن الله أمره ونهيه **الحادي عشر** الدراية المعرفة الحاصلة بضرب من الحيل كترتيب المقدمات فلا يطلق على الله **الثاني عشر** الحكمة اسم لكل علم حسن وعمل صالح وهو بالعلم العملي أخص منه بالعلم النظري وكثر الاستعمال في العمل وهي الاقتداءُ بالخالق على قدر قوة البشرية أن يجتهد أن ينزه عمله عن الجهل وعدله عن الجور وجوده عن البخل وحلمه عن السفه **الثالث عشر** علم اليقين وعين اليقين

---

[937] الحجر 9

[938] النساء 78

وحق اليقين فعلم اليقين عن نظر وعين اليقين عن كشف ونوال وحق اليقين ما تحقق انفصاله عن لوث الصلصال بوروده رائد الوصال **الرابع عشر** الذهن قوة النفس عن اكتساب الحدود والآراء **الخامس عشر** الفكر انتقال النفس من التصديقات الحاضرة إلى المستحضرة فيجري به مجرى التضرع إلى الله في استنزال العلم من عنده **السادس عشر** الحدس قوة النفس بها يهتدى بسرعة إلى الحد الأوسط في كل قياس **السابع عشر** الذكاءُ شدة الحدس للغاية ذكت النار اشتعلت **الثامن عشر** الفطنة تنبه لشيءٍ يقصد تعريضه كالأحاجي والرموز **التاسع عشر** الخاطر حركة لنحو حق أو حظ **العشرون** الوهم الاعتقاد المرجوح **الحادي والعشرون** الظن الاعتقاد الراجح فعن امارة قوية قبل ومدح وعليه أكثر أحوال العالم مدارًا وعن امارة ضعيفة ذم ﴿**إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾[939] **الثاني والعشرون** الخيال الصورة الباقية عن المحسوس بعد غيبته فإن عن نوم فطيف **الثالث والعشرون** البديهة المعرفة الحاصلة للنفس من غير توسط الفكر كالكل أعظم من الجزءِ وهو الأوليات **الرابع والعشرون** الروية المعرفة بعد فكر كثير **الخامس والعشرون** الكياسة تمكن النفس من استنباط ما هو أنفع: الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت[940] **السادس والعشرون** الخبر معرفة تحصل بتجربة **السابع والعشرون** الرأي إجالة الخاطر في المقدمات التي يرجى منها الإنتاج فالقضية المستنتجة من الرأي رأي والرأي للفكرة كآلة للصانع إياك والرأي الفطير **الثامن والعشرون** الفراسة اختلاس المعارف فيحصل للإنسان من باطنه بلا معرفة سببه إلا صفاء جواهر الروح وهو شبه الإلهام: **إن في أمتي المحدثين وإن عمر منهم**[941]. وربما يسمى النفث في الروع ومنه ضرب يحصل بالاستدلال من

---

[939] الحجرات 12

[940] الترمذي وابن ماجه وأحمد عن شداد بن أوس رضي الله عنه

[941] مسلم من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها مع اختلاف في اللفظ

الأشكال الظاهرة على الأخلاق الباطنة ﴿**أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ**﴾ للأول ﴿**وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ**﴾ للثاني اهـ خلق الله آدم فتجلى فيه فبالتجلي علمه التخلق بأخلاقه والاتصاف بصفاته فهو سر الخلافة في الحقيقة فالمرآة خليفة المتجلي فيها فالفضيلة بالعلم لا غير فكل شيء يسبح ويعبد ربه فالعلم صفة الحق والطاعة صفة الخلق فلم يقل له علمهم إشارة إلى أنهم ليست لهم الترقيات في الدرجات والملكوتيات لهم شهادة كالجسمانية لنا ولا يتجاوزون ما فوق سدرة المنتهى قال جبريل لو دنوت أنملة لاحترقت. فالجسمانيات مرتبة دونهم فأمكن الإنباءُ بها لأن الجسمانيات لهم كالحيوانات لنا وأما الإلهيات فليس لهم استعداد الترقي إليها فلم يقل بأسمائهم كلها يعني أسماء الخلق لا للحق العاليات عليهم ولا النازلات لئلا يكلفهم بما لا يطاق.

خص آدم بالأسماء كلها واحتاجت الملائكة إلى الإنباء لأنه خلاصة العالم فخلق شخصه بعد تمام العالم بما فيه كخلق الثمرة بعد تمام الشجرة فتعبر الثمرة على أجزاء الشجرة لتظهر على أعلى الشجرة فعبر آدم على أجزاءِ شجرة الوجود فحصل له من كل أجزائها مضرة ومصلحة ومنفعة ومفسدة فحصل له من كل جزء اسم يلائمه فجاءت أسماء الله على وفقه فضلا عن أسماء غيره فلما كان مخلوقا كان الله خالقًا كان مرزوقا والله رازقا وعبدًا والله معبودًا ومعيوبًا والله ساترًا ومذنبًا والله غافرًا وتائبا والله توابًا ومنتفعا ومتضررًا والله نافعا وضارًا وظالما والله عادلا ومظلوما والله منتقما إلى آخر الأوصاف فلما خصص الله آدم بالخلافة والتعليم أسجد له الملائكة فضلا عمن دونهم فالملك من حيث هو مسخر له لحكمته البالغة ﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾[942] فأمروا بالسجود قبل تسويته فهو قبلة للخلائق كلهم جنا وملكا وغيرهما ما عدى بنيه فإنهم نسخته يعمهم ما يعمه وهو

[942] الحجر 27

إمامهم وقدوتهم وهو القطب الذي يدور عليه أمر ملك الله وهو خليفة حيثما كان الله إلها فالسجود في عرف الشرع وضع الجبهة على الأرض فحل في شريعته: **لو كان السجود يحل لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها**[943]. ناسخ لشرائع قبلها فصار سجود الملائكة الآن لبنيه الانقياد والاقتداء بهم وقبل النسخ سجود على الجبهة والانقياد والاقتداءُ به فالملائكة طائفة العارفين وإن لم تجب عليهم شريعة التكليف فلا يزيلون قشر الشريعة تبعًا لإمامهم القطب الآن زمننا فالمعتزلة على أن إبليس لم يكن ملكا والفقهاء على أنه ملك فحجة المعتزلة ﴿**إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ**﴾[944] ﴿**بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ**﴾[945] فالفقهاء الجن طائفة من ملائكة الجنة فله سموا جنا كالاستتار في أصل اللغة فإبليس له ذرية ﴿**أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي**﴾[946] فلا تلد الملائكة ولا يتصفون بذكورة ولا أنوثة ﴿**وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا**﴾[947] منكرًا عليهم فالملك معصوم وإبليس كافر وخلق من لهب النار والجان من مارج والملك من نور قال صلى الله عليه وسلم: **خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار**[948]. فالملائكة روحانيون من الريح والروح ورسل ﴿**جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا**﴾[949] ورسل الله معصومون ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ**﴾[950] فحجة الفقهاء أنه استثناه من الملائكة وحمله على المتصل أولى والراجح أنه أسرته

---

[943] الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه

[944] الكهف 50

[945] سبأ 41

[946] الكهف 50

[947] الزخرف 19

[948] مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

[949] فاطر 1

[950] الأنعام 124

الملائكة فربي في وسطهم حتى ساس عوالم الملائكة كأنه منهم وليس منهم وهو مذهب الحسن البصري وإن روي عن ابن عباس وأنس أنه من الملائكة قال الحسن لم يكن من الملائكة نفسًا واحدًا [قلت] وقول الله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾ معناه أمر الله العوالم كلها مفضولها وأفضلها فأطلق الملائكة يعني وأحرى من دونهم كإبليس ومن ماثله فسجدت الخلائق كلهم إلا أرذلهم ﴿إِبْلِيسَ أَبَى﴾ لمكان كبره على خلق ربه وإعجابه بنفسه فاستكبر على ربه فعصاه في كل شيءٍ شيءٍ فطرد ولعن وصير شيطانا لمن اتصف بصفته فقط كالحج عرفة[951] مثلا فالاستثناءُ عليه متصل فإذا أسجد الله رسله وأحرى من دونهم فلم يعصه إلا إبليس فأبلسه آيسه من رحمته أفعيل من الإبلاس فمنع من الصرف لقلة وزنه في العربية كإسحاق من أسحقه الله إسحاقا فما صارت إليه المعتزلة هنا أصح وأثبت وأقوم ﴿يُوتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾[952] فإبليس أبو الجن الموجودين بعده كآدم لبنيه فآدم إمام الخلائق أجمعين طوعا أو كرها فالملائكة معصومون فالنجوم والشمس والقمر مراكب الملائكة لا عين الملائكة فلكل نقيب من الأملاك نجم يسبح فيه تدور بهم الأفلاك في كل دورة فلا يفوتهم شيءٌ من أحوال المملكة السماوات والأرضية فمنهم جنود وأمراء ووزراء وملوك فكل ملك لا يتفقد أحوال رعيته فقد استحق العزل فبين ولاة الأرض وولاة السماء مناسبة تامة فإن قام استعداد في والي الأرض يتلقى الأمر والرقائق التي تمد به الملائكة ولاة الأرض كان حكما عدلا مطهرًا من شوائب القبح إمام فضل إلا كان إمام جور ونائب ظلم فلا يلومن إلا نفسه فالملك يتطور كيف شاء في غير صورة ملك آخر كالجن والكامل من البشر يتطور في صورة غيره من البشر وغيره من أنواع المخلوقات فهو

[951] أبو داود والنسائي والترمذي عن عبدالرحمن بن يعمر الديلي رضي الله عنه
[952] البقرة 269

أكمل من الملك قوة فلا يظهر جبريل في صورة إسرافيل فلا ينبغي التفضيل بين الملائكة فلا يقال جبريل أفضل من ميكائيل ولا غيره فلا يوصف ملك بنبوة ولا ولاية لا يجهل ولي ولا نبي وهم جهلوا بالأسماء فعلمهم آدم أعني أنبأهم فلا يقبلون تعليما فإن كل ملك لا يعرف ربه إلا بفيض اسم خاص به وإنما له اسم واحد وفاتت له المعرفة بقدر الأسماء فالخليفة انطوت فيه الأسماء الإلهية فبقدر معرفة الأسماء تكون المعرفة والجهل بقدر الجهل بالأسماء فالملائكة كلهم من عالم الخير فلا يتسخطون على مؤمن أبدًا بل يستغفرون له فقولهم اللهم أعط ممسكا تلفا[953] دعاء له بأن يتلف ماله في طاعة ربه فيثاب عليه فليس في قوة البشر أن ينزل ملكا من مقامه بالإقسام عليهم بالأسماء كما عليه أهل الرصد ﴿**وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ**﴾[954] فلا يؤثر الإقسام فيهم من مراتبهم بخلاف أرواح الكواكب فإنها تنزل بالأسماء والبخورات وأشباهه فإنه تنزل معنوي ومشابهة روحانية لصور خيالية فلا تبرح الكواكب من محلها وإنما جعل الله لمطارح شعاعها في عالم الكون والفساد بإذنه تعالى تأثيرات عند العارفين بها كوجود الري عند شرب الماء ونبات الحبة بكيفيتها في وقتها حكمة الحكيم تعالى ﴿**وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا**﴾[955] هم الملائكة لاجتنانهم عن أعيننا مع حضورهم في مجالسنا فبيننا وبينهم حجاب مستور فلا نراهم إلا إذا ظهروا لنا فالجنة هم الملازمون للبشر ﴿**وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا**﴾[956] وإنما منعت رؤيتهم عادة فإذا خرق الله عادته رآهم بالله البشر بإزالة الحجاب أو تجل منه للملك بالظهور فلا يكلمهم غير نبي حالة الرؤية فالولي إن رآه لا يكلمه وإن كلمه لا يراه فلا حظ للملك في

---

[953] البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه

[954] مريم 64

[955] الصافات 158

[956] الإنفطار 10

الشقاء فما ذكروه في هاروت وماروت لم يصح منه شيءٌ فالسعادة والشقاوة خاصان بالإنس والجن وإنما سجدوا لخلافة الله في آدم وبنيه فقول ابن العربي الحاتمي السجود عن إغضاب الرب في غير محله إما أنه لم يثبت عنه أو سكر فلا تغضب الملائكة ربهم أبدًا فإنهم معصومون من مثله فلما قال الله خليفة علمت الملائكة فضله بالله وعلم إبليس فضله بعد أن أمر بالسجود له لكن منعه الحسد والإعجاب فمحرف التوراة والإنجيل شر من إبليس فلم يحرف إبليس خطاب ربه بل آمن به وصدقه لكن سبق له الشقاءُ بالحسد والإعجاب والرياسة فلا يسجد أحدنا لأحد مثله فإنه لا يخضع أحد لنفسه أو مثله ونهينا عن الانحناء أيضًا وأمرنا بالمصافحة وإنما أسجد الله الملائكة لآدم تعظيمًا لهم كقوله ﴿**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾[957] لا ابتلاءً فافهمه فلا يتصور عقلا ولا شرعا اعتراض الملائكة عن الله فمن قاله تقف منه الأشعار وتضرس به الأضراس. ورد: **صفوا في الصلاة كما تصف الملائكة عند ربها**[958]. فصفوف الملائكة عند ربها هم صفوف وراء إمامنا فالرب تعالى -كما يليق بجلاله- في قبلة إمامنا الإنسان وإمامنا في قبلة الملك المقتدي فلا تزال الخلافة في بني آدم ما دام مصل لله منهم فهم الأيمة والملائكة المأمومون فإمامة جبريل لسيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم إمامة إعلام بكيفية الصلاة وأوقاتها وهيآتها والرسول إمام لجبريل في الحقيقة وإنما هو خادم والرسول مخدوم فما زال سجود الملائكة لآدم وبنيه إلى قرب الساعة فالشأن الإلهي إذا وقع في الدنيا لم يرتفع بل يكون ديمة سلالة نسي آدم فنسيت ذريته فلا مؤاخذة به جحد نعمة دار الخلافة الأرض بحبه البقاء في حضرة قدس ربه الجنة تأويلا قريبًا فجحدت ذريته فالمجتبى تأويلا قريبًا وغيره تأويلا

---

[957] النساء 80

[958] مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه مع اختلاف في اللفظ

بعيدًا فالكافر بلا تأويل أصلا قتل قابيل هابيل فصار سلالة في أولاد آدم فالإمام سترة لمن وراءه من الملائكة وغيرهم فسجود الملائكة لآدم سجود متعلم للعلم وسجودهم لبنيه سجود لقراءة الإمام وإنما لم يقف رسول الله حذو جبريل لأنه رآ الملائكة فاصطف معهم فالملائكة وإمامنا عند ربهم فكل صف إمام وسترة لمن بعده فالفرض استغرق أنفاس الملائكة فلا تفل لهم فعبادتهم اضطرارية والبشر عبيد اضطرار واختيار فالاختيار سببه محبة الله ففضل البشر بالعلم والمحبة والاختيار كالفكر الذي يزيد به العلم فكنته وكنت سمعه خاص بالبشر فما أعظمها منفعة ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ**﴾[959] بالخلافة والعلم والاجتباء والمحبة فسبحانك يا من فضلنا وشرفنا بالانتساب وجنسية سيد الكائنات صلى الله عليه وسلم فالرقيب العتيد هما الحافظان يكتبان كل ما تلفظ به العبد فإنه هو المطلوب للحضرة الإلهية فيحصيان أقواله وأفعاله الظاهرة فلا اطّلاع لهم على القلوب فالله عند قول كل قائل فيرى الملك اللفظ نورًا ومن به القائل الذي الله عند لسانه فيأخذه الملك أدبًا مع القول فيحفظه إلى يوم القيامة فهم شهود أقوال فملائكة العروج تصعد بأفعال العبد وتستقله فيقبل لإخلاصه فيه وتصعد بأعمال تستكثره فلا يقبل منها لعدم إخلاص فالفعل يصعد به والقول يكتب فتعلم الكتبة الأفعال فلا تكتبها حتى ينطلق بها لعدم اطلاعهم على النيات وإن نطق كتبتها حتى حركة لسانه: إن الله مع الذاكر بالاعتناء به. فهذه الكينونة هي التي تحدث بحدوق الكون فكل شيءٍ بكلمة التكوين فهو القول الإلهي فجميع ما تكوّن من الأجرام والأعراض إنما عن الكلمة فلا مناسبة بين العبد وربه أعم ولا أتم إلا نسبة الإفضال بالكلمات الإلهية الموجدة لكل شيء إن الله عند قول كل قائل فالقول منفصل عن القائل فلو لم يكن معه الله لضاع فينشئه الحق صورة

---

[959] الإسراء 70

قائمة الخلقة فيربها كما يربي الصدقة بيديه حتى تكون كالجبل العظيم فلم يقم دليل على أن الملائكة تكتب الأعمال التي لم تدر نية صاحبها فالمعقبات من بين يديه ملائكة التسخير لا الحفظة فحفظة الأعمال وحدهم وحفظة الأقوال وحدهم وملائكة التسخير وحدهم والساكنون في الجسم وحدهم والحافظون لذات العبد وحدهم فالسفرة البررة رسل الله وسفراؤه إلى خلقه ورئيسهم جبريل عليه السلام فإذا أراد الله إنفاذ أمر أمر الملك القريب الأقرب بالوحي إلى تنفيذ الأحكام وهو الكرسي فيلقي الأمر على وجوه مختلفة فيأمره بأن يوحي إلى من يليه ويوحي إلى من يليه وهكذا إلى سماء الدنيا فينادي ملك الماء فتوضع تلك الرسالة في الماء وينادي ملك لمات القلوب فيلقونها في قلوب العباد فيعرف الشياطين ما جاءت به الملائكة وتأتي بأمثاله إلى قلوب الخلق فتنطق الألسنة بما تجده في القلوب وهي الخواطر قبل التكوين بأنه كان كذا واتفق كذا لما لم يكن فما يكون منه بعد الكلام به فكذلك مما جاءت به الملائكة وما لم يكن هو ما ألقاه الشيطان ويسمى الأراجيف فكل من شرب من الماء الذي ألقى فيه الملك عرف سره إلا الثقلين. فليس للملائكة آخرة لعدم موتها وإنما تصعق كالنوم وتفيق فالإفاقة عندنا حال الممكن في التجلي الإجمالي في الدنيا الآخرة والإجمال هناك عند الملائكة هو المتشابه عندنا فيسمعون الوحي كصلصلة الجرس كسلسلة على صفوان فإن أفاقوا حصل التفصيل والتمييز نظير المحكم عندنا فإن غفلنا تشابه الأمر وإن صحونا من حضرة الفناء حصل المحكم فالأمر في البشر والملائكة آيات متشابهات وآيات محكمات فعم الابتلاءُ بالإجمال والمتشابه للملأين الأعلى والأسفل فتتفاضل الملائكة بالعلم من غير فرق ﴿**مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ**﴾[960] فالملائكة أرواح في أنوار ولها أجنحة أي قوى فإن تكلم الحق بالوحي على صورة خاصة وسمعوه

---

[960] سبأ 23

كسلسلة على صفوان ضربت بأجنحتها وخضعت وصعقت ﴿**حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ**﴾[961] وهو الإفاقة بقول بعضهم لبعض ﴿**مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ**﴾[962] في الوحي قال ربكم كذا فكلامه عين ذاته قال بعضهم ﴿**الْحَقَّ**﴾ قال تعالى ﴿**وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾ فالبشري يتصرف في عالم الصور والأنفس المدبرين لهذه الصور ما عدا العالم النوري الملكي فإن الله عين لكل أحد مرتبة فمن أرادهم طلبهم من ربهم فالسياحون مقامهم السياحة لطلب الذكر بالقرآن فإنه عيشهم فإن لم يجدوه طلبوا الذكر بغيره فهو رزقهم وفيه حياتهم فالإمام المهدي إذا ظهر يقيم جماعة يتلون كتاب الله آناء الليل والنهار فالملائكة بعد أن أنبأهم آدم لم يكن فيهم جاهل بالله بل هم علماء بالله أي بالتوحيد لا بالوجود فالوجود لا يجهله أحد فاختصت الملائكة بعلم لا يعلمه البشر إلا إذا انقطع إلى الله بتجرده عن بشريته وعن حكم الطبيعة حتى يبقى الروح المنفوخ على أصله فيتخلص للعلم بالله من حيث يعلمه الملائكة فيعبد عبادة الملائكة فلا شهوة للملك وإنما فطروا على العبادة والمعرفة بالله وعلى الإرادة فلولا الإرادة ما مدحوا بالعصمة فالحيوان البهيمي فطر على العلم بالله وعلى شهوة خاصة فالإنس والجن فطروا على المعرفة والشهوة فالشهوة إرادة طبيعية فليس للجن والإنس إرادة إلهية كالملائكة وفطرهما الله على العقل لردع الشهوة في الدنيا خاصة فكل ما استفاده الجن والإنس من العلم إنما هو بطريق الفكر لا[963] بوهب لدني فعلم الإنسان بفطرة وضرورة وإلهام فالكشف انكشاف العلوم التي فطره الله عليها فهو يرى به معلومه وأما الفكر فمحال أن يصل به إلى العلم فالنفس الناطقة تتلقى العلم من ربها

---

[961] سبأ 23

[962] سبأ 23

[963] وردت في الطبعة الأولى بدرب غلف بصيغة إلا ولعل الصواب والله أعلم "إنما هو بطريق الفكر لا بوهب لدني"

كشفًا وذوقا من الوجه الخاص من طريق الإلهام فلكل موجود وجه خاص إلى الله فالفكر الصحيح الإمكان فقط فلا يزيد عليه ويدرك أن الله فعال لما يريد بخلاف الإلهام والكشف فإنما يصل العبد بالنظر الصحيح في المعرفة بالله الحيرة في الله التي هي مبتدئُ البهائم فإنها مفطورة على الحيرة والعبد يريد أن يخرج فلا يقدر أبدًا. فأصناف الملائكة ثلاثة المهيمون في جمال الله تجلى لهم ربهم باسمه الجميل فهيمهم وأفناهم عنه فلا يعرفون نفوسهم ولا من هاموا فيه أوجدهم ربهم من أبنية العماء الذي ما فوقه هواء وما تحته هواء بجعل ما ينافيه وهم أرواح في هياكل أنوار كالملائكة الآن وليس لهم ولا للملائكة إلا ولاية الممكنات فالصنف الثاني ملائكة التسخير كالمسخرين لنا بالعروج ليلاً ونهارًا من حضرة الحق الخاصة بنا ومن حضرتنا إلى الحق كالمستغفرين لمن في الأرض وللمؤمنين خاصة وكالموكلين بالخواطر والأرحام والإلهام ونفخ الأرواح والأرزاق والأمطار وبالإنسان وكالصافات والزاجرات والتاليات والمقسمات والنازعات والمرسلات والناشرات والسابقات والسابحات والملقيات والمدبرات وغيرها وكل من عموم النبيئين أفضل من هؤلاء فرأس ملك التسخير القلم الأعلى وهو العقل الأول سلطان التدوين والتسطير فالعالم للتخير مع العالم المهيم إلا أن الله حجبهم عما هيموا به من التجلي الثالث ملائكة التدبير الأرواح المدبرة للأجسام كلها طبيعية ونورية وفلكية وعنصرية جميع أجسام العالم فليس للملك كسب المقام وإنما طبعت على مقامها لا تتعداه وإن زادت علومًا فلا تكون عن فكر واستدلال فلا تعطى نشأتهم ذلك فالأجنحة هي القوى لكن لا تتعدى بالقوة مقامها فغاية كل فرد منهم التصرف في مقامه فقط فينزل الملك بأجنحته فلا يصعد عن مقامه بخلاف الطائر فإنه يصعد عن مقامه وينزل فأصل أجنحة الطائر الصعود وللملك الهبوط فالطير إذا نزل نزل بطبعه وإذا طار طار بجناحه والملك إذا نزل نزل بجناحه وإذا ارتفع صعد بطبعه فيعرف كل موجود عجزه ويقف عند حده فنزول

الملائكة إلينا عروج كعلوهم في العلويات إظهارًا لإطلاق الحكم لله فلله في كل موجود تجل ووجه خاص به يحفظه ولا سيما وقد ذكر سبحانه له العلو على الإطلاق تجلي في العلويات أو السفليات ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى**﴾[964] ﴿**وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ**﴾[965] أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد[966]، فالعلو له دائما فكل نظر وقع للكون نزول وكل نظر وقع إلى الله عروج فالملك إذا توجه من مقامه لا يتوجه إلا إلى الله أنزلهم ربهم إلى من ينزلون إليه قال ﴿**تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ**﴾[967] وباعتبار نظرهم إلى ربهم قال ﴿**تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ**﴾[968] فالملك إذا عرج صعد بذاته فالرسول إذا عرج عرج تبعًا للملك لذات البراق ﴿**مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ**﴾[969] أعددت نفسك كبيرًا عن السجود لآدم الذي أمرك الله به فهو الذي كان في نفس الأمر ﴿**أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ**﴾[970] المهيمين الذين لم يكلفوا لهيامهم بربهم فليس هو منهم كما أنه لا حظ له في الكبر فلا حظ له في جنس الملائكة أيًا كانوا وإنما لحقه شؤم رؤية نفسه كبيرًا ﴿**إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا**﴾[971] فالعالون أرواح لا ملائكة فالملائكة الرسل فقط فالروح يطلق على كل هباء من جنس الذين خلقوا من نور والذين خلقوا من نار فمن أرسل من جنس النور سمي ملكًا وإلا سمي روحًا فقط فالجن إن آمن وأحسن سمي روحًا وإن كفر وتمرد سمي شيطانًا فالرسل من الروح هم

---

[964] الأعلى 1

[965] الأنعام 3

[966] مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه

[967] القدر 4

[968] المعارج 4

[969] ص 75

[970] ص 75

[971] الإسراء 37

الملائكة الذين سجدوا لآدم فالمهيم لا يعرف نفسه ولا من هيم فيه أصلاً فطبعه الهيام كالمجاذيب عندنا ساقطي التكليف ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾[972] يعني وأحرى من دونهم بيد أن المهيم سكران غير مكلف فتحصل أن الله أمر كل فرد من أفراد الكون بالسجود كما استفدناه من الآية فإنه لما أمر الأعلى بطاعة خليفته والسجود له على الجبهة دخل فيه الأدنى بالأحرى والأولى بايع أهل الحل والعقد للسلطان وأحرى غيرهم طوعًا أو كرهًا فلابد من الإكراه في البيعة لضعفة العقول وإلا فلا قهر فلو انتفى القهر لاستوى مع الرعية وهو سبب إخراج الله إبليس ومن تبعه لتطلبه قهرية الخليفة حتى يسلم أو يبطش به فإخراج الله إبليس عن آدم تعظيم لآدم وإظهار لمقام خلافته في الدارين فالاستثناءُ عليه متصل لدخوله في جنس المأمور بطاعة الخليفة إلى قيام الساعة فالعدو الواحد خير للعارف من ألف صديق فإنه يبحث عن العيوب فيجتنبها وهو مكر الله بإبليس من حيث لا يشعر والصديق يبحث عن المحاسن التي تطغي من استكبر ولم يعرف أنه خلق من ماءٍ مهين فالعارف يرفع الله حسناته في نظره فلا يشاهدها في الدنيا ولا في عرصات الآخرة وإنما يشاهد فضل ربه ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾[973] إليه ويغيبه عنه فيبقى ترابًا فقط كما كان عليه فيه أصالة فالعالون لا يعرفون أن الله خلق آدم لفنائهم فهو مقامهم وإن خلقوا من نوره وسادهم في كل حقيقة لكنهم غرقى في بحر الحب الإلهي فلم يشموا رائحة مخلوق من حيث هو بل أسكرهم الحال فالعامي تملكه الأحوال والخاص يملك حاله والعارف لا حال له فهو مقام الخلافة ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾[974] لم تكلف بالجسود وإن أمرت به لما أمرتك فأمر إبليس كغيره من جميع أجناس الخلق

[972] ص 73 والحجر 30

[973] فاطر 10

[974] ص 75

بالسجود بيد أن العالين لا يعقلون غير ربهم أصلاً فلا تختص الرسالة بجنس دون جنس فالملائكة جنس يعم الأرواح من الجن والإنس والملك فكل جنس فيه من أرسل ومن لم يرسل وإنما اختص الملك بالملكية من حيث الاسم واللقب فالملك والحيوان والنبات والمعدن لا شغل لهم عن ربهم أبدًا فالبشر له شغل بربه وعن ربه فالحيوان والنبات لا إرادة لهم كالملائكة في غير محبوبهم الله تعالى بل عكفوا على الطاعة أبد الأبدين ودهر الداهرين فشغل البشر عن الله هو المسمى بالغفلة والنسيان فله قال صلى الله عليه وسلم: إني لا أنسى أي لا تتصور فيّ الغفلة والنسيان أبدًا ولكن أنسى لأشرع الأحكام التي تترتب عن نسيان آدم وبنيه. فنسيان الأنبياء ذهول وهو اصطلام وانغمار في أمواج بحار التجليات الربانية لا غفلة ونسيان عرفي وهو انصباب أنوار صولة الحضرة الربانية عليهم: لي ساعة لا يسعني فيها غير ربي، كالمهيمين يتلون بتلون الأجزاء التي خلقت منه وهي الخلق كله فالعارف يغلب عليه الصحو والميز وربما يأخذه ربه فيغيبه عن نفسه ثم يرده إلى حضرة ميز المراتب كلها فللأرواح قوة التصور وهو الإدراك وليس لها القوة المصورة فإنها تابعة للمفكرة فلا فكر لهم والأرواح التي فوق الطبيعة لا تشاهد عالم الصور وليس لها قوة التصور فضلا عن القوة المصورة كالنفس الكلية والعقل والملائكة المهيمين في جلال الله فالجلال إذا غلب صار جمالا والجمال إذا غلب صار جلالا فالحسن المفرط مثلاً مدهش فأهل الحق والسنة من المتكلمين والأصوليين والفقهاء وهو الراجح والحق الذي لا يخطر بالبال غيره أن الأنبياء أفضل من الملائكة ومالت المعتزلة والشيعة إلى أفضلية الملك واختاره الباقلاني والحليمي من فقهاء أهل السنة محتجين بعشرين وجهًا

[قلت] لم يأذن الله في التفضيل بين الحقائق إلا بالشرع فمقابلة حقيقة بحقيقة من جنسها ممنوع شرعًا: لا تفضلوني على يونس بن متى، ومفاضلة حقيقة

على جنسها جائز وارد بالشرع: أنا سيد ولد آدم[975]، فلم يرو عنه أنه قال أنا سيد فلان بخصوصه فنحن مع الشرع ومفاضلة حقيقة على حقيقة من غير جنسها كالنبي والملك ممنوع طبعًا فلم يرد به نص ونحن مع الوارد فله لا تجد في المفاضلة إجماعا معتدًا به لكن حملهم على المفاضلة الظواهر فلأجل القواعد الشرعية والظواهر حكم بأفضليتهم على الملك باعتبار القواعد وأما باعتبار ما في نفس الأمر فلم يرد نص ولا إجماع عليه. ف﴿**الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**﴾[976] فالعندية عندية القرب. قال الحق انا عند المنكسرة قلوبهم وهم البشر فقط فهو أبلغ فعندية الحق أبلغ من عندية العبد عند ربه فالملك وإن قوي ولا يبلى ولا يفتر عن العبادة ولا يهرم فالبشر أكثر ثواباً بل ثواب الملك للبشر فإنه خلقت له الجنة دار ثواب فلا جنة للملك الثاني عبادتهم أشق: خير العبادة أحمزها[977] **أجرك على قدر نصبك**[978] لعائشة. فوجه أشقيتها أنهم سكان السماوات وهي جنان ومنتزهات ومعه فلا يلتفتون إلى نعيمها فلا يصبر البشر عنها ساعة واحدة فضلا عن الأعصر المتطاولة ﴿**إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى**﴾[979] فأطلق لآدم في الجنة ومنع من شجرة واحدة فلم يهلك نفسه [**قلت**] فالملك إنما طبع على العبادة فلا شهوة حسية كأكل ونكاح ولا معنوية كرياسة وحسد وعجب إلى آخر صفات الذم باعتبار العبد فعبادة البشر أشق للبشرية التي طبع عليها فالإنسان الكافر هو الطاغي لعلمه من نفسه استغناءه عن ربه زعما باطلاً وأما المؤمن فإنما يزداد خضوعًا وشكر النعمة فآدم إنما اغتر بإقسام إبليس ولم

---

[975] الحاكم عن جابر بن عبد الله وأبو نعيم في الحلية عن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عن الجميع

[976] الأعراف 206

[977] من كلام ابن عباس كما في النهاية لابن الأثير

[978] مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها

[979] العلق 6 و7

يعلمه إبليس بل ظنه ملكًا كريمًا ﴿**مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ**﴾[980] وإنما أكل الشجرة لحب الخلود في حضرة القدس ولم يعلم أنه إنما خلق لدار الخلافة التي يتجلى فيها الحق تعالى بأحكام جماله وجلاله فليس له في الجنة منزل لعدم العمل فلو بقي في الجنة إنما يبقى في أرض مسورة ولا بناء فيها في زمن إقامته فيها وإنما بناء مساكنها بالأعمال فلا درجة له فيها ولا حور ولا خيل ولا شيء من كل ما يخلقه الله من الأعمال وإنما تمتع بعقله وجزئه حواء فلذة الجنة إنما هي بالتكليف فلو بقي لنقصت مرتبته على مرتبته الآن ولكانت الجنة والنار غير مبنية المنازل وغير كاملة اللذة فاللذة إنما كملت بالعمل والنيات فلا تغتر بغيره فإنه اجتباه الله **الثاني** أن انتقال المكلف من نوع إلى نوع أسهل من عبادة الملك المتحدة كركوع دائمًا وسجود مثلا [**قلت**] فأسباب البلاءِ مجتمعة على البشر فرضوا بقضائه وواظبوا على التكليف وعورض الوجه الثاني بأن العادة طبيعية خامسة فمن طبع على شيءٍ واحد سهل عليه الأمر: **خير صومكم صيام داوود**[981]، يعني لئلا تألفه طبيعته فيحرم أجر التكليف **الثالثة** عبادتهم أدوم وخير العمل أدومه فالتسبيح كالنفس لهم فرسالتهم ولعنهم من أمروا بلعنه لا يمنعهم عن التسبيح فالعارف منا يجمع التلاوة والذكر والوعظ في نفس واحد وهو خرق للعادة فلا عادة للملائكة فإنهم في عالم خرقها كأهل الجنة ونوقض بأن الطاعة القليلة تصدر من الخليفة تكون أفضل من عبادة الملائكة في أعمارهم ﴿**وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ**﴾[982] أن يجعله خليفة **والرابعة** أنهم أسبق السابقين في العبادات﴿**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ**

---

[980] الأعراف 20

[981] النسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما

[982] البقرة 261

﴿الْمُقَرَّبُونَ﴾[983] من سن سنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة[984]. وعورض بأن السابقين حسابًا ودخولاً للجنة هم أمة محمّد صلى الله عليه وسلم بدليل **﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾**[985] فلا جنة للملك فإنها ثمرة الإيمان فالملائكة معاينون فقط **الخامسة** هم رسل إلى الأنبياء **﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾**، **﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾**[986] والرسل أفضل من الأمة وعورض بأن الرسول الأفضل إذا غلبه وحكم عليه بالتولية للخلافة كالأنبياء فمثلهم إرسال الملك عبدًا لوزيره فعلم أن الوزير أتم وأغلب فالعبد في قبضة تصرف الوزير بالإذن من الملك فلو أساء عليه لأدبه الوزير بالإذن المطلق له **السادسة** أنهم أتقى من البشر لدوام خوفهم **﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾**[987] مع وجود حب الرياسة فيهم **﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾**[988] **﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾**[989] ورد بأن تقوى الإنسان أكمل لأن الله جمع فيه شهوة البطن والباطن: **أنا أعلمكم بالله و أتقاكم**[990]، فأكرم الخلق على الله أتقاهم وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم ككل خليفة [**قلت**] فلا جنس للرياسة في الملك البتة **﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾**[991] إنما هو استعلام أي طلبوا العلم من ربهم فلم يحسدوا الخليفة ولا انتقصوه ولا اعترضوا على ربهم فهذا مما لا تقبله القواعد لعصمتهم فلو صدرت واحدة منهم لكانوا شرًا من إبليس فإنه لم يعترض على ربه وإنما تكبر طلبًا لبقاء رياسته فلعن وطرد فتباعدت مراتب الملائكة

---

983 الواقعة 10 و11

984 الطبراني عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه مع اختلاف في اللفظ

985 الواقعة 12

986 الشعراء 193

987 النحل 50

988 البقرة 30

989 الحجرات 13

990 البخاري عن أنس رضي الله عنه

991 البقرة 30

عن إغضاب ربهم فهو غير معقول ولا حظ للنظر في نظر من جوز ذلك في المعصومين لانقلاب الحقائق باجتماع المعصية مع المنع مع أنهم رسل وسفراء الله الأنبياء فلو تصور منهم ذلك لاتهموا في السفارة وبطلت الشرائع فيا عجبا لمن عقل وجوز المخالفة ممن عصمهم الله وأمنهم على وحيه من الملائكة والأنبياء فهو خور فلو انتقصوا إمامهم آدم لبطلت صلاتهم به **السابعة** ﴿**لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ**﴾[992] وعورض بمثل العالم فلان لا يستنكف أن يخدم القاضي والسلطان وعلم أن القاضي أكمل منه فالدرجات مندرجة تحت العبودية في حق البشر **الثامنة** ﴿**مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ**﴾[993] فلو لم يعتقد أفضلية الملك لما اغترا وهو حجة ورد بأن اعتقاد أفضلية الملك عليه من جهة الحسن وقوة البطش وغيره فإنهم خلقوا من نور وخلق من التراب فتمنى مرتبة قوتهم وحسنهم لا أفضلية الثواب فالثواب إنما هو للمكلف فلا ينتفع ملك بثوابه فلا دار له من الدنيا والآخرة وإنما هم برزخيون أبدًا لا غير فغرض إبليس إزلالهما في أنه لم يقع نهي وأتى في صورة غير صورته فالنهي الذي وقع له نهي اللوازم فقط وإنما قال له ما خلقت الجنة إلا لك مباحة فأشجار الجنة ونعيمها لطاف وهذه غليظة فأذن له في الجميع بالصراحة ونهاه عن الشجرة ضمنًا فاجتهد فلم يجد نهيًا بل وجد إباحة الجميع وخفي عنه لازم قوله غليظة فمن لازم الغلظ الإسهال ومن لازمه الخروج من حضرة الجنة فإنها لم تصلح للقاذورات والفضلات فالشجرة ليست من أشجار الجنة بل من أشجار الدنيا المتغيرة فلو كانت للخلد ما تغيرت وإنما أخفى عليه اللوازم الطمع في حضرة ربه والاجتهاد وإسعاف المؤمنة **التاسعة** ﴿**لَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ**﴾[994] أقدر على

---

[992] النساء 172

[993] الأعراف 20

[994] الأنعام 50

ما يقدر عليه ولا أعلم مثل علمهم ونوقض بأن الأفضلية بالشرع لا بالقوة والتشكل فإن الملك إذا أراد أن يباشر الأعمال الشاقة كسليمان مع آصف إنما يرسل من يطيقها فإنه ليس مكلفًا للخدمة وإنما خلق للخلافة فمثل الملائكة كآصف في قضية عرش بلقيس فلا يقدر سليمان أن يأتي به ككل قطب كبير إنما يأمر أهل دائرته فيتصرفون فلا يلزم عدم الاستواء في بعض الوجوه عدم الاختلاف **العاشر** ﴿**مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ**﴾[995] ورد بأن مقصودهن تعظيم يوسف في الحسن ليظهر عذرها فقول النساء ليس حجة وهن كافرات حينه **الحادية عشر** ﴿**وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**﴾[996] ورد بأنه لا يلزم تفضيلهم على الكثير الأفضلية على الباقي وإنما فضل الملك من حيث الصورة والقوة فالإنسان الكامل أكمل وأفضل بالعلم والخلافة فلذا استخدمهم لآدم وصيرهم مأمومين إلى قيام الساعة **الثانية عشر** أن الأنبياء استغفروا لأنفسهم ﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُومِنًا**﴾[997] قال إبراهيم ﴿**رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾[998]، ﴿**وَاغْفِرْ لِأَبِي**﴾[999] وقال لمحمّد صلى الله عليه وسلم وعلى إخوانه الأنبياء ﴿**اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾[1000] والملائكة لم يستغفروا لأنفسهم بل للمؤمنين ﴿**فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَ اتَّبَعُوا سَبِيلَكَ**﴾[1001] ورد بأنهم لم يطبعوا على الشهوة فالبشر أكمل بقمع الهوى مع وجود أسبابه وإن استغفارهم إنما يؤذن بخدمتهم للبشر كما يقول

---

[995] يوسف 31

[996] الإسراء 70

[997] نوح 28

[998] الشعراء 83

[999] الشعراء 86

[1000] محمد 19

[1001] غافر 7

ضعيفنا اللهم اغفر للمؤمنين ﴿وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾[1002] ومعلوم أن الصحابة أفضل إنّ الله فضل أصحابي على سائر العالمين ما عدا الأنبياء والمرسلين[1003]. فهو يؤذن بأفضليتهم على الملائكة فضلاً عمن فضلهم **الثالث عشر** ﴿**وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ**﴾[1004] فدخل فيه الأنبياء والحافظ للمكلف أفضل من المحفوظ فكتابتهم حجة للبشر ورد بأن الحافظ والشاهد خادم لا غير كالعساس على الأبواب وعلى ديار الوزراء لا غير **الرابع عشر** ﴿**يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا**﴾[1005] لقصد عظمة الله وجلاله ورد فإذا جلس السلطان وأحاط به ملوك الأطراف لا يلزم أن يكونوا أفضل من ولده الخليفة **الخامس عشر** ﴿**كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ**﴾[1006] فتقديمهم على الرسل يؤذن بأفضليتهم ورد بأن الواو لا تفيد ترتيبًا وأيضًا فإنهم مغيبون عنا فلا سبيل إلى معرفتهم بأي وجه إلا من الشرع فالأنبياء مشاهدون فلا أفضلية فيه **السابعة عشر** أن جبريل أفضل من محمّد صلى الله عليه وسلم بقوله ﴿**وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ**﴾[1007] ووصف جبريل بست صفات الكمال ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ**﴾[1008] فشتان بين الوصفين ونوقض بأنه وإن وصفه هنا فقد وصفه في مواضع بأوصاف الكمال ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا**﴾[1009]

[1002] الحشر 10

[1003] أحمد وابن حبان والدارمي عن جابر عن عبد الله رضي الله عنه مرفوعا

[1004] الانفطار 10

[1005] النبأ 38

[1006] البقرة 285

[1007] التكوير 22

[1008] التكوير من 19 إلى 21

[1009] الفتح 45 و46

فجبريل خادم لذات خليفة الله على الإطلاق وإنما خلقت العوالم من نوره صلى الله عليه وسلم فلا ينبغي الخلاف في أفضليته على سائر حقائق ملك الله فلا ينبغي أن يلتفت له أصلا **الثامنة عشر** أنه معلم للنبي صلى الله عليه وسلم فمقام المعلم أعظم ولغيره من الأنبياء في علوم الأحكام لا في التوحيد فعلمه كيفيات الأجرام والأعراض من العرش والكرسي والجنة والنار وأطباق السماوات وجميع العلوم المتعلقات بالكون ومقام المعلم أفضل ﴿**هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[1010] ونوقض بأن آدم أكمل علما وأن التعليم لهم من الله لا من جبريل وإنما هو سفير وخادم لمقام الخليفة كالرسول والأعوان للملك إلى وزيره وقائد جنده فلا يلزم أن يكون العون أكمل من القائد والوزير فتعالى الله عن الأعوان والوزراء وإنما هي أمثال **التاسع عشر** ﴿**وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ**﴾[1011] تدل الآية على أنهم ترفعوا إلى أنهم لا يخالفونه فلو خالفوه ما خالفوه إلا في ادعاء الإلهية ورد بأن مزيد قدرتهم لا يزيد ولا يفيد أفضليتهم وإنما هم خدام لأهل الأرض **العشرون**: **إذا ذكرني عبدي في ملإ ذكرته في ملإ خير من ملإه**[1012]. يدل على أن الملأ الأعلى أشرف ورد بعد قبول خبر الواحد بأنه إنما يدل على أن الملأ الأعلى خير من عوام البشر فإن الذاكر مثلاً إنما يذكر مع العامة دون الأنبياء لانقضاء زمنهم. فحجة المفضلين الأنبياء على غيرهم أمر الله الملائكة بالسجود لآدم فهو يدل على أشرفيته فالقبح العقلي غير ثابت بأن يقال يستقبح عقلا أن يسجد الأشرف للأدنى فالسجود يفيد الأفضلية **الثاني** جعله خليفة له خلافة الولاية وخلق الدنيا منفعة لبقائه والآخرة مملكة لجزائه ولعن الله إبليس بتكبره عليه وجعل الملائكة حفظة لأولاده ومنزلين لأرزاقهم ومستغفرين

[1010] الزمر 9

[1011] الأنبياء 29

[1012] البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه

لزلاتهم ثم قال ﴿**وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ**﴾[1013] فهو نهاية الشرف [**قلت**] فمحل نظر الله الإنسان الكامل في موضع الأرض موضع خلافته تعالى بنى له بيتًا الدنيا وأسمكها له بسبع سماوات وعلق له فيها مائة ألف وأربعة وعشرين ألف مصباحًا دائبين مسخرين له وبنى له الجنة وأسمكها بالعرش محل الأنوار وكلف الملائكة بحفظ الإنسان وأعماله وبيته وسقفه في الدنيا والآخرة فالكون كله من حيث هو إنما هو نعمة لآدم وأولاده وبه كمل نظام الوجود المدرج فيه العالم الأكبر وهو الذي حمل الأمانة الخلافة عن الله بحيث يفعل ما يفعله خليفة الملك وهو أنه يتصرف في الجند والرعية وملوك أطرافها ويولي ويعزل بإذن الله **الثالث** لكونه أعلم أنبئهم بأسمائهم فلم يقل علّمهم فإنهم لا يقبلون التعلم فإن علمهم إنما يكون بحسب اسم واحد فقط والبشر بالأسماء كلها وإنما لا يتصرف الخليفة بعزل بعض الملائكة لأن الله عين لكلٍّ مرتبته فهم خاضعون للخليفة الرابع ﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آَدَمَ وَنُوحًا وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾[1014] فالعالم كل من عليه علامة الحدوث التغير وهو ما سوى الله قوله لبني إسرائيل ﴿**فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**﴾[1015] عالم زمانهم بدليل سيدنا محمّد هو أفضل الأنبياء بإجماع **والخامس** ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾[1016] فالملك من العالمين وهو مرحوم برسالته صلى الله عليه وسلم **السادس** عبادة البشر أشق لداعية الشهوة للمعاصي فالآدمي مأمور بالاستنباط والقياس ﴿**فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ**﴾[1017] فهو أشق فلا يعلم الملك إلا بالنص لا علم لنا إلا ما علمتنا ولم يرد

[1013] ق 35

[1014] آل عمران 33

[1015] البقرة 47

[1016] الأنبياء 107

[1017] الحشر 2

للآدمي من الشبهات ككون الأفلاك والأنجم أسبابا للحوادث اليومية فيحتاجون إلى دفعها والملك يشاهد الملكوت فأمنوا منها ولأن إبليس مسلط على الآدمي بالوسوسة من حيث لا يراه فيه يكون ثوابهم أكثر **السابع** خلق للملائكة عقلاً بلا شهوة وللبهائم شهوة بلا عقل وجمع الأمرين للآدمي فإذا غلب هواه عقله صار أدون من البهيمة ﴿**أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ**﴾[1018] وإن غلب عقله هواه وجب أن يصير أشرف من الملك اعتبارًا لأحد الطرفين عن الآخر **الثامن** الملك حافظ لبني آدم والمحفوظ أعز من الحافظ فإنه له خادم فقط **التاسع** جبريل أخذ بركاب محمّد حتى أركبه على البراق ليلة المعراج فتخلف جبريل من وراء السدرة وقال لو دنوت أنملة لاحترقت **العاشر** قال صلى الله عليه وسلم إن لي وزيرين في السماء ووزيرن في الأرض أما اللذان في السماء فجبريل وميكائل وأما اللذان في الأرض فأبو بكر وعمر[1019]. فسيدنا محمّد كالملك وجبريل وميكائل وزيراه فالوزير خادم يعزله الملك إن أحب فعليك الاختيار بعقلك لا بهواك. وأما آراء الفلاسفة فيحرم التعرض لها فإنهم كفار لا نبي لهم ولا دين ولا عقل ولا رأي فما ألقى الشبه على المعتزلة إلا آراء الفلاسفة ثم إنهم تبرءُوا من اعتقادهم وتعصيراتهم للألفاظ والشبه العقلية فأدلة عقول الكافرين كلها شبه وضلال فكل من نظر كتبهم الباطلة أو نقل عبارتهم الفاسدة الكاسدة الباردة التي لا حظ لها من النظر ﴿**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ**﴾[1020] فالفلسفي لا يعقل أبدًا النسبة بينه وبين ربه لسبقية هلاكه وكفره فإياك من نقل مذاهبهم في وسط الإسلام فرأي الكافر باطل وإن كان يغوص البحار والجو ويعمل الحرف فإنه محجوب عن ربه ومطرود عن باب طاعته وعلمه فلا يعلم أبدًا ولا يعقل فلا عقل لمن تبعهم

[1018] الأعراف 179

[1019] الحاكم عن أبي سعيد رضي الله عنه

[1020] الأنفال 22

بالنقل عنهم كالطبائعيين والإشراقيين من كل كافر ناعق فإباية إبليس مختارًا من الانقياد لنبي أرسل أدل دليل على كفره واستكبر فالإباءُ منضم مع الاستكبار بل سببه فحال اشتغال إبليس بالعبادة قبله كان منافقًا فقط **{تنبيه}** يشبه مناظرة إبليس والملائكة لتقف على أصل الفلسفة أعني الفلسفي بنى مذهبه على مناظرة إبليس للملائكة وغيرهم وهو كله منازعة ربه فعلى ظلام كفره بنوا قواعدهم وتبعتهم المعتزلة ثم تبرءُوا من مذهبهم إلا ثلاثة أصول أبقوهم لأنفسهم وفرع عليها تلاميذهم فروعًا كثيرة لم يقصدها أشياخهم فإنهم تابوا إلا من ثلاثة أصول فلا يحل لتلاميذهم التفريع كما تاب الأشعري من مذهب الاعتزال وأشهد على المنبر الناس بأنه تاب إلى الله من شبهة المعتزلة الناشئة عن فتنة الفلسفي الناشئة عن منازعة إبليس ربه فأسمعها عن شارح الأناجيل الأربعة قال إبليس لعنه الله إني سلمت أن الباري تعالى إلهي وإله الخلق عالم قادر حكيم إلا أن لي على مساق حكمه أسئلة **الأول** أنه قد علم قبل خلقي أي شيءٍ يصدر عني فلم خلقني وما الحكمة في خلقه إياي **الثاني** إذا خلقني على مقتضى إرادته ومشيئته فلم كلفني بمعرفته وطاعته وما الحكمة في التكليف مع أنه لا ينتفع بطاعة ولا يتضرر بمعصية وكل ما يعود إلى المكلفين فهو قادر عليه لهم من غير واسطة التكليف **الثالث** إذا خلقني وكلفني فالتزمت تكليفه بالمعرفة والطاعة فأطعت وعرفت فلم كلفني بطاعة آدم والسجود له وما الحكمة في هذا التكليف على الخصوص بعد ألا يزيد ذلك في معرفتي وطاعتي **الرابع** إذا خلقني وكلفني بهذا التكليف بالخصوص فإذا لم أسجد فلم لعنني وأخرجني من الجنة وأوجب عقابي مع أنه لا فائدة له فيه ولي فيه أعظم الضرر **الخامس** ثم لما فعل ذلك فلم مكنني من الدخول في الجنة ومن وسوسة آدم بعد أن لو منعني من دخول الجنة لاستراح آدم مني وبقي خالدًا في الجنة **السادس** إذا كلفني عموما وخصوصًا ولعنني ثم طرقني إلى الجنة وكانت الخصوصية بيني وبين آدم فلم سلطني على أولاده حتى أراهم من حيث لم يروني ويؤثر

فيهم وسوستي ولا يؤثر في حولهم وقوتهم وما الحكمة في ذلك بعد أن لو خلقهم على الفطرة وأبقاهم على ذلك فعيشوا طاهرين سامعين مطيعين كان أحرى بالحكمة **السابع** سلمت هذا كله فلم إذ استمهلته أمهلني وما الحكمة في ذلك بعد أن لو أهلكني في الحال استراح الخلق مني وما بقي شري في العالم أليس بقاء العالم على نظام الخير خيرًا من امتزاجه بالشر. فأوحى الله إلى الملائكة قولوا له أما تسليمك **الأول** بأني إلهك فغير مخلص ولا صادق إذ لو صدقت أني إله العالمين لما احتكمت عليّ بلم وأنا الله الذي لا إله إلا أنا لا أسئل عما أفعل والخلق مسؤولون. هذا مذكور في التوراة ومسطور في الإنجيل وهذه الشبهات بالنسبة إلى أنواع الضلالات كالبذور وليس يعدوها فرق الزيغ والكفر وإن اختلفت العبارات وتباينت الطرق ويرجع حملتها إلى إنكار الأمر بعد الاعتراف بالخلق وإلى الجنوح إلى الهوى في مقابلة النص ولا جواب عنها بالتحقيق إلا الذي ذكره الله تعالى فاللعين ما أن حكم العقل عمن لا يحكم عليه العقل لزمه أن يجري حكم الخالق في الخلق أو حكم الخلق في الخالق فالأول غلو كالحلولية وكالغلاة من الشيعة والثاني تقصير كالمشبهة وصفوا الخالق بصفات الأجسام وكالخوارج نفوا تحكيم الرجال وقالوا لا حكم إلا لله وأهملوا قضية قريظة حيث حكم الرسول وقريظة سعدًا كقوله أأسجد لبشر خلقته من صلصال لا أسجد إلا لك فالشبهات كلها ناشئة من اللعين وتلك في الأول أعني إبليس منبع الشبه مصدرها وهذه في الأخير مظهرها ﴿**وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ**﴾ أي شبهه ﴿**إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾[1021] وشبه صلى الله عليه وسلم كل فرقة ضالة من كل موجود من بعثته إلى قيام الساعة فكلهم أمة الدعوة بأمة ضالة من الأمم السابقة فقال القدرية مجوس هذه الأمة[1022]

[1021] البقرة 168

[1022] أبو داوود وابن حبان عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه

فالقدرية بالضم إثبات القدرة المؤثرة استقلالاً لغير الله والقدرية نفاة القدر وإن الأمر أنف كمعبد وجهم والمشبهة يهود هذه الأمة والرافضة نصاراها غلاتها. حديث: **لتسلكن سبيل الأمم قبلكم حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه**[1023]. ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ استكبر أن يتخذ آدم وصلة في عبادة ربه أو يعظمه أو يتلقاه بالتحية أو يخدمه ويسعى فيما فيه خيره وصلاحه وقال أنا خير منه فاعتقده فالتكبر رؤية نفسه أفضل من غيره والاستكبار طلب التشبع بما ليس له كالتزين له بالباطل وكان في علم الله من جنس الجاحدين ربوبيته ولو أقر بالربوبية وامتنع من الطاعة وهو جاحد للطاعة المستلزمة لجحود الربوبية فاستقبح أمر الله فكل من تبع عقله مجردًا من الشرع هلك فلا تحسين ولا تقبيح للعقل فإذا اعترف الإنسان بالإله أذعن له ولأفعاله فلا يحل أن يقول لم زجر والزجر للصبيان والأحمق والبهائم فالله غالب على أمره فهو الأفضل بزعمه الباطل فلا يحسن أن يخضع لمن هو دونه فهو قبيح عنده وعند كل من يحكم العقل ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا**﴾[1024] عقولكم بين يدي حكم الله ورسوله فالجن وكل من خلقه الله زمنه مأمور بالسجود لآدم فهو الخليفة في العوالم كلها فأمرت العوالم بالانقياد له ككل قطب وإمام من بنيه إلى قيام الساعة فهو أفضل من جنس العوالم فإنه خلق من نور سيدنا محمّد صلى الله عليه وسلم ولده فارتسمت قوة جسده في أبيه آدم فلم يخلق الله ولا أراد أن يخلق أكمل من رسولنا صلى الله عليه وسلم وإنما استغنى الله بذكر الملائكة الذين هم الملأ الأشرف عمن دونهم من الجن وغيرهم فالضمير في ﴿**فَسَجَدُوا**﴾ راجع إلى جميع المأمورين بالسجود من الجن وغيرهم والجان والبن

[1023] البخاري في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

[1024] الحجرات 1

وغيرهم من ملك الله من حيث هو مذعن للقطب الإنساني طوعًا أو كرهًا فالاستثناء متصل من الضمير الراجع إلى كل مأمور فإذا علم أن الأكابر أمروا بالتوسل والخضوع للخليفة علم أيضا أن الأصاغر من الجن وغيرهم مأمورون به أيضًا فهذا هو عين الحق وغيره ينبذ فما لا تقبله القواعد والأصول الشرعية لا ينبغي أن يذكر في التفسير ولا يثبت رواية ولا دراية ولا رعاية فلا تغتر بما نقل عن الصحابة هنا فإنه لم يصح ولم يثبت قال الحسن البصري ما كان إبليس ملكا طرفة عين وإنه لأصل الجن كما أن آدم أصل الإنس. عن قتادة كان الحسن يقول ﴿**إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ**﴾[1025] إلجاءٌ إلى نسبة فقال الله ﴿**أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي**﴾[1026] وهم يتوالدون كما يتوالد بنوا آدم. عن شهر ابن حوشب قال كان إبليس من الجن الذين طردتهم الملائكة فأسره بعض الملائكة فذهب به إلى السماء. عن سعد بن مسعود قال كانت الملائكة تقاتل الجن فسبي إبليس صغيرًا فكان مع الملائكة فتعبد معها فلما أمروا بالسجود سجدوا فأبى إبليس ﴿**إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ**﴾[1027] فالملائكة لا ذرية لهم وهم معصومون قطعا بأي نوع كانوا في أي محل كانوا وإبليس كافر فاسق فلا يتصور أن يكون معصوما وإلا لانقلبت الحقائق. فهذا آخر الجزء الأول وصلى الله وسلم على سيدنا وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله ملء ما علم وعدد ما علم وزنة ما علم. وآخر كلامنا أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه. الحمد لله رب العالمين وسلام على جميع الأنبياء والمرسلين وكل مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر سبحانك لا

[1025] الكهف 50

[1026] الكهف 50

[1027] الكهف 50

علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم. الأحسن بن محمد. فاتح جمادى الأولى بعد صلاة الجمعة عام 1353.

فهرسة الجزء الأول من مقاصد الأسرار والخفى

مقاصد الأسرار والخفى
وجواهر المرضية والكاملة في نهاية الأخفى

فهرس الآيات

الجزء الأوّل

فاتحة الكتاب

أما بعد فإن الأحسن بن محمّد بن أبي جماعة السوسي البعقيلي البيضاوي وقته امتنّ الله عليه بداعية تبيين الأحكام الشرعية عند شرح متن القرآن الكريم نفعًا لمن عسى أن يرزق فيه حسن ظن بمؤلفه الضعيف وبتأليف من أسهر فيه سواده وخياله طالبا من ناظره إقالة العثرات وأن يصبّ عند مطالعته العبرات فجدير لمن اعتنى به وأعان عليه أن يرزق من الله الإعانة والقبول وأن يكرم بأسرار مباني الأدلة القاطعة وأن يهمل الأدلة الإقناعية بقواطع نصوص كلام ربنا الكريم إنه الجواد الرحيم. وسميته: **مقاصد الأسرار والخفى، وجواهر المرضية والكاملة في نهاية الأخفى** فالله الكريم أسأل الإعانة والإتمام وأن يهدي به أفراد الأمة الأجلة الأعلام وأن ييسر لي العبارة والبيان وإنما أحوم حوم بره العظيم المنان

الحاج الأحسن البعقيلي

مقاصد الأسرار الجزء الأول